

العنوان:	المصادر الأصولية عند ابن حزم الظاهري والاختلاف فيها مع جمهور الأصوليين وأثر ذلك في الفروع
المؤلف الرئيسي:	ريحاوي، عماد أحمد
مؤلفين آخرين:	حمزة، حمزة (مشرف)
التاريخ الميلادي:	2013
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 764
رقم MD:	614969
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الإسلامية
الكلية:	كلية الشريعة والقانون
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الأصوليون، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، 384-456 هـ. ، الفقه الإسلامي ، الاختلافات الفقهية
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/614969">http://search.mandumah.com/Record/614969</a>

لإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

ريحاوي، عماد أحمد، و حمزة، حمزة. (2013). المصادر الأصولية عند ابن حزم الظاهري والاختلاف فيها مع جمهور الأصوليين وأثر ذلك في الفروع (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان. مسترجع من <http://614969/Record/com.mandumah.search/>

إسلوب MLA

ريحاوي، عماد أحمد، و حمزة حمزة. "المصادر الأصولية عند ابن حزم الظاهري والاختلاف فيها مع جمهور الأصوليين وأثر ذلك في الفروع" رسالة ماجستير. جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، 2013. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/614969>

## الباب الأول:

### التمهيد والدراسة التاريخية

ويشمل ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مظان عنوان البحث - (مفاهيم - حدود العنوان)

الفصل الثاني: المذهب الظاهري ومؤسسه.

الفصل الثالث: ابن حزم الظاهري

## الفصل الأول - المبحث الأول:

### الاختلاف

#### الاختلاف والخلاف لغةً:

قال ابن منظور: «تَخَالَفَ الْأَمْرَانِ وَاخْتَلَفَا: لَمْ يَتَّفِقَا. وَكُلُّ مَا لَمْ يَتَسَاوَا، فَقَدْ تَخَالَفَ وَاخْتَلَفَ»<sup>1</sup>.

وجاء في التاج: «اخْتَلَفَ: ضِدُّ اتَّفَقَ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: (سَوُّوا صُفُوفَكُمْ وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ)<sup>2</sup>»<sup>3</sup>.

#### في مفهوم الاختلاف، والفرق بين الخلاف والاختلاف:

قال المناوي: «الاختلاف: افتعال من الخلف، وهو ما يقع من افتراق بعد اجتماع في أمر من الأمور»<sup>4</sup>.

---

1 - «لسان العرب» لمحمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين، ابن منظور الأنصاري (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط3، 1414 هـ، ج9، ص91.

2 - أخرجه مسلم في «صحيحه» في كتاب الصلاة، باب: تسوية الصفوف، وإقامتها... برقم 122 - (432) بلفظ (استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم)، ورواه عبد الرزاق في «المصنف» في كتاب الصلاة، باب الصفوف، برقم 2431.

3 - انظر: «تاج العروس من جواهر القاموس» محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت 1205هـ)، حق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ج23، ص275، (مادة: خ ل ف).

4 - «فيض القدير شرح الجامع الصغير» زين الدين، محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي ابن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت 1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط1، 1356 هـ، ج1، ص209.

وخالفته مخالفةً وخلافًا، وتحالف القوم واختلفوا: إذا ذهب كلُّ واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، وهو ضد الاتفاق، والاسم الخُلف بضم الخاء<sup>1</sup>.

قال الراغب الأصفهاني: «والاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كلُّ واحد طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد؛ لأنَّ كلَّ ضدين مختلفان، وليس كلَّ مختلفين ضدين<sup>2</sup>. ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ [مريم: 37]. ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118]. ﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: 22]، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبا: 1، 2، 3]، ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات: 8]...»<sup>3</sup>.

مما سبق نجد أن الخلاف والاختلاف يُراد به مطلق المغايرة: في القول، أو الرأي، أو الموقف، أو الحالة.

وقال الباحث محمد الروكي: «الملحوظ في استعمال الفقهاء أنهم لا يفرقون بين الخلاف والاختلاف؛ لأن معنهما العام واحد، وإنما وضعت كل واحدة من الكلمتين للدلالة على هذا المعنى العام من جهة اعتبار معين، وبيان ذلك: أننا إذا

---

1 - انظر: «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المكتبة العلمية، بيروت، ج 1، ص 178، (مادة: خ ل ف).

2 - فمثلاً: السواد والبياض ضدان ومختلفان، أما الحمرة والخضرة فمختلفان وليسا ضدين، والخلاف أعم من الضدية؛ لأنه يحمل معنى الضدية، ومعنى المغايرة مع عدم الضدية. «أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين» محمد عوامه، دار البشائر، بيروت، ط 2، 1418هـ - 1998م، ص 8.

3 - «المفردات في غريب القرآن» أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت 502هـ)، حق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، ط 1، 1412هـ.

استعملنا كلمة (خالف) كان ذلك دالاً على أن طرفاً من الفقهاء -شخص أو أكثر- جاء باجتهاد مغاير لاجتهاد الآخرين، بغض النظر عن هؤلاء الآخرين، هل اجتهادهم واحد أو متباين... لكن إذا نظرنا إلى طرفين من أطراف الخلاف، أو إلى أطرافه كافة؛ فإننا نسمي ما ينشأ عنهم من آراء متغايرة اختلافاً...

ويؤكد هذا التفريق اللفظي الدقيق استعمال القرآن الكريم لمادة الخلاف والاختلاف، فقد قال الله تعالى على لسان شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ﴾ [هود: 88]، فلما كان السياق هنا مرتبطاً بطرف واحد من أطراف الخلاف، عبر بكلمة (أخالف).

لكن حينما يكون السياق مرتبطاً بأطراف الخلاف كافة، يُعبر حينئذ بكلمة (اختلف) كقوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ [مريم: 37].

إذاً فالتعبير بكلمة (الخلاف) مرتبط باعتبار معين، والتعبير بكلمة (الاختلاف) مرتبط باعتبار آخر معين، والاعتباران معاً يكونان صورةً واحدة، هي المعنى العام للخلاف والاختلاف، ولهذا لا تجد فرقاً بينهما في استعمال الفقهاء<sup>1</sup>.

لكننا نجد الكثيرين قد فرقوا في استخدام الكلمتين؛ فذمُّوا الخلاف، وقبلوا الاختلاف، وبعضهم جعله من مظاهر الرحمة لهذه الأمة، وذكروا فروقاً دقيقة بين الكلمتين تؤكد هذا المنحى في الاستخدام؛ فقال أبو البقاء في كلياته:

---

1 - «نظرية التععيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء» محمد الروكي، من منشورات كلية الآداب،

جامعة محمد الخامس، الرباط: ط 1، 1414هـ، ج 1، ص 179-180.

- «الاختلاف: هو أن يكون الطريق مختلفاً والمقصود واحداً، والخلاف: هو أن يكون كلاهما مختلفاً.

- والاختلاف: ما يستند إلى دليل، والخلاف: ما لا يستند إلى دليل.

- والاختلاف من آثار الرحمة، كما في الحديث المشهور<sup>1</sup>، والمراد فيه الاجتهاد، لا اختلاف الناس في الهمم، بدليل (أمتي). والخلاف من آثار البدعة.

- ولو حكم القاضي بالخلاف ورفعه لغيره يجوز فسخه، بخلاف الاختلاف، فإن الخلاف: هو ما وقع في محل لا يجوز فيه الاجتهاد، وهو ما كان مخالفاً للكتاب والسنة والإجماع<sup>2</sup>.

وقال د. طه جابر العلواني: «من فضل الله تعالى أن جعل الجانب الفقهي في دائرة ما يجوز فيه الاختلاف؛ وذلك لأن «الفقه» هو: معرفة الفقيه حكم الواقعة من دليل من الأدلة التفصيلية الجزئية التي نصبها الشارع للدلالة على أحكامه من آيات الكتاب، وأحاديث رسول الله ﷺ. وقد يصيب الفقيه حكم الشارع، أو

---

1 - ويقصد به حديث: (اختلاف أمتي رحمة)، قال المناوي: قال السبكي: وليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع، (ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا)... قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف، وقال ولده المحقق أبو زرعة: رواه أيضاً آدم ابن أبي إياس في كتاب العلم بلفظ: (اختلاف أصحابي لأمتي رحمة) وهو مرسل ضعيف. «فيض القدير» للمناوي، ج 1، ص 209. وانظر: «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» لإسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (ت 1162هـ)، المكتبة العصرية، حق: عبد الحميد هندراوي، ط 1، 1420هـ - 2000م، ج 1، ص 75.

2 - «الكليات» أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت 1094هـ)، حق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 61-62.

يوافقه، وقد لا يوافق ذلك، ولكنه في الحالتين غير مطالب بأكثر من أن يبذل أقصى طاقته العقلية والذهنية للوصول إلى حكم، فإن لم يكن ما وصل إليه حكم الشارع فهو أقرب ما يكون إليه في حقيقته وغاياته وآثاره، ولذلك كان الاختلاف أمراً مشروعاً؛ وذلك لتوفر أمرين فيه:

الأول: أن لكل من المختلفين دليلاً يصح الاحتجاج به، فما لم يكن له دليل يحتج به سقط، ولم يُعتدّ به أصلاً.

الثاني: ألا يؤدي الأخذ بالمذهب المخالف إلى محال أو باطل، فإن كان ذلك بطل منذ البداية، ولم يسع لأحد القول به بحال.

وبهذين الأمرين يغيّر «الاختلاف» «الخلاف»، فالاختلاف: ما توافر فيه الشرطان المذكوران؛ وهو مظهر من مظاهر النظر العقلي والاجتهاد، وأسبابه منهجية موضوعية في الغالب. أما الخلاف: فهو الذي يفقد الشرطين أو أحدهما، وهو مظهر من مظاهر التشنج والهوى والعناد، وليس له من سبب يمت إلى الموضوعية<sup>1</sup>.

وهكذا، يتجلى أن الاختلاف باب رحمة واسع، تفضّل الله عز وجل به، وذلك إذا ما دار في الجانب المشروع، الذي من الجائز أن تتباين الاجتهادات ووجهات النظر فيه، بعيداً عن الشطط وركوب مطية الهوى والزيغ، فهو ليس اختلافاً لمجرد الاختلاف فحسب، إنما اختلاف يُنشد من ورائه الوصول إلى

---

1 - انظر: «أدب الاختلاف في الإسلام» للدكتور طه جابر العلواني، الكتاب التاسع من سلسلة كتاب الأمة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا - الولايات المتحدة، 1987، ص 104.

الحقيقة، التي هي عين مراد الشارع، فإن وافق مراد الشارع فقد أصاب الأجرين؛  
أجر طلب الحقيقة وبذل الوسع في البحث والتنقيب، وأجر الموافقة. حتى إن لم  
يصب مراد الشارع، فله أجر الطلب والبحث. أما إذا كان الاختلاف نزاعاً أو  
نزاعاً لفساد النوايا وركوب الأهواء، فذاك عمل لا يرضاه الله عز وجل، ولا  
يقبله رسول الله ﷺ؛ لما فيه من فساد وإفساد، وهو عمل حابط باطل، وكفى به  
وبصاحبه إثماً.

## الفصل الأول - المبحث الثاني:

### المصادر الأصولية

المصادر في اللغة: جمع مُصَدَّر، والمُصَدَّر بالفتح: مَوْضِع الصُّدُور<sup>1</sup>.

والأصول في اللغة: جمع أصل. وأصل الشيء أسفله، وأساس الحائط أصله، واستأصل الشيء ثبت أصله وقوي، ثم كثر حتى قيل: أصل كل شيء ما يستند وجود ذلك الشيء إليه؛ فالأب أصل للولد، والنهر أصل للجدول، والجمع: أصول<sup>2</sup>.

بين يدي حديثنا عن المصادر التي هي الأدلة هنا، نوضح ما المراد بالدليل في علم الأصول:

الدليل في اللغة: المرشد إلى المطلوب، ثم اسم الدليل يقع على كل ما يعرف به المدلول، حسيًا كان أو شرعيًا، قطعيًا كان أو غير قطعي<sup>3</sup>، ومنه ما جاء في الحديث الصحيح: (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ)<sup>4</sup>.

والدليل في اصطلاح علماء الأصول: هو ما يستدل بالنظر الصحيح فيه على حكم شرعي عملي على سبيل القطع أو الظن<sup>1</sup>. فالأدلة دالة على الأحكام

---

1 - «تاج العروس من جواهر القاموس» للمرئضى الزبيدي، ج 12، ص 300، (مادة: ص در).

2 - انظر: «المصباح المنير» للفيومي، ج 1، ص 16، (مادة: ء ص ل).

3 - «الكليات» أبو البقاء الكفوي، ص 439.

4 - أخرجه مسلم في «صحيحه»، في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، رقم 1893.

الشرعية وكاشفة عنها ومعرفة إياها، ومن هنا سميت الأدلة «أصولاً» أيضاً؛ لأن الأصل ما يبنى عليه غيره، والأحكام مبنية على هذه الأدلة، ومثل تلك المصادر. وهكذا يمكن أن نقول: الأدلة، أو الأصول، أو المصادر الشرعية<sup>2</sup>.

### والأدلة عند جمهور الأصوليين: أصلية وفرعية:

أما الأدلة الأصلية: فقد اتفق جمهور العلماء - خلافاً للظاهرية - بعد البحث والاستقراء، على أن الأدلة أو المصادر الأصلية للشرعية أربعة هي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس.

وأول من دَوَّن ذلك على هذا الترتيب، نتيجة البحث والاستقراء، هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي في كتابه «الرسالة»، حيث قال: «ولم يجعل الله لأحد بعد رسول الله ﷺ أن يقول إلا من جهة علم مضى - قبله، وجهة العلم بعد: الكتاب، والسنة، والإجماع، والآثار، وما وصفت من القياس عليها»<sup>3</sup>.

وترتيب الأدلة على هذا الشكل مما اتفق عليه جمهور المسلمين أيضاً؛ حيث يأتي الكتاب وهو القرآن أولاً، ثم السنة، ثم الإجماع، ثم القياس؛ خلافاً للظاهرية الذين لا يعدُّون القياس من مصادر التشريع مطلقاً كما أسلفنا.

---

1 - «علم أصول الفقه» للشيخ عبد الوهاب خلاف (ت1955م)، حق: أستاذنا الدكتور محمد أديب

صالح، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، ط1، 1431هـ - 2010م، ص 31.

2 - انظر: «مصادر التشريع الإسلامي ومناهج الاستنباط» أ. د. محمد أديب صالح، مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية، ط1، 2002م، ص 60.

3 - «الرسالة» للإمام محمد بن إدريس الشافعي، حق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، القاهرة - مصر، ط1، 1358هـ - 1940م، ص 507.

وأما الأدلة الفرعية: فهي الأدلة التي لم يتفق عليها جمهور المسلمين، بل اختلفوا فيها، نذكر منها: الاستحسان، والمصلحة المرسلة، وقول الصحابي، وشرع من قبلنا، والعرف، والاستصحاب، وسد الذرائع.

وإنما قال العلماء عن هذه الأدلة إنها فرعية؛ لأنها في حقيقة الأمر تعود إلى تلك الأدلة الأصلية، بل إن الأدلة الأصلية نفسها تعود إلى الكتاب الكريم، الذي هو أصل الأصول، وينبوع الشريعة، وهو المعجزة الكبرى التي دلت على صدق النبي ﷺ، فالقرآن هو الذي أوجب العمل بالسنة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7].

وأما الإجماع، فقد ثبت اعتباره بالكتاب والسنة أيضاً، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى.

وأما القياس، فقد كان الدليل على الأخذ به واعتباره مصدراً من مصادر الشريعة - عند جمهور العلماء خلافاً لابن حزم الظاهري والظاهرية - مأخوذاً من الكتاب والسنة والإجماع، كما سيأتي تفصيل ذلك في موضعه عند كل واحد من هذه الأدلة.

وهكذا تكون المصادر الثلاثة، التي هي: السنة والإجماع والقياس، راجعة إلى المصدر أو الدليل الأول، وهو القرآن الكريم. وذلك ما قرره جمهور المحققين من العلماء، إذ ذكروا أن المصادر المعتبرة في الأصول إنما يكون مردها إلى الكتاب الكريم<sup>1</sup>.

---

1 - انظر: «مصادر التشريع الإسلامي» أ. د. محمد أديب صالح، ص 61-62.

هذا وقد اختلف الأئمة الخمسة في المصادر الأصولية المقبولة والمردودة عندهم، مما شكل سمة ونكهة خاصة بكل مذهب من مذاهب أهل السنة والجماعة الخمسة. وفيما يأتي من مبحث جمهور الأصوليين نقدم دراسة موجزة عن كل مذهب من المذاهب الأصولية الخمسة تبين المصادر الأصولية المعتمدة في كل مذهب على حدة.

## الفصل الأول - المبحث الثالث:

### جمهور الأصوليين

#### ومدرسة الفقهاء ومدرسة المتكلمين

تعددت المذاهب الفقهية التي ظهرت بعد عصر - الصحابة وكبار التابعين، حتى عدّها بعضهم ثلاثة عشر مذهباً، ويُنسب جميع أصحابها إلى مذهب «أهل السنة»، ولكن لم ينل حظ التدوين سوى فقه ثمانية أو تسعة منهم، فقد حظي بعضهم بتدوين كل فقهه، واقتصر على بعضه لدى الآخرين... وهناك آخرون لم تنتشر مذاهبهم، ولم يكثر أتباعهم، أو عُدّوا مقلّدين أصحاب المذاهب المشهورة. أما الذين تأصلت مذاهبهم وبقيت إلى يومنا هذا، ولا يزال لها كثير من المقلّدين في ديار الإسلام كلها، ولا يزال فقههم وأصوله مدار التفقه والفتوى - عند الجمهور - فأولئك هم الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، مع وجود قلة قليلة تتبع المذهب الظاهري برز منهم في عصرنا الحاضر الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري<sup>1</sup> والشيخ أبو تراب<sup>2</sup> الظاهري<sup>3</sup>.

---

1 - أبو عبد الرحمن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عقيل، عالم سلفي ظاهري وأديب سعودي. من مواليد مدينة شقراء في إقليم الوشم بمنطقة نجد من المملكة العربية السعودية عام 1357 هـ. اشتهر الشيخ ابن عقيل باهتمامه بكتب الإمام علي بن حزم الأندلسي - تحقيقاً وترجمة لابن حزم نفسه. يسمى بالظاهري لانتسابه للمدرسة الظاهرية. انظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

2 - هو: أبو محمد عبد الجميل بن عبد الحق بن عبد الواحد بن محمد بن الهاشم بن بلال الهاشمي، ويكنى بأبي تراب الظاهري، ولد في (أحمد بور الشرقية) بالهند عام 1923 م / 1343 هـ وتوفي في مكة المكرمة في 1423 / 2 / 21 هـ. انظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

3 - انظر: «أدب الاختلاف في الإسلام» أ. د. طه جابر العلواني، ص 87 وما بعدها.

فكان الأئمة الأربعة هم جمهور الأصوليين الذين عناهم البحث، وذلك عبر تقسيمهم إلى مدرستين: الأولى هي «مدرسة الفقهاء» وهم الحنفية، والثانية هي «مدرسة المتكلمين» وتضم الشافعية والمالكية والحنابلة، في مقابل مدرسة داود الظاهري «المدرسة الظاهرية» ممثلة في محيي المذهب الظاهري ومجدها الإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم موضوع البحث.

يُعدّ الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد، فقهاء حديث وأثر، فهم الذين تلقوا فقه أهل المدينة، وحملوا علومهم، ويلتحق بهذه المدرسة الإمام داود الظاهري الذي اعتمد فقهه على الحديث والأثر لا يتعداهما. أما الإمام أبو حنيفة، فهو وارث فقه «أهل الرأي» ومقدّم مدرستهم في عصره.

وإن الاختلاف الذي كان بين مدرسة فقيه المدينة «سعيد بن المسيّب» التي قامت على فقه الصحابة وآثارهم، وسار على نهجها المالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية، وبين مدرسة فقيه الكوفة «إبراهيم النخعي» التي تعتمد الرأي إن غاب الأثر، هذا الاختلاف كان طبيعياً أن ينتقل إلى كل من أخذ بمنهج إحدى المدرستين. ومع ذلك، فقد نجد الأئمة الثلاثة مالكا والشافعي وأحمد يمثلون منهجاً متقارباً فيما بينهم، وإن اختلفوا في بعض مناهج الاستنباط وطرائقه، وعرفت مدرستهم فيما بعد بمدرسة «أهل الحديث». على حين تميز الإمام أبو حنيفة عنهم في منهجه وعرفت مدرسته بمدرسة «أهل الرأي».

ولا شك أن داود وابن حزم والظاهرية إن أردنا تصنيفهم إلى أي من المدرستين السالفتين ينتمون، فهم أتباع مخلصون لمدرسة أهل الحديث من دون شك، تشهد

لهم بذلك كتبهم التي مُلئت بحديث رسول الله ﷺ؛ كما ذكر الخطيب عن داود حيث قال: «في كتبه حديث كثير»<sup>1</sup>. ويشهد لهم بذلك أيضًا فقههم ومنهجهم الذي يعتمد النص من كتاب أو سنة لا يتعداهما إلى رأي أو تأويل أو قياس<sup>2</sup>.

### طريقة الفقهاء

سميت طريقة الحنفية في استنباط الأحكام بـ «طريقة الفقهاء»؛ كونها ثمرة كتاباتهم، ونتيجة تأليفهم، ولبنائها القواعد على الفروع، فهم لم يعتمدوا في تقرير قواعد الأصول على البراهين العقلية، ولا على الأدلة النقلية كما هي طريقة المتكلمين<sup>3</sup>. وقد أوضح العلامة ابن خلدون ذلك بقوله: «لما انقرض السلف، وذهب الصدر الأوّل، وانقلبت العلوم كلّها صناعة، احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة، فكتبوها فنًا قائمًا برأسه، سمّوه «أصول الفقه». وكان أوّل من كتب فيه الشافعي رضي الله تعالى عنه. أملى فيه رسالته المشهورة، تكلم فيها في: الأوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس. ثم كتب فقهاء الحنفية فيه، وحقّقوا تلك القواعد، وأوسعوا القول فيها. وكتب المتكلّمون أيضًا كذلك، إلّا أنّ كتابة الفقهاء فيها أمسّ بالفقه، وأليق بالفروع؛ لكثرة الأمثلة منها والشواهد، وبناء المسائل فيها

---

1 - «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، حق:

مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1417 هـ، ج8، ص366.

2 - انظر: «أدب الاختلاف في الإسلام» أ. د. طه جابر العلواني، ص89.

3 - انظر: «منهج المتكلمين في استنباط الأحكام الشرعية» أ. د. عبد الرؤوف مفضي خرابشة، دار ابن

حزم، بيروت، ط1، 1426 هـ، 2005 م، وص64.

على النكت الفقهيّة. والمتكلّمون يجرّدون صور تلك المسائل عن الفقه، ويميلون إلى الاستدلال العقليّ ما أمكن؛ لأنّه غالب فنونهم، ومقتضى طريقتهم.

فكان لفقهاء الحنفيّة فيها اليد الطولى من الغوص على النكت الفقهيّة والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن...»<sup>1</sup>.

### طريقة المتكلمين:

سمّيت طريقة الإمام الشافعي ومَن نهج نهجه من المالكية والحنابلة بـ «أصول الشافعية أو طريقة المتكلمين» باعتبار أن الشافعي أول مَن بين المناهج في دراسته دراسة نظرية مجردة؛ ولأن كثيرين من علماء الكلام لهم بحوث في الأصول على هذا المنهج النظري<sup>2</sup>، ولكون التأليف في هذه الطريقة على طريقة علماء الكلام من حيث الاستدلال العقلي والحجاج المنطقي لإثبات ما يريدون... حيث إن هذه الطريقة تنهج نهجاً عاماً «نظرياً» في تقرير القواعد، دون التقيد بمذهب معيّن، وهي طريقة الإمام الشافعي كما أسلفنا، حيث اقتفى الناس آثاره، فسار من بعده على هذه الطريقة علماء الشافعية، وتبعهم غيرهم، فكانوا بعد ذلك مذاهب شتى، فمنهم المالكية، ومنهم الحنابلة، ومنهم المعتزلة، فما أيّدت العقول والحجج من القواعد أثبتوه، وما خالف نفوه، وقلما يشتغلون بالفروع الفقهيّة والبحث عنها إلا عرضاً.

---

1 - انظر: مقدمة «ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر» عبدالرحمن ابن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: 808هـ)، حق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408 هـ - 1988 م، ج1، ص 576.

2 - انظر: «أصول الفقه» الإمام محمد أبو زهرة (ت1974م)، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، (د. ط)، 1427هـ - 2006م، ص 20.

فطريقتهم إذن طريقة منطقية، يقيمون البراهين العقلية، والحجج النقلية لإثبات القاعدة العامة، ويقررونها أصلاً كلياً عاماً، يُرجع إليه في تصحيح الجزئيات، من غير التفات إلى موافقة تلك الضوابط للفروع أو مخالفتها لها، فهم يجعلون تلك الضوابط مقياساً للحكم بصحة الفروع أو بطلانها، من غير اعتبار مذهبي؛ لأن رائدهم في ذلك التوصل إلى أقوى القواعد، بقطع النظر عن كون تلك القواعد تخدم مذهبهم أو لا، وهم يعدون تلك القواعد حاكمة على الفقه ومسائله، وليست خاضعة له، ومن هنا لا نراهم يشتغلون بالفروع إلا عند الإيضاح والاستدلال.

وهكذا اتسمت طريقة المتكلمين بالميل الشديد إلى الاستدلال العقلي والتوسع في مجال الجدل والمناظرات، وتحقيق المسائل، وتمحيص الخلافات، وبعدم أخذ الضوابط والقواعد الأصولية من الفروع الفقهية، مما كان له أثرٌ واضح في دراسة قواعد أصول الفقه على نحو أعمق<sup>1</sup>.

---

1 - انظر: «منهج المتكلمين» د. عبد الرؤوف خرايشة، ص 56-57.

## الفصل الأول - المبحث الرابع:

### مناهج الأئمة الخمسة

رأيت أن أعرض لمقدمة في مناهج الأئمة الأربعة وأصولهم عرضاً موجزاً، بالإضافة إلى عرض منهج الظاهرية وأصولهم، للمقارنة بينها، وبيان أصول كل مذهب؛ لبيان أصول المذهب الظاهري، وأين اتفقت أصوله مع أصول جمهور الأصوليين وأين اختلفت، تمهيداً للدخول فيها وبيانها بشيء من التفصيل والمقارنة.

#### 1- منهج الإمام أبي حنيفة:

بقي الإمام أبو حنيفة رمزاً لمنهج مختلف عن مناهج الأئمة الأربعة على نحو ظاهر، فقواعد مذهبه كما بينّها هو تلخيص بقوله: «إني أخذ بكتاب الله إذا وجدته، فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله ﷺ والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات، فإذا لم أجد في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أخذت بقول أصحابه، أخذ بقول مَنْ شئت، ثم لا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم. فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي وابن المسيب (وعدّ رجالاً)، فلي أن أجتهد كما اجتهدوا»<sup>1</sup>.

هذه هي الأصول الكبرى لمذهب أبي حنيفة، وهناك أصول فرعية أو ثانوية مفرعة على هذه الأصول أو راجعة إليها، وهي التي يبدو فيها الخلاف ويظهر، كقولهم: «قطعية دلالة اللفظ العام كالخاص»، و«مذهب الصحابي على خلاف

---

1 - انظر: «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» لأبي عبد الله الصيّمري الحنفي الحسين بن علي بن محمد بن

جعفر، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط2، 1985 م، ص 24.

العموم مخصص له»، و«كثرة الرواية لا تفيد الرجحان»، و«عدم قبول خبر الواحد فيما تعم به البلوى»، و«مقتضى الأمر الوجوب قطعاً ما لم يرد صارف»، و«إذا خالف الراوي الفقيه روايته بأن عمل على خلافها: فالعمل بما رأى لا بما روى»، و«تقديم القياس الجلي على خبر الواحد المعارض له»، و«الأخذ بالاستحسان وترك القياس، عندما تظهر إلى ذلك حاجة». ولذلك نقلوا عن الإمام أبي حنيفة قوله: «علمنا هذا رأيي، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن قدر على غير ذلك فله ما رأى، ولنا ما رأينا»<sup>1</sup>. ونخلص إلى أن المصادر الأصولية المعتمدة عند الحنفية هي:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- السنة.
- 3- الإجماع.
- 4- القياس.
- 5- أقوال الصحابة.
- 6- الاستصحاب.
- 7- الاستحسان.
- 8- العرف<sup>2</sup>.

---

1 - «الملل والنحل» لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت: 548هـ)، مؤسسة الحلبي، (د. ط. ت)، ج2، ص 12. وانظر: «أدب الاختلاف في الإسلام» د. طه جابر العلواني، ص91.

2 - انظر: «أبو حنيفة، حياته وعصره - آراؤه وفقهه» الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، (د. ط)، 1997م، ص 208. و«أبحاث في أصول الفقه الإسلامي، تاريخه وتطوره» لأستاذنا الدكتور مصطفى سعيد الخن رحمه الله تعالى (ت 2008م)، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط1، 1420هـ - 2000م، ص 129.

## 2- منهج الإمام مالك:

أما الإمام مالك رحمه الله، فذو منهج مختلف، فهو يقول: «كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله»<sup>1</sup>. وقد مرَّ بنا أن مذهبه هو مذهب الحجازيين أصحاب مدرسة الإمام سعيد بن المسيَّب. وإن مالكا كأبي حنيفة لم يدون كتاباً في أصول مذهبه، ولكن كثيراً منها قد أشار إليه أو صرَّح به في كتابه «الموطأ»، واستخرج أصحابه من فروعه الأصول التي بنى عليها مالك مذهبه، وقد أحصاها في «شرح البهجة» ستة عشر أصلاً، فقال:

الأدلة التي بنى عليها مالك مذهبه ستة عشر: نصُّ الكتاب، وظاهر الكتاب وهو العموم، ودليل الكتاب وهو مفهوم المخالفة، ومفهوم الكتاب وهو باب آخر [وقصده مفهوم الموافقة]، وتنبيه الكتاب وهو التنبيه على العلة كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ رَجِسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ [الأنعام: 145]؛. ومن السنة أيضاً مثل هذه الخمسة، فهذه عشرة. والحادي عشر الإجماع، والثاني عشر - القياس، والثالث عشر - عمل أهل المدينة، والرابع عشر قول الصحابي، والخامس عشر الاستحسان، والسادس عشر - الحكم بسد الذرائع. واختلف قوله في السابع عشر - وهو مراعاة الخلاف؛ فمرة يراعيه، ومرة لا يراعيه. قال أبو الحسن: ومن ذلك الاستصحاب. اهـ<sup>2</sup>.

---

1 - رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، باب سياق ذكر من رُسم بالإمامة في السنة، رقم: 293 و294. وهو: أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت 418هـ)، حق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة - الرياض، ط 8، 1423هـ - 2003م.

2 - «البهجة في شرح التحفة شرح تحفة الحكام» علي بن عبد السلام بن علي، أبو الحسن التُّسُولي (ت: 1258هـ)، حق: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418هـ - 1998م، ج 2، ص 219.

### 3- منهج الإمام الشافعي:

وأما قواعد مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وأصوله، فهي ما أجمله في رسالته الأصولية «الرسالة»، التي تُعدُّ أول كتاب أصولي جامع ألف في الإسلام. قال رحمه الله تعالى: «الأصل قرآن وسنة، فإن لم يكن فقياس عليهما، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ وصح الإسناد عنه فهو سنة. والإجماع أكثر من الخبر المنفرد، والحديث على ظاهره، وإذا احتمل المعاني فما أشبه منها ظاهره أو لاها به. وإذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسناداً أو لاها. وليس المنقطع بشيء ما عدا منقطع ابن المسيب. ولا يقاس أصل على أصل. ولا يقال لأصل: لم ولا: كيف، وإنما يقال للفرع: لم، فإذا صح قياسه على الأصل صحَّ وقامت به الحجة»<sup>1</sup>. وقال في «الأم»: «والعلم طبقات شتى؛ الأولى: الكتاب والسنة إذا ثبتت السنة، ثم الثانية: الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، والثالثة: أن يقول بعض أصحاب النبي ﷺ ولا نعلم له مخالفاً منهم، والرابعة: اختلاف أصحاب النبي ﷺ في ذلك، الخامسة: القياس على بعض الطبقات، ولا يصار إلى شيء غير الكتاب والسنة وهما موجودان وإنما يؤخذ العلم من أعلى»<sup>2</sup>.

فالإمام الشافعي إذن يرى أن القرآن والسنة سواء في التشريع، فلا يشترط في الحديث شرطاً غير الصحة والاتصال؛ لأنه أصل، والأصل لا يقال له: لم وكيف؟

---

1 - ذكره أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، دار السعادة، مصر، 1974 م، ج 9، ص 105.

2 - «الأم» لأبي عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب المطلبي القرشي المكي (ت: 204هـ)، دار المعرفة، بيروت-لبنان، (د. ط)، 1410هـ-1990م، ج 7، ص 280.

فلا يشترط شهرة الحديث إذا ورد فيما تعم به البلوى - كما اشترط ذلك الإمام أبو حنيفة - ولم يشترط عدم مخالفة الحديث عمل أهل المدينة - كما اشترط ذلك مالك - ولكنه لم يقبل من المراسيل إلا مراسيل سعيد بن المسيب؛ لأن لها طرقاً متصلة عنده، وقد خالف في هذا مالكا والثوري ومعاصريه - من أهل الحديث - الذين كانوا يحتجون بها، وأنكر الاحتجاج بـ«الاستحسان» مخالفاً في ذلك المالكية والحنفية معاً، وكتب في رد الاستحسان كتابه «إبطال الاستحسان»، وقال قولته المشهورة: «من استحسن فقد شرع»<sup>1</sup>. ورد «المصالح المرسلة» أيضاً وأنكر حجيتها. وأنكر الاحتجاج بقياس لا يقوم على علة منضبطة ظاهرة، وأنكر الاحتجاج بعمل أهل المدينة. وأنكر على الحنفية تركهم العمل بكثير من السنن؛ لعدم توافر ما وضعوه فيها من الشروط كالشهرة ونحوها. ثم إنه لم يقتصر - كما لك - على الأخذ بأحاديث الحجازيين.

هذه هي أهم أصول مذهب الإمام الشافعي وأبرزها إجمالاً، وفيها من المخالفة لأصول الحنفية والمالكية ما لا يخفى<sup>2</sup>. ونخلص إلى أن المصادر الأصولية المعتمدة عند الشافعية هي:

1- القرآن الكريم.

2- السنة.

---

1 - انظر: «المستصفى» لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حق: محمد عبد السلام عبد الشافي،

دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1993 م، ص 171.

2 - انظر: «أدب الاختلاف في الإسلام» أ. د. طه جابر العلواني، ص 89.

3- الإجماع.

4- القياس.

5- الاستصحاب.

6- العرف.

7- قول الصحابي.

8- الاستقراء.

9- أقل ما قيل<sup>1</sup>.

#### 4- منهج الإمام أحمد بن حنبل:

وأما الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، فقواعد مذهبه شديدة القرب من قواعد مذهب الإمام الشافعي؛ فقد ذكر ابن القيم في كتابه القيم إعلام الموقعين أصول مذهب الإمام أحمد، فكان مما قال: «كان فتاويه [أي فتاوى الإمام أحمد] مبنية على خمسة أصول:

أحدها: النصوص، فإذا وجد النص أفتى بموجبه، ولم يلتفت إلى ما خالفه، ولا من خالفه، كائناً من كان...

الأصل الثاني: ما أفتى به الصحابة، فإنه إذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها لم يعدّها إلى غيرها، ولم يقل إن ذلك إجماع؛ بل من ورعه في العبارة يقول: لا أعلم شيئاً يدفعه، أو نحو هذا...

---

1 - انظر: «أبحاث في أصول الفقه الإسلامي» أ. د. مصطفى سعيد الحن، ص 207. و«الشافعي،

حياته وعصره-آراؤه وفقهه» الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، (د. ط)،

1996م، ص 166 وما بعدها.

الأصل الثالث: إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج عن أقوالهم، فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها ولم يجزم بقول.

الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف، إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، وهو الذي رجحه على القياس، وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ولا ما في روايته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب إليه، فالعمل به؛ بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح، وقسم من أقسام الحسن، ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف؛ بل إلى صحيح وضعيف، وللضعيف عنده مراتب، فإذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه، ولا قول صاحب، ولا إجماع على خلافه، كان العمل به عنده أولى من القياس، وليس أحدٌ من الأئمة إلا وهو موافقه على هذا الأصل من حيث الجملة، فإنه ما منهم أحد إلا وقد قدّم الحديث الضعيف على القياس.

والأصل الخامس: القياس للضرورة؛ فإذا لم يكن عند الإمام أحمد في المسألة نصٌّ، ولا قول الصحابة، أو واحد منهم، ولا أثرٌ مرسل أو ضعيف، عدل إلى الأصل الخامس - وهو القياس - فاستعمله للضرورة...»<sup>1</sup>.

ونخلص إلى أن المصادر الأصولية المعتمدة عند الحنابلة، وهي المبثوثة في كتبهم هي على النحو الآتي:

#### 1- القرآن الكريم.

---

1 - انظر: «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، حق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م، ج1، ص24-26.

2- السنة.

3- الإجماع.

4- قول الصحابي (دون مخالف له من الصحابة).

5- القياس

6- المصلحة المرسلّة.

7- الاستصحاب.

8- سد الذرائع<sup>1</sup>.

5- منهج المدرسة الظاهرية: الإمام داود ومجدد مذهبه ابن حزم الظاهري:

إن المذهب الظاهري من المذاهب الإسلامية ذات الأثر التي لا يزال لها بين أهل السنة أتباع، وقد وقع أشد أنواع الخلاف بين الظاهرية وبين الحنفية ثم المالكية، ثم الحنابلة، ثم الشافعية، وقد كان داود يعترف للشافعي بكثير من الفضل<sup>2</sup>.

وأبرز سمات المنهج الظاهري:

يتسم المنهج الظاهري في التعامل مع المصادر الأصولية والنصوص الشرعية وآلية استنباط الأحكام الفرعية منها بسمات عدة من أهمها ما يأتي:

---

1 - انظر: «ابن حنبل، حياته وعصره - آراؤه وفقهه» الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، (د. ط)، 1427 هـ - 2006 م، ص 164. و«أبحاث حول أصول الفقه الإسلامي، تاريخه وتطوره»: أ. د. مصطفى سعيد الحزن، (ت 2008 م)، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط 1، 1420 هـ - 2000 م ص 245-265.

2 - انظر: «أدب الاختلاف» أ. د. طه جابر العلواني، ص 98.

- 1- التمسك بظواهر آيات القرآن الكريمة والسنة وتقديمها على مراعاة المعاني والحكم والمصالح التي يظن لأجلها أنها شرعت.
  - 2- لا يُعْمَل بالقياس عندهم ما لم تكن العلة منصوصة في المحل الأول (المقيس عليه)، ومقطوعاً بوجودها في المحل الثاني (المقيس)، بحيث ينزل الحكم منزلة (تحقيق المناط).
  - 3- يحرم العمل بالاستحسان.
  - 4- يستدل بالإجماع الواقع في عصر الصحابة فقط.
  - 5- لا يعمل بالمرسل والمنقطع.
  - 6- لا يعمل بشرع من قبلنا.
  - 7- لا يحل لأحد العمل بالرأي لقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38].
  - 8- تعدية الحكم المنصوص عليه إلى غيره هو تعدد حدود الله تعالى.
  - 9- لا يحل لأحد القول بالمفهوم المخالف.
  - 10- التقليد حرام على العامي كما هو حرام على العالم، وعلى كل مكلف بذل جهده الذي يقدر عليه من الاجتهاد. وإلى غير ذلك من السمات التي ميزت المنهج الظاهري عن غيره من مناهج الأصوليين، مما سيتضح بيانه على نحو أجلى عبر هذا البحث بإذن الله تعالى ومعونته وحوله وقوته.
- ونخلص إلى أن المصادر الأصولية المعتمدة عند الظاهرية هي:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- السنة.
- 3- الإجماع.
- 4- الدليل المأخوذ من الإجماع، وهو أربعة أقسام:
  - 1- الاستصحاب.
  - 2- أقل ما قيل
  - 3- وإجماعهم على ترك قولة ما.
  - 4- وإجماعهم على أن حكم المسلمين سواء، وإن اختلفوا في حكم كل واحدة منها.
- الدليل المأخوذ من النص، وهو سبعة أقسام:
  - 5- مقدمتان تنتج نتيجة ليست منصوصة في إحداهما،
  - 6- شرطٌ معلق بصفة، فحيث وجد فواجب ما عُلّق بذلك الشرط.
  - 7- لفظٌ يُفهم منه معنى فيؤدى بلفظ آخر، وهو ما يعبر عنه بـ«المتلئات».
  - 8- أقسامٌ تبطل كلها إلا واحداً فيصح ذلك الواحد.
  - 9- قضايا واردة مدرّجة؛ فيقتضي ذلك أن الدرجة العليا فوق التالية لها بعدها، وإن كان لم ينص على أنها فوق التالية.

10- «عكس القضايا»، وذلك أن الكلية الموجبة تنعكس  
جزئية أبدًا.

11- لفظ ينطوي فيه معاني جمة.

بناءً على ما سبق فإن أصول المذهب الظاهري تتألف من أربعة عشر- أصلًا،  
تشكل بمجموعها العمود الفقري للمذهب، وتشكل سماته ومعاله التي ميزته عن  
بقية المذاهب الأخرى.

وقد اقتفى كل صاحب مذهب من تلك المذاهب الخمسة قواعد وأصولاً بنى  
عليها فقهه، وانطلق منها في فتواه، وفيما اتبع من أحكام ومسائل تتسق مع فهمه  
تلك القواعد والأصول، فاتفقوا في بعض الأصول، واختلفوا في بعضها، وجاء  
اختلافهم في الفروع الفقهية تبعاً لاختلافهم في تلك الأصول، وتبعاً لفهومهم  
لها، مما سيأتي بيانه في تفاصيل هذه الرسالة، وذلك أمر طبيعي لا غبار عليه؛ إذ  
الأفهام تتباين، والرؤى تختلف، وما كان بينهم من اختلاف إنما هو في المسائل  
التي يجوز الاختلاف فيها، أما الثوابت وما هو معلوم من الدين بالضرورة، فذلك  
موطن اتفاقهم، وموضع توافقهم.

## الفصل الثاني:

### المذهب الظاهري

ويشمل على مبحثين:

- المبحث الأول: مؤسس المذهب الظاهري - داود بن علي.
- المبحث الثاني: هل يُعتدُّ بخلاف الظاهري في إجماع العلماء؟!

## الفصل الثاني - المبحث الأول:

### مؤسس المذهب الظاهري - داود بن علي<sup>1</sup>

نشأ المذهب الظاهر في بغداد في أوائل القرن الثالث الهجري على يد الإمام داود ابن علي بن خلف الأصبهاني «نسباً» البغدادي «مقاماً»؛ «فهو أول من أظهر انتحال الظاهر، ونفى القياس في الأحكام قولاً واضطر إليه فعلاً فسماه دليلاً»<sup>2</sup>.

---

1 - انظر: «الفهرست» لابن النديم أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق المعروف بالوراق (ت: 385 هـ)، حق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1997 م، ص 267. و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (ت: 463 هـ)، ج 8، ص 366 - 371. و«طبقات الفقهاء» لأبي إسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف، (ت: 476 هـ)، حق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط 1، 1970، ج 1، ص 92. و«الأنساب» للسمعي أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت: 562 هـ)، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية - دار الجنان، ج 4، ص 99. و«وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت: 681 هـ)، حق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1، 1994 م، ج 2، ص 255. و«ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للإمام الذهبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748 هـ)، حق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ج 2، ص 15. و«تذكرة الحفاظ» شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998 م، ج 2، ص 115. و«البداية والنهاية» للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: 774 هـ)، حق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1408 هـ - 1988 م، ج 11، ص 56. و«لسان الميزان» أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ)، حق: دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 2، 1971 م، ج 2، ص 422. و«الأعلام» خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 5، 1980، م ج 2، ص 333.

2 - انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 8، ص 370.

وهو إمام أهل الظاهر؛ قال الذهبي<sup>1</sup>: «الإمام، البحر، الحافظ، العلامة، عالم الوقت، أبو سليمان البغدادي، المعروف بالأصبهاني، مولى أمير المؤمنين المهدي، رئيس أهل الظاهر»<sup>2</sup>.

### مولد داود الظاهري مؤسس المدرسة الظاهرية

ذكر لمولده عامان، فقد ذكر الخطيب البغدادي أن مولده كان سنة مئتين: «ولد داود بن علي الأصبهاني وإسماعيل بن إسحاق القاضي<sup>3</sup> في سنة مئتين»<sup>4</sup>. وذكر أبو إسحاق الشيرازي أنه: «كان مولده سنة اثنتين ومئتين»<sup>5</sup>.

والإمام داود أصبهاني الأصل، سكن بغداد، وكان من أهل قاشان بلدة عند أصبهان<sup>1</sup>. قال عنه ابن حزم: «إنما عُرف بالأصبهاني؛ لأن أمّه أصبهانية، وكان

---

1 - هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، الإمام العلامة الحافظ شمس الدين، أبو عبد الله الذهبي، حافظ لا يجارى، أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، أكثر من التصنيف. ومن كتبه: سير أعلام النبلاء، وميزان الاعتدال، وغيرها التصانيف التي أفادت الأمة، توفي سنة 748 هـ. انظر ترجمته في: «فوات الوفيات» محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت 764 هـ)، حق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1، (1973-1974م) ج 3، ص 315 وما بعدها.

2 - «سير أعلام النبلاء» شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748 هـ)، حق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1985 م، ج 13، ص 97.

3 - هو: القاضي إسماعيل بن إسحاق الأزدي الإمام، العلامة، الحافظ، المالكي، قاضي بغداد، وصاحب التصانيف (ت 282 هـ). انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 13، ص 339.

4 - «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 2، ص 422. وج 8، ص 371.

5 - «طبقات الفقهاء» لأبي إسحاق الشيرازي، ج 1، ص 92.

عراقياً، كتب ثمانية عشر ألف ورقة<sup>2</sup>. وقد كان مولده بالكوفة، ومنشؤه ببغداد، وبها قبره<sup>3</sup>. وقد ولد داود في أوائل القرن الثالث الهجري وكانت دولة بني العباس في عنفوان شبابها وعلى رأسها الخليفة المأمون بن الرشيد. فعاصر ثمانية من الخلفاء العباسيين، وهم:

1. المأمون (198 – 218 هـ)،
2. المنتصر (247 – 248 هـ)،
3. والمعتصم (218 – 227 هـ)،
4. والمستعين (248 – 252 هـ)،
5. والواثق (227 – 232 هـ)،
6. والمهتدي (252 – 256 هـ)،
7. والمتوكل (232 – 247 هـ)،
8. والمعتمد (256 – 279 هـ)<sup>4</sup>.

### طلبه للعلم ورحلاته

تخرّج داود على تلاميذ الشافعي، والتقى بكثير من أصحابه، وكان معجباً أشدّ الإعجاب بالشافعي. وله في فضائل الشافعي مصنف، قال عنه أبو إسحاق الشيرازي: «كان من المتعصبين للشافعي وصنّف كتابين في فضائله والثناء

---

1 - أصبهان: إقليم من بلاد فارس، وهو مدينتان: اليهودية وشهرستان. معناها بالفارسية بلد الفرسان، والباء فيها ليست بخالصة ولذلك يكتبها بعض الناس بالفاء، انظر: «الروض المعطار» محمد الحميري (ت 900 هـ)، حق إحسان عباس، ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980م، ص 43. «الأنساب» للسمعاني، ج4، ص 99.

2 - انظر: «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للإمام الذهبي، ج2، ص 15.

3 - «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج 2، ص 422.

4 - «الإمام داود الظاهري وأثره في الفقه الإسلامي» د. عارف خليل محمد أبو عيد، دار الأرقم، حولي-الكويت، ط1، 1404هـ، 1984م، ص 19.

عليه<sup>1</sup>. وقال علي بن عمر: «قرأت في كتاب داود بن علي الأصبهاني الذي صنّفه في فضائل الشافعي وذكر فيه أصحابه الذين أخذوا عنه»<sup>2</sup>. وفي ذلك دلالة على أن داود بدأ شافعيًا، ونهل من مذهب الإمام الشافعي، وعرف نهجه، ووقف على مراميه، ثم بعد ذلك تحول عنه.

وقد سمع الكثير من محدثي عصره، وسمع من المقيمين ببغداد، ورحل إلى غير المقيمين ببغداد<sup>3</sup>. إذ كانت الرحلة في طلب العلم مسلّكًا التزمه طلاب العلم آنذاك، يلتمسون به طريقًا إلى الجنة كما أخبر بذلك النبي ﷺ<sup>4</sup>؛ لذا فقد اقتفى هذا النهج، حيث رحل إلى البصرة وأخذ عن علمائها، قال ابن فرحون في ترجمة قاضي بغداد إسماعيل بن إسحاق المالكي: «وأخرج داود بن علي من بغداد إلى البصرة لإحداثه منع القياس»<sup>5</sup>. فواصل أسفاره إلى أن حطّ به الرحيل إلى نيسابور، فسمع من إسحاق بن راهويه «المسند» و«التفسير»، ثم قدّم بغداد فسكنها وصنّف كتبه بها<sup>6</sup>. وكانت بغداد محطته ومستقرّه، وقد شهدت مولد مذهبه الجديد، وخلاصة ما جمعه من علم جم على يد أكابر أهل العلم في عصره.

---

1 - «طبقات الفقهاء» لأبي إسحاق الشيرازي، ج 1، ص 92. وانظر: «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان، ج 2، ص 255.

2 - «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 10، ص 448.

3 - «ابن حزم» محمد أبو زهرة، ص 226.

4 - أخرجه مسلم في «صحيحه»، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: 38 - (2699).

5 - «الدباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» لابن فرحون إبراهيم بن محمد اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 94.

6 - انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 8، ص 366. و«الأنساب» للسمعاني، ج 4، ص 99.

## مكانته العلمية

بذل داود في طلب العلم حياته مرتحلاً من عالم إلى عالم، حتى تكونت شخصيته العلمية التي لم تذب في شخصية غيره، فجاءت آراؤه وعليها ميسم شخصيته التي ترفض التقليد وتمقته. وقد كان داود جريئاً فصيح اللسان، قال مسلمة بن قاسم: «كان داود من أهل الكلام والحجة والاستنباط لفقه الحديث، صاحب أوضاع، ثقة إن شاء الله»<sup>1</sup>. وإليه انتهت رياسة العلم ببغداد<sup>2</sup>.

وتتجلى مكانته العلمية وقدرته في بسط الحجة في واقعة يحكيها أبو عمرو الطبري إذ يقول: «جُمع بين داود بن علي الأصبهاني وبين محمد بن علي بن عمار الكُرَيني ببغداد في مسجد الجامع، يتناظران في خبر الواحد، وكان الكُرَيني ينفي العمل به، وكان [داود] يحتج للعمل به، ويبالغ في ثبوته، فاجتمع الناس عليهما، وأخذت الكُرَيني الحجارة من كل ناحية، حتى هرب من المسجد، فسئل بعد ذلك عن خبر الواحد، فقال: أما بالحجارة والآجر فإنه يُوجب العلم والعمل جميعاً»<sup>3</sup>.

ومما يدل على بسط مكانته العلمية وازدياد عدد المتبعين المذهب الظاهري في بغداد ما روي أنه: قدم أحمد بن الحسين أبو سعيد البردعي الحنفي بغداد حاجاً، فدخل الجامع، ووقف على داود بن علي صاحب الظاهر وهو يكلم رجلاً من

---

1 - «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج 2، ص 423.

2 - «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للذهبي، ج 2، ص 15. وانظر: «البداية والنهاية» لابن كثير الدمشقي، ج 11، ص 56.

3 - «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبي محمد، محيي الدين الحنفي (ت 775هـ)، مير محمد كتب خانه، كراتشي، (د. ط)، (د. ت)، ج 1، ص 111.

أصحاب أبي حنيفة، وقد ضعف في يده الحنفي، فجلس فسأله عن بيع أمهات الأولاد، فقال: يجوز. فقال له: لِمَ قلت؟ قال: لأنّا أجمعنا على جواز بيعهن قبل العلوق، فلا نزول عن هذا الإجماع إلا بإجماع مثله. فقال له: أجمعنا بعد العلوق قبل وضع الحمل أنه لا يجوز بيعها، فيجب أن نتمسك بهذا الإجماع، ولا نزول عنه إلا بإجماع مثله، فانقطع داود. قال: ننظر في هذا. وقام أبو سعيد فعزم على القعود ببغداد والتدريس لما رأى من غلبة أصحاب الظاهر<sup>1</sup>.

### أسرة داود الظاهري<sup>2</sup>:

نشأ داود في بيت علم، فأبوه كان كاتباً لقاضي أصبهان، وأخوه كان محدثاً روى الحديث وروى عنه، وأبوه هو: علي بن خلف، وكان يتولى كتابة عبد الله بن خالد الكوفي، قاضي أصبهان أيام المأمون؛ وكان أبوه حنفياً<sup>3</sup>.

وقد ذكرت كتب التاريخ أخاه محمد بن علي بن خلف، قال الخطيب: «هو أخو داود بن علي الأصبهاني الفقيه، سكن بغداد، وحدث بها عن أبي معمر الهذلي<sup>4</sup>. روى عنه عمر بن الحسن بن الأشثاني<sup>1</sup>»<sup>2</sup>.

---

1 - انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 4، ص 321.

2 - انظر: «الأنساب» للسمعاني، ج 4، ص 99 - 100.

3 - انظر: «الوافي بالوفيات» لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: 764هـ)، حق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان، 2000 م، ج 13، ص 296-299.

4 - هو: إسماعيل بن إبراهيم بن معمر بن الحسن أبو معمر الهذلي الهروي، سكن بغداد، سمع أبا أسامة حماد بن أسامة، روى البخاري عن محمد بن عبد الرحيم عنه في صفة النبي ﷺ، مات يوم الإثنين =

وقد حمل العلم عن داود بعده ابنه: أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني القاشاني، كان عالماً أديباً وشاعراً ظريفاً، صاحب كتاب «الزهرة»<sup>3</sup>، وصفه ابن خلكان فقال: «هو مجموع أدب، أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر رائع». وهو واحد من الكتب الفريدة في بابهِ. وله أخبار ومناظرات مع أبي العباس بن سريج الشافعي بحضرة القاضي أبي عمر يوسف مثبته مسطورة لحسنها. تميّز اللثام عن ألمعيته، وتفتق ذهنه، وسرعة بديته، وقوة أدلته، وشدة بلاغته. وكان عالماً في الفقه<sup>4</sup>.

قال عنه ابن حزم: «كان ابن داود من أجمل الناس، وأكرمهم خلقاً، وأبلغهم لساناً، وأنظفهم هيئةً، مع الدين والورع، وكلّ خلة محمودة، محبباً إلى الناس، حفظ القرآن وله سبع سنين، وذاكر الرجال بالآداب والشعر وله عشر سنين، وكان

- 
- =النصف من جمادى الأولى سنة 236، قاله البخاري. «الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسادات» أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي (ت: 398هـ)، حق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 1407، ج 1، ص 64 - 65.
- 1 - هو: عمر بن الحسن بن علي بن إبراهيم، أبو الحسن ابن الأشثاني: قاض له علم بالحديث، ضعّفه الدارقطني. مولده ببغداد 259هـ. ولي القضاء بنواحي الشام مدة، وببغداد ثلاثة أيام وعزل، وتوفي 339 هـ. انظر: «الأعلام» للزركلي، ج 5، ص 43. و«لسان الميزان» لابن حجر، ج 4، ص 290.
- 2 - «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 3، ص 280.
- 3 - كتاب «الزهرة»، مطبوع في جزأين، أحدهما: في الحب، وقد طبع بتحقيق: نيكل وطوقان (1932)، والثاني: في التقوى، وقد طبع في بغداد (1975) بتحقيق الدكتورين: إبراهيم السامرائي، ونوري حمودي القيسي. انظر: حاشية «رسائل ابن حزم» بتحقيق د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج 1، ص 93.
- 4 - انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان، ج 4، ص 259.

يُشاهد في مجلسه أربع مئة صاحب محبرة، وله من التأليف: كتاب «الإنذار والإعذار»، وكتاب «التقصي-» في الفقه، وكتاب «الإيجاز» في الفقه، ولم يتم، وكتاب «الانتصار من محمد بن جرير الطبري»<sup>1</sup>، وكتاب «الوصول إلى معرفة الأصول»، وكتاب «اختلاف مصاحف الصحابة»، وكتاب «الفرائض»، وكتاب «المناسك»<sup>2</sup>. وكان يُلقَّب بـ «عصفور الشوك» لنحافته وصفرة لونه<sup>3</sup>.

مات أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني الظاهري والقاضي يوسف بن يعقوب في يوم واحد: في يوم الإثنين، لسبع خلون من شهر رمضان، سنة سبع وتسعين ومئتين، وقيل: مات محمد بن داود لسبع خلون من شوال من السنة نفسها، رحمه الله تعالى<sup>4</sup>.

### شيوخ داود الظاهري:

نشأ داود في زمن فيه جل علماء الأمة في حاضرة العلم والمعرفة في بغداد، واستطاع أن يكون له بينهم مكانة وذكرًا، وقد تخرَّج داود على تلاميذ الشافعي،

---

1 - وكان أبو جعفر الطبري قد كتب كتابًا سمَّاه «الرد على ذي الأسفار» يردّ فيه على داود بن علي الأصبهاني، بعد أن لازمه مدة، وكتب من كتبه كثيرًا، ثم تخلف عنه وعقد لنفسه مجلسًا خاصًا به. انظر: «معجم الأدباء» لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626 هـ)، حق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1993 م، ج 6، ص 2460.

2 - انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 13، ص 109 - 116. وانظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 5، ص 256 - 263، و«طبقات الفقهاء» للشيرازي، ج 1، ص 175 - 176، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان، ج 4، ص 259 - 261، و«الوافي بالوفيات» للصفدي، ج 3، ص 48.

3 - «الوافي بالوفيات» للصفدي، ج 3، ص 48.

4 - انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان، ج 4، ص 261.

كما أسلفنا، وقد أتيح له أن ينهل العلم من أكابر علماء الأمة، فقد سمع كثيراً من محدثي عصره، وسمع من المقيمين ببغداد ومن غير المقيمين بها.

قال الذهبي: «سمع: سليمان بن حرب<sup>1</sup>، وعمرو بن مرزوق<sup>2</sup>، والقعنبي<sup>3</sup>، ومحمد بن كثير العبدي<sup>4</sup>، ومسدد بن مسرهد<sup>1</sup>، وإسحاق بن راهويه<sup>2</sup>، وأبا ثور

---

1 - الإمام الثقة الحافظ، شيخ الإسلام، أبو أيوب، قاضي مكة. سكن البصرة، ووفد ببغداد فحدث بها، كان ثقة كثير الحديث، وقد ولي قضاء مكة ثم عزل فرجع إلى البصرة فلم يزل بها حتى توفي سنة 224 هـ. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 10، ص 330-334، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 9، ص 34-38. و«وفيات الأعيان» للصفدي، ج 2، ص 418-420، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 1، ص 287. و«تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط 1، 1326 هـ، ج 4، ص 180.

2 - محدث صدوق. روى عن عون بن أبي شداد وغيره. حدث عنه: مسلم بن إبراهيم، وأبو الوليد، وأبو عمر الحوضي، وأبو سلمة. قال ابن معين: ليس به بأس. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 10، ص 420. و«ميزان الاعتدال» للذهبي، ج 3، ص 288، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني، ج 8، ص 101-102.

3 - الإمام الثبت القدوة، شيخ الإسلام، نزيل البصرة، ثم مكة. مولده بعد سنة ثلاثين ومئة بيسير، وقال أبو حاتم الرازي: ثقة حجة لم أر أخشع منه. وكان يسمى «الراهب» لعبادته وفضله. وتوفي بالبصرة سنة 221 هـ. انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327 هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ج 5، ص 181. و«سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 10، ص 257-258. و«تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني، ج 6، ص 31.

4 - محمد بن كثير الحافظ الثقة، أبو عبد الله العبدي البصري، صاحب حديث ومعرفة، وطال عمره، وحديثه مخرج في الصحاح كلها، وكان تقياً فاضلاً يخضب، توفي سنة 223 هـ. انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي، ج 8، ص 70، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 10، =

الكلبي<sup>3</sup>، والقواريري<sup>1</sup>، وطبقتهم. وارتحل إلى إسحاق [بن راهويه]، وجمع وصنف، وتصدر، وتخرج به الأصحاب<sup>2</sup>.

---

=ص 383-384. و«ميزان الاعتدال» للذهبي، ج 4، ص 18، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني، ج 9، ص 416.

1 - مسدد بن مسرهد بن مسربل، الإمام الحافظ الحجة أبو الحسن الأسدي البصري، ولد في حدود الخمسين ومئة، وكان من الأئمة الأثبات. حدث عنه: البخاري، وأبو داود، وغيرهما كثير، توفي سنة 228 هـ. انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، المعروف بابن سعد (ت: 230 هـ)، حق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1، 1968 م، ج 7، ص 307، و«التاريخ الكبير» لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (المتوفى 256 هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، ج 8، ص 72. و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي، ج 8، ص 438. و«سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 10، ص 591 وما بعدها. و«تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 2، ص 8، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني، ج 10، ص 107.

2 - إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمي الحنظلي المروزي، أبو يعقوب، الملقب بابن راهويه، الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفاظ، نزيل نيسابور. كان مولده في سنة 161 هـ. وقد ارتحل في سنة 184 هـ، ولقي الكبار، وكتب عن خلق من أتباع التابعين، وسئل الإمام أحمد عنه فقال: مثل إسحاق يُسأل عنه؟! إسحاق عندنا إمام. وقال: لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيرًا. وكان أحد الأعاجيب في الحفظ؛ قال هو عن نفسه: أحفظ سبعين ألف حديث، وأذاكر بمئة ألف حديث، وما سمعتُ شيئًا قط إلا حفظته، ولا حفظتُ شيئًا فنسيته. وقد كان مع حفظه إمامًا في التفسير، رأسًا في الفقه، من أئمة الاجتهاد. وتوفي ليلة نصف شعبان سنة 238 هـ، وله سبع وسبعون سنة. انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 6، ص 345-355. و«سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 11، ص 358-383. و«الوافي بالوفيات» للصفي، ج 8، ص 251.

3 - إبراهيم بن خالد، الإمام الحافظ الحجة المجتهد، مفتي العراق، أبو ثور، الكلبي البغدادي الفقيه، كان أحد الثقات المأمونين، ومن الأئمة الأعلام في الدين، وله كتب مصنفة في الأحكام، جمع فيها بين الحديث والفقه، كان أولًا يتفقه بالرأي على مذهب الإمام أبي حنيفة، حتى قدم الشافعي

وفي مجالس المناظرة التي كانت تعقد له في نيسابور قال مكّي بن عبدان: «وافى داود بن علي الأصبهاني نيسابور أيام إسحاق بن راهويه، فعقدوا له مجلس النظر، وحضر مجلسه يحيى بن الذهلي، ومسلم بن الحجاج، فجرت مسألة تكلم فيها يحيى، فزبره داود. قال: اسكت يا صبي، ولم ينصره مسلم. فرجع إلى أبيه، وشكا إليه داود. فقال أبوه: ومن كان ثم؟ قال: مسلم، ولم ينصرني. قال: قد رجعت عن كل ما حدثته به. فبلغ ذلك مسلماً، فجمع ما كتب عنه في زنييل، وبعث به إليه، وقال: لا أروي عنك أبداً»<sup>3</sup>.

قال داود بن علي: «دخلت على إسحاق وهو يحتجم، فجلست، فرأيت كتب الشافعي، فأخذت أنظر، فصاح بي إسحاق: أيش تنظر؟ فقلت: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ [يوسف: 79]. قال: فجعل يضحك، أو يتبسم. وسمع منه داود «المسند» و«التفسير»، وناظر عنده»<sup>4</sup>.

---

بغداد، فاختلف إليه، ورجع عن الرأي إلى الحديث. توفي في صفر سنة 240 هـ، ودفن ببغداد. انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 6، ص 65-69. و«سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 12، ص 72-76، و«تذكرة الحفاظ» للإمام الذهبي، ج 2، ص 74، و«ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للذهبي، ج 1، ص 29-30، و«الوافي بالوفيات» للصفدي، ج 5، ص 226، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر، ج 1، ص 118-119.

1 - عبيد الله بن عمر بن ميسرة القواريري، ويكنى أبا سعيد، وهو من أهل البصرة، وقدم بغداد فنزلها، وكان كثير الحديث، ثقة، وتوفي ببغداد سنة 235، وله 84 سنة. انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى»

لابن سعد، ج 7، ص 350. و«سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 11، ص 442.

2 - انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 13، ص 98.

3 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 12، ص 571-572.

4 - المرجع السابق، ج 13، ص 98-99.

## تلاميذ داود الظاهري:

حمل العلم عن داود مجموعة من الطلاب الأفاضل، وكان في مجلسه أربع مئة صاحب طيلسان<sup>1</sup>. وقيل: إنه كان في مجلسه أربع مئة صاحب طيلسان أخضر<sup>2</sup>. وكان على رأس هؤلاء ابنه محمد، وروى عن داود، بالإضافة إلى ابنه محمد، زكريا ابن يحيى الساجي<sup>3</sup>، ويوسف بن يعقوب بن مهران الداودي<sup>4</sup>، والعباس بن أحمد المذكور<sup>5</sup>. وأيضاً إبراهيم بن محمد الشهير «بنفطويه» أو ابن عرفة المهلب<sup>6</sup>. ومحمد ابن

---

1 - «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 2، ص 115.

2 - «طبقات الفقهاء» لأبي إسحاق الشيرازي، ج 1، ص 92.

3 - الإمام، الثبت، الحافظ، محدث البصرة وشيخها ومفتيها، أبو يحيى، مات بالبصرة سنة 307 هـ، وله كتاب اختلاف الفقهاء، وكتاب علل الحديث. انظر ترجمته في: «طبقات الفقهاء» لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت: 476 هـ)، هذبة: محمد بن مكرم ابن منظور (ت: 711 هـ)، حق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط 1، 1970 م، ص 104. و«سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 14، ص 197.

4 - يوسف بن يعقوب بن مهران أبو عيسى الفقيه الأنطاقي، حدث عن: محمد بن عثمان بن كرامة الكوفي وداود بن علي الأصبهاني. روى عنه: الزبير بن عبد الواحد وغيره... انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 14، ص 321.

5 - انظر ترجمته في: «الأنساب» للسمعاني، ج 1، ص 99، و«ميزان الاعتدال» للذهبي، ج 2، ص 15.

6 - إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي من أهل واسط، وكنيته أبو عبد الله. قال الثعالبي: لُقّب نفطويه لدمايته، وأدمته، تشبيهاً له بالنفط. وقدّر اللقب على مثال سيبويه؛ لأنه كان ينسب في النحو إليه، ويجري في طريقته، ويدرس شرح كتابه. كان عالماً بالعربية واللغة والحديث، توفي في الكوفة سنة 323 هـ. انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي، ج 1، ص 114 - 122، و«الوافي بالوفيات» للصفدي، ج 6، ص 85. وانظر في ترجمته أيضاً «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 15، ص 75 وما بعدها. و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي،

إسحاق القاساني [القاشاني]<sup>1</sup>. وقال ابن حزم: ومن أصحابه: أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن رويم<sup>2</sup>...، ثم سرد أسماء عدة من تلامذته<sup>3</sup>. وقد كان محمد بن جرير الطبري يختلف إلى داود مدة، ثم تخلف عنه، وعقد لنفسه مجلساً، فأنشأ داود يتمثل:

فلو أني بُليت بهاشمي      خُوِّلته بنو عبد المدان<sup>4</sup>  
صبرتُ على أذاه لي ولكن      تعالِيْ فانظري بمن ابتلاني<sup>5</sup>

من الوافر

---

ج 6، ص 157 وما بعدها. «الفهرست» لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت 438 هـ)، حق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1997م، ص 109.

1 - حمل العلم عن داود إلا أنه خالفه في مسائل كثيرة من الأصول والفروع، ونقض عليه ابن المغلس بكتاب سماه «القامع للمتحامل الطامع». وبعد مخالفته المذهب الظاهري انتقل إلى مذهب الشافعي وصار رأساً فيه ومتقدماً عند أهله، نظاراً. وقد رد على داود بكتاب سماه: «الرد على داود في إبطال القياس». انظر: «الفهرست» لابن النديم، ص 263، و«طبقات الفقهاء» لأبي إسحاق الشيرازي، ج 1، ص 176.

2 - هو الإمام الفقيه المقرئ، الزاهد العابد، أبو الحسن، رويم بن أحمد، وقيل: رويم بن محمد بن يزيد ابن رويم بن يزيد البغدادي، شيخ الصوفية، ومن الفقهاء الظاهرية، تفقه بداود. وهو رويم الصغير، وجده هو رويم الكبير، توفي رويم ببغداد سنة 303 هـ. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 14، 234 - 235. و«حلية الأولياء» ج 13، ص 296 - 301، و«تاريخ بغداد» ج 8، ص 429 - 431، و«طبقات الأولياء» لابن الملقن سراج الدين أبي حفص عمر ابن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: 804 هـ)، حق: نور الدين شرييه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1994 م، ص 228 - 231.

3 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 13، ص 102.

4 - هم بيت مذحج وأخوال أبي العباس السفاح. «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت 456)، حق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 1983، ص 416.

5 - المرجع السابق، ج 13، ص 100.

وقد اكتفينا بذكر مَنْ ذاع سيّطهم، وعمّ ذكرهم، وعلا في الظاهرية شأنهم،  
وقد ذكرت القاساني منهم لأهميته، على الرغم من رجوعه عن مذهب داود، فقد  
انبرى أبناء المذهب في الردّ عليه ونقضه كما فعل ابن المغلّس<sup>1</sup> وغيره.

من صفات داود الظاهري وثناء أهل العلم عليه:

حظي داود الظاهري بالعديد من شهادات رجالات عصره، تكشف عن حسن  
سيرته وسريته، وتبين مكانته العلمية، وسماته النفسية، وصفاته الأخلاقية. ومن  
أولى تلك الصفات أنه كان طالب علم نهم، سعى وارتحل في طلب العلم، ويدل  
على ذلك تعدد شيوخه في بغداد والبصرة ونيسابور.

وكان فصيحاً متكلماً حاضر البديهة؛ قال أبو بكر بن داود: سمعت أبي يقول:  
«خير الكلام ما دخل الأذن بغير إذن»<sup>2</sup>.

ومع فصاحته وقوة حجته كان جريئاً لا يهاب أحداً في إعلان ما يعتقد به، وإن  
خالف ما هو سائد متعارف عليه، قال أبو عمرو المستملي<sup>1</sup>: «رأيت داود بن علي يردُّ

---

1 - أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد المغلّس الفقيه الظاهري، له مصنفات على مذهب داود بن علي،  
أخذ العلم عن محمد بن داود، وانتهت إليه رياسة الداوديين في وقته، وانتشر عنه مذهب أهل  
الظاهر في البلاد، ولم ير مثله فيما بعد، وكان ثقةً، مأموناً، إماماً، واسع العلم، كبير المحلّ، مقدماً  
عند جميع الناس. ومنزله ببغداد على نهر مهدي، يقصده العالم من سائر البلدان. وأسهم في تعزيز  
المذهب بمجموعة من الكتب منها: كتاب «أحكام القرآن»، وتوفي في بغداد سنة 324 هـ. انظر  
ترجمته في: «الأنساب» للسمعاني، ج 9، ص 132. و«طبقات الفقهاء» لأبي إسحاق الشيرازي،  
ج 1، ص 177، و«الفهرست» لابن النديم، ص 269.

2 - «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 8، ص 368.

على إسحاق بن راهويه، وما رأيتُ أحداً قبله ولا بعده يردُّ عليه؛ هبةً له<sup>2</sup>. وما مذهب داود الذي ظهر به إلا أكبر دليل على جرأته وقوة شخصيته في طرح ما يعتقده.

وكان مع فصاحة لسانه، وحضور بديته، وقوة عارضته، فيه عقلٌ وكياسةٌ وإدراكٌ للأمر<sup>3</sup>. ومما يساق في ذلك من شهادات في رجاحة عقله وسلامة منطقته مع واسع علمه ما يقرره أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب<sup>4</sup>: «كان داود عقله أكثر من علمه»<sup>5</sup>. وقال أبو زرعة: «لو اقتصر على ما يقتصر عليه أهل العلم لظننت أنه يكمد أهل البدع بما عنده من البيان والآلة، ولكنه تعدى»<sup>6</sup>.

أضف إلى ذلك كله ورعاً وزهداً وتنسكاً، وها هو ذا الحسين بن إسماعيل المحاملي<sup>7</sup> يشهد في حقه بقوله: «رأيتُ داودَ بنَ عليٍّ يصلي، فما رأيتُ مسلماً يشبهه

---

1 - هو الحافظ، العالم، الزاهد، العابد، المجاب الدعوة، أبو عمرو أحمد بن المبارك المستملي، النيسابوري، عرف: بحمكويه. محدث نيسابور، توفي سنة 284 هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 13، ص 373.

2 - «تذكرة الحفاظ» للإمام الذهبي، ج 2، ص 115.

3 - انظر: «ابن حزم، حياته وعصره - آراؤه وفقهه» لمحمد أبو زهرة، ص 226.

4 - العلامة، المحدث، إمام النحو، صاحب (الفصيح والتصانيف)، قال الخطيب: ثقة حجة، دين صالح، مشهور بالحفظ. قال المبرد: أعلم الكوفيين ثعلب. توفي سنة 291 هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 14، ص 5.

5 - «طبقات الفقهاء» لأبي إسحاق الشيرازي، ج 1، ص 92.

6 - انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 8، ص 370.

7 - هو القاضي الإمام العلامة المحدث الثقة مسند الوقت أبو عبد الله، البغدادي المحاملي، مصنف "السنن" قال أبو بكر الخطيب: كان فاضلاً ديناً، شهد عند القضاة وله عشرون سنة، وولي قضاء

في حسنِ تواضعه»<sup>1</sup>. وقد قال ابنه أبو بكر: سمعت أبي، وقال له رجلٌ: يا أبا سليمان فعلت كذا وكذا، شكرَ الله لك، قال: بل غفرَ الله لي<sup>2</sup>.

وفي علمه بالكلام والحديث قال مسلمة بن قاسم<sup>3</sup>: «كان داود من أهل الكلام والحجة واستنباط لفقه الحديث»<sup>4</sup>. وقال النباتي<sup>5</sup> في «الحافل»: «ما ضرَّ داودَ تركُ تاركِ مذهبِه من ورائه، فرأي كلِّ أحدٍ ومذهبُه متروكٌ إلا أن يعضده قرآنٌ أو سنةٌ، وداودُ بنُ عليٍّ ثقةٌ فاضلٌ، إمامٌ من الأئمة، لم يذكره أحدٌ بكذبٍ، ولا تدليسٍ في الحديث، رحمه الله تعالى»<sup>6</sup>. فقد بلغ داود في بغداد شأواً ومكانةً ومعرفةً بالحديث حتى بلغ مرتبة الإمامة فيه، وقرن مع الإمام أحمد بن حنبل في

---

الكوفة ستين سنة، توفي سنة 330 هـ. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 15، ص 258.

- 1 - «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 8، ص 367.
- 2 - المصدر السابق، ج 8، ص 369.
- 3 - هو المحدث، الرحال، أبو القاسم الأندلسي، القرطبي، توفي سنة 353 هـ. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 16، ص 110.
- 4 - «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج 2، ص 423.
- 5 - أحمد بن محمد بن مفرج الأموي بالولاء الإشبيلي، أبو العباس النباتي العشّاب، ويعرف بابن الروميّة، واحد عصره في علمين انفرد بهما: الحديث والاستكثار من روايته، والنباتات والبحث عنها، وكلاهما كان يضطره إلى الرحلة والأسفار. وله كتب عدة فيهما، ومنها كتابه «الحافل» وهو سفر ضخّم، جعله ذيلًا لكتاب «الكامل» في الضعفاء، وكان فقيهاً ظاهرياً متعصباً لابن حزم بعد أن كان مالكيّاً، وكان بصيراً بالحديث والرجال، توفي بإشبيلية 637 هـ. انظر ترجمته في: «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 4، ص 146. و«الأعلام» للزركلي، ج 1، ص 218.
- 6 - انظر: المصدر السابق، ج 2، ص 424.

ذلك؛ فقال أبو الفضل القاضي عياض<sup>1</sup> في «مداركه»: «إن أحمد وداود من العارفين بعلم الحديث، ولا تُنكر إمامة أحدٍ منهما فيه»<sup>2</sup>.

مآخذ أهل العلم عليه:

بالرغم من زهد داود، وسعة علمه، ومعرفته بالحديث، إلا أنه لم يسلم من نقدٍ لاذعٍ من أهل العلم، ولا سيما المنهج الذي انتهجه من أخذه بالظاهر ونفيه القياس، مع الشهادة له بالفضل؛ فقد ذكره ابن أبي حاتم<sup>3</sup> فقال: «تفقه للشافعي رحمه الله تعالى، ثم ترك ذلك، ونفى القياس، وألف في الفقه على ذلك كتبًا، شدَّ

---

1 - هو: الإمام، العلامة، الحافظ الأوحّد، شيخ الإسلام، القاضي، أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو (أو عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي، الأندلسي، ثم السبتي، المالكي، تحول جدهم عمرو بن الأندلس إلى فاس، ثم سكن سبتة. هو إمام الحديث في وقته، وأعرف الناس بعلومه، وبالنحو، واللغة، وكلام العرب، وأيامهم، وأنسابهم، قال عنه ابن بشكوال: هو من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم، استقضى بسبّعة مدة طويلة، حمدت سيرته فيها، ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة، فلم يطول بها، وقدم علينا قرطبة، فأخذنا عنه. له تواليف مفيدة منها: «الشفّا في شرف المصطفى»، و«ترتيب المدارك وتقريب» وغيرها من التصانيف، توفي مغربًا بمراكش سنة 544 هـ. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 20، ص 212.

2 - «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544 هـ)، مطبعة فضالة، المغرب، ط 1، 1965 م، ج 1، ص 86.

3 - عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، أبو محمد ابن أبي حاتم التميمي الحنظلي، الإمام ابن الإمام الحافظ ابن الحافظ؛ سمع أباه وغيره. وصنف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار، وله «الجرح والتعديل» في تسعة مجلدات تدلُّ على سعة حفظه وإمامته، كان يُعدُّ من الأبدال، وقد أثنى عليه جماعة بالزهد والورع التام والعلم والعمل، وتوفي سنة 327 هـ. انظر ترجمته في «فوات الوفيات» لابن شاكر، ج 2، ص 287.

فيها عن السلف، وابتدع طريقة هجره أكثر أهل العلم عليها، وهو مع ذلك صدوق في روايته ونقله واعتقاده، إلا أن رأيه أضعف الآراء، وأبعدها من طريق الفقه، وأكثرها شذوذاً<sup>1</sup>.

وقال أبو الفضل عياض في «مداركه» بعد أن ذكر إمامة أحمد وداود في الحديث: «لكن لا يسلم لهما الإمامة في الفقه ولا جودة النظر في مأخذه، ولم يتكلما في نوازل كثيرة، وميلهما مع المفهوم من الحديث. لكن داود نهج اتباع الظاهر، ونفي القياس، فخالف السلف والخلف وما مضى - عليه عمل الصحابة فمن بعدهم، حتى قال بعض العلماء: إن مذهبه بدعة ظهرت بعد المتين. حتى أنكر عليه ذلك إسماعيل القاضي<sup>2</sup> أشد إنكار، وإذا لم يقل بالقياس، وهو أحد أركان الاجتهاد، فيما يجتهد فيما لم ينص عليه يعتمد، وليس تقصير من قصر منهج في فن بالذي يسقط رتبته عن الآخر، ولكل واحد منهم من الفضائل والمناقب ما

---

1 - انظر حاشية «الجرح والتعديل» لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 1، 1271 هـ - 1952 م، ج 3، ص 410. و«لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج 2، ص 423.

2 - هو: الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الإسلام، أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل ابن محدث البصرة؛ حماد بن زيد بن درهم الأزدي، مولاهم البصري، المالكي، قاضي بغداد، وصاحب التصانيف. وتفقه به مالكية العراق. قال أبو بكر الخطيب: كان عالماً متقناً فقيهاً، شرح المذهب، واحتج له، استوطن بغداد، وولي قضاءها إلى أن توفي سنة 282 هـ. وتقدم حتى صار علماً، ونشر - مذهب مالك بالعراق. وله تصانيف مفيدة منه «المسند» و«الموطأ» و«أحكام القرآن» لم يسبق إلى مثله، و«معاني القرآن» وغيرها. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 13، ص 339.

حشيت به الصحف، ونقله السلف والخلف. لكن نقص ركن من أركان الاجتهاد يخل به على كل حال، والله ولي الإرشاد»<sup>1</sup>.

ثم قال القاضي عياض في موضع آخر: «وأما أحمد وداود فإنهما سلكا اتباع الآثار، ونكبا عن طريق الاعتبار، ولكن داود غلا في ذلك فترك القياس جملة. فأحدث هو وأصحابه من القول بالظاهر ما خالف فيه أئمة الأمة، فخانه التمسك برفع أدلة الشريعة، وأعرض مما مضت عليه من الاجتهاد والاعتبار، وسمي ما لم يجد فيه نصاً ظاهراً عفواً، وأطلق على بعضه الإباحة، واضطربت أقوال أصحابه في ذلك لضيق المسلك فيه، فتهاقت مذهبه، واختل نظره، وجاء من أتباع الظاهر بمقالات يمج الكثير منها السمع وينكره»<sup>2</sup>.

ومما يؤخذ على داود أنه منع التقليد منعاً مطلقاً، وأجاز لكل فاهم العربية أن يتكلم في الدين بظاهر القرآن والسنة. حتى جرأ العامة على ما لا قبل لهم به، من أخذ الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة<sup>3</sup>. وبذلك تجرأ على الفقه من لا يحسن الفقه. واعتد ناس بآرائهم التي انتحلوها، وتمسكوا بظواهر النصوص، فكانوا كالخوارج الذين تعلّقوا بظواهر الألفاظ من غير تأمل وتفكير<sup>4</sup>.

---

1 - «ترتيب المدارك» لأبي الفضل عياض، ج 1، ص 86-87.

2 - المصدر السابق، ج 1، ص 91-92.

3 - انظر: مقدمة «النبد في أصول الفقه الظاهري» لابن حزم الظاهري، بتقديم وتعليق محمد زاهد بن

الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة - مصر، ط 1 عام 2000م، ص 4.

4 - انظر: «ابن حزم، حياته وعصره - آراؤه وفقهه» محمد أبو زهرة، ص 229.

## داود وموقفه من القول بخلق القرآن:

لهذا الموضوع أهمية كبيرة في دراسة حياة الإمام داود الظاهري؛ فقد كان هذا الأمر سبباً من أسباب نفور العلماء منه، وقلة المقلّدين مذهبه في عصره.

«وقبل أن نخوض في بيان رأيه فيما يتعلق بالقرآن أهو مخلوق أم قديم<sup>1</sup> نقول: القرآن بمعنى أن تلاوته محدثة لا قديمة، فمن قال: إن القرآن مخلوق أي محدث بمعنى قراءته، فكلامه سليم لا شك فيه وذلك لأن القراءة وصف للقارئ لا

---

1 - إن القول في القرآن أهو مخلوق أم غير مخلوق مستمد من مشكلة نفي الصفات ومتفرع عنها، وهذه مشكلة لم تثر في عصر الرسول ﷺ، وليس في الأحاديث الشريفة أو أقوال السلف ما يوافق أو ينافيه، ولعله حدث بعد الاستفسارات عن كيفية تكلم الله عز وجل، وقد روت بعض الكتب أن أول من قال بخلق القرآن هو إبان بن سمعان التميمي، ثم الجعد بن درهم، ويقول ابن نباتة المصري في كتابه «سرح العيون»: «إن جعداً أخذ القول بخلق القرآن من إبان بن سمعان، وأخذها إبان من طالوت ابن أعصم اليهودي. فإن صحت هذه الرواية فيكون مصدر هذا الرأي الديانات الأخرى.

ثم ورثت المعتزلة هذا القول عن الجعد والجهم؛ فكانوا يقولون بخلق القرآن، حتى إن بعضهم كان يتوسع ويكفر من يقول بقدم القرآن. وظلت هذه المشكلة تنمو وتتسع إلى عهد المأمون الخليفة العباسي، وكان الاعتزال أقرب المذاهب إلى نفسه، وحمل المأمون الناس على القول بخلق القرآن سنة 218 هـ إلى سنة 234 هـ، إلى أن بُويع المتوكل سنة 232 هـ، فلم يتحمس للقول بخلق القرآن، حتى جاءت سنة 234 هـ فنهى فيها عن القول بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الآفاق». انظر: «أبو عبد الله البخاري وصحيحه» للأستاذ الدكتور عبد الغني عبد الخالق، ص: 87، و«شرح الأصول الخمسة» للقاضي عبد الجبار بن أحمد (ت 415 هـ)، حق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1996م، ص: 528. وانظر: حاشية «الإمام داود الظاهري وأثره في الفقه الإسلامي» د. عارف خليل محمد أبو عيد، دار الأرقم، حولي-الكويت، ط1، 1404 هـ، 1984م، ص 54.

وصف الله سبحانه وتعالى، وإطلاق القرآن بمعنى القراءة قد جاء في القرآن الكريم؛ فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78] أي: قراءة الفجر، وهذا أمر بدهي لا يحتاج إلى نظر دقيق وبحث عميق<sup>1</sup>.

والآن بعد هذا الإيضاح نورد ما نُقل أو قيل عن الإمام داود في هذه المسألة:

قال محمد بن الحسين بن صبيح<sup>2</sup>: سمعت داود يقول: «القرآن مُحَدَّثٌ، ولفظي بالقرآن مخلوق»<sup>3</sup>.

وروي أن داود قدم بغداد وكان بينه وبين صالح بن أحمد [بن حنبل] حُسْنٌ، فكلَّم صالحًا أن يتلطف له في الاستئذان على أبيه، فأتى صالحُ أباه فقال له: رجلٌ سألني أن يأتيك، قال: ما اسمه؟ قال: داود. قال: من أين؟ قال: من أهل أصبهان. قال: أي شيء صناعته؟ قال وكان صالح يراوغ عن تعريفه إياه، فما زال أبو عبد الله يفحص عنه حتى فطن، فقال: هذا قد كتب إليَّ محمد بن يحيى النيسابوري<sup>4</sup> في أمره

---

1 - انظر: «الإمام داود الظاهري وأثره في الفقه» د. عارف خليل محمد أبو عيد، ص 54 - 55.  
2 - هو: أبو عبد الله: محمد بن الحسين بن صبيح، مولى النَّضر بن محمد المُرُوزِي. حَدَّثَ عَنْ: النَّضر بن مُحَمَّد. كناه أحمد بن سيار. انظر: «فتح الباب في الكنى والألقاب» لأبي عبد الله محمد بن إسحاق ابن محمد بن يحيى بن مَنَدَه العبدِي (ت: 395هـ)، حق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض، ط1، 1417هـ - 1996م، ص 500.

3 - «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للذهبي، ج 2، ص 15.

4 - محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب، الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الإسلام، وعالم أهل المشرق، وإمام أهل الحديث بخراسان، أبو عبد الله الذهلي مولا هم، النيسابوري. جمع علم الزهري، وصفه، من أجل ذلك يقال له: الزهري، ويقال له: الذهلي. حدث الجوزجاني فقال:

أنه زعم أن القرآن مُحَدَّث فلا يقربني. قال: يا أبتِ يتتفي من هذا وينكره، فقال أبو عبد الله: محمد بن يحيى أصدق منه، لا تأذن له في المصير إلي<sup>1</sup>. وقال عبد الله الوراق المعروف بجوار: «كنت أورك على داود الأصبهاني، وكنت عنده يوماً في دهليزه مع جماعة من الغرباء، فسُئِلَ عن القرآن، فقال: القرآن الذي قال الله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: 79]. وقال: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ [الواقعة: 78] غير مخلوق، وأما الذي بين أظهرنا يمسه الحائض والجنب فهو مخلوق»<sup>2</sup>. وقال الحسن بن إسماعيل المحاملي: «كان داود جاهلاً بالكلام، وقال وراق<sup>3</sup> داود: قال

---

قلت لأحمد بن حنبل: إني أريد البصرة، وقد عرفت أصحاب الحديث وما بينهم. فقال: إذا قدمت فسأل عن محمد بن يحيى النيسابوري، فإذا رأيته فالزمه، ثم قال: ما قدم علينا أحدٌ أعلم بحديث الزهري منه. قال ابن أبي حاتم: كتب أبي عن محمد بن يحيى بالري، وهو ثقة صدوق، إمام من أئمة المسلمين، وثقه أبي وسمعه يقول: هو إمام أهل زمانه. وقال النسائي: ثقة مأمون. وقال ابن أبي داود: حدثنا محمد بن يحيى، وكان أمير المؤمنين في الحديث. وأكثر عنه مسلم، ثم فسد ما بينهما، فامتنع من الرواية عنه. كان الذهلي شديد التمسك بالسنة، قام على محمد بن إسماعيل [البخاري] لكونه أشار في (مسألة خلق العباد) إلى أن تلفظ القارئ بالقرآن مخلوق، فلوح وما صرح. ولكن أبى البحث في ذلك أحمد بن حنبل وأبو زرعة والذهلي، والتوسع في عبارات المتكلمين سداً للذريعة. وقد سافر البخاري مخفياً من نيسابور، وتألم من فعل محمد بن يحيى وما زال كلام الكبار المتعاصرين بعضهم في بعض لا يلوى عليه بمفرده. توفي الذهلي سنة 258 هـ. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 12، ص 273 وما بعدها.

1 - «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 8، ص 370.

2 - انظر: المرجع السابق، ج 8، ص 371.

3 - هو: الحسين بن عبد الله بن شاعر السمرقندي وراق داود، وكان فاضلاً، ثقة، كثير الحديث، حسن الرواية. مات في سنة 282 هـ. وقد ورد أن وفاته كانت في شوال سنة 283 هـ. انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ج 8، ص 59.

داود: أما الذي في اللوح المحفوظ فغير مخلوق، وأما الذي بين الناس فمخلوق. قلت: هذا أدلُّ شيء على جهله بالكلام، فإن جماهيرهم ما فرقوا بين الذي في اللوح المحفوظ وبين الذي في المصاحف، فإن الحديث عندهم لازم لهذا ولهذا، وإنما يقولون: القائم بالذات المقدسة غير مخلوق؛ لأنه من علمه تعالى، والمنزّل إلينا مُحدّثٌ، ويتلون قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ﴾ [الأنبياء: 2]، والقرآن كيف ما تُلي أو كُتب أو سُمع فهو وحي الله وتنزيله، غير مخلوق»<sup>1</sup>.

قال الذهبي بعد سوق كلام أبي عبد الله ورّاق داود: «قلت: هذه التفرقة والتفصيل ما قالها أحدٌ قبله، فيما علمت، وما زال المسلمون على أن القرآن العظيم كلامُ الله، ووحيه وتنزيله، حتى أظهر المأمون القول: بأنه مخلوق، وظهرت مقالة المعتزلة، فثبت الإمام أحمد ابن حنبل، وأئمة السنة على القول: بأنه غير مخلوق، إلى أن ظهرت مقالة حسين بن علي الكرابيسي، وهي: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن ألفاظنا به مخلوقة، فأنكر الإمام أحمد ذلك، وعده بدعة، وقال: مَنْ قال: لفظي بالقرآن مخلوق، يريد به القرآن، فهو جهمي<sup>2</sup>. وقال أيضاً: مَنْ قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع. فزجر عن الخوض في ذلك من

---

1 - «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج 2، ص 423.

2 - الجهمية: نسبة إلى جهنم بن صفوان، يكنى أبا محرز، نشأ في سمرقند بخراسان، أطبق السلف على ذمه؛ بسبب تغاليه في التنزيه وإنكار صفات الله، وتأويلها المفضي إلى تعطيلها. وأول من حفظ عنه مقالة التعطيل في الإسلام هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهنم بن صفوان وأظهرها فنسبت إليه، قتل سنة (128 هـ)، والإمام أحمد يرى فيما يحكيه ابن جرير عنه أن من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق، فهو مبتدع. انظر حاشية: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ج 13، ص 100 - 101.

الطرفين. وأما داود فقال: القرآن محدث. فقام على داود خلقٌ من أئمة الحديث، وأنكروا قوله وبدّعوه، وجاء من بعده طائفةٌ من أهل النظر، فقالوا: كلامُ الله معنى قائمٌ بالنفس، وهذه الكتب المنزلة دالةٌ عليه، ودققوا وعمقوا، فنسأل الله الهدى واتباع الحق، فالقرآن العظيم، حروفه، ومعانيه، وألفاظه كلام رب العالمين، غيرُ مخلوق، وتلفظنا به وأصواتنا به من أعمالنا المخلوقة، قال النبي ﷺ: (زينوا القرآن بأصواتكم)<sup>1</sup>.

ولكن لما كان الملفوظ لا يستقل إلا بتلفظنا، والمكتوب لا ينفك عن كتابة، والمتلو لا يسمع إلا بتلاوة تالٍ، صعب فهم المسألة، وعسر إفراز اللفظ الذي هو الملفوظ من اللفظ الذي يعنى به التلفظ، فالذهن يعلم الفرق بين هذا وبين هذا، والخوض في هذا خطر. نسأل الله السلامة في الدين. وفي المسألة بحوث طويلة، الكف عنها أولى، ولا سيما في هذه الأزمنة المزمنة<sup>2</sup>.

وقد شكك د. عارف أبو عيد في أطروحته عن الإمام داود الظاهري في صحة نسبة القول بخلق القرآن إلى الإمام داود؛ فقال: «إني أشك فيما نسب إلى الإمام داود الظاهري من القول بأن القرآن مُحدث، وأظنه لم يخض في هذه المسألة مطلقاً، والذي يترجح لديّ أن أتباع المذاهب الأخرى أشاعوا ذلك على لسانه لتنفير الناس عنه حتى يحصروه، ويرجع سبب ذلك إلى أنه منع التقليد، ونفى

---

1 - أخرجه أحمد في «مسنده»، في مسند الكوفيين، رقم (18494)، والترمذي في «سننه»، في كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، رقم (1468)، والنسائي في «سننه»، في كتاب الافتتاح، تزيين القرآن بالصوت، رقم (1015) وغيرهم، عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

2 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 13، ص 100 - 101.

القياس، وهذا ما لا يروق لهم. ثم إن الإمام داود الظاهري كان إذا آمنَ برأي لم يهَبْ أحداً بالتصريح به؛ فقد ردَّ على إسحاق بن راهويه كما ذكرنا سابقاً، وما كان أحدٌ من معاصريه يجرؤ على الردِّ عليه، ولو كان داعياً إلى مثل ذلك لما تنصَّل منه عندما أراد الدخول على أحمد بن حنبل<sup>1</sup>. حتى لو صحت الروايات التي تشير إلى أن داود الظاهري قال: بأن القرآن الذي بين الناس مخلوق، فيمكن إرجاعها إلى عهد صباه، ومن المحتمل أن آراء داود الظاهري قد تغيرت في السنوات الأخيرة من حياته؛ إذ يلاحظ أن داود الظاهري والظاهرية عموماً أعظم تشدداً من الإمام أحمد بن حنبل في عقيدة خلق القرآن<sup>2</sup>؛ فهذا تلميذ داود الظاهري إبراهيم بن محمد بن عرفة الشهير بنفطويه<sup>3</sup> يصنّف كتاباً في الردِّ على مَنْ قال بخلق القرآن<sup>4</sup>. ثم إن داود من أشد أنصار الشافعي الذي لم يُسمع عنه وعن أتباعه مَنْ قال: القرآن مخلوق. ثم إن المعتزلة لم يترجموا له في كتبهم؛ بل وصفوه بأنه من أصحاب الحديث<sup>5</sup>. ا. هـ.<sup>6</sup>

1 - «طبقات الشافعية الكبرى» تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت 771هـ)، حق: د.

محمود محمد الطناحي و د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2،

1413 هـ، ج 2، ص 11.

2 - «أحمد بن حنبل والمحنة» بانون، ترجمة: عبد العزيز عبد الحق، دار الهلال، القاهرة، ص 87.

3 - تقدمت ترجمته، ص 65.

4 - «الفهرست» لابن النديم، ص 110.

5 - «طبقات المعتزلة» أحمد بن يحيى بن المرتضى - (ت 840)، تحقيق ونشر: مؤسسة ديفلد-ثلزر،

بيروت، ط 2، 1987 م، ص 138.

6 - انظر: «الإمام داود الظاهري وأثره في الفقه»، د. عارف أبو عيد، ص 56.

## رأي ابن حزم في مسألة خلق القرآن:

يلاحظ أن ابن حزم سوَّغ أن يمسَّ القرآنَ الجنبُ والحائضُ، ولكنه لم يقل: إنَّ القرآنَ مخلوق؛ بل قال: إنه غير مخلوق<sup>1</sup>، قولاً جازماً قاطعاً<sup>2</sup>. وهذا ما يؤكد عودة الإمام داود عما شاع عنه ونُسب إليه، وقد يكون في ذلك إشارة إلى عدم صحة ما نُسب إلى داود من القول بخلق القرآن أصلاً، والله أعلم.

## ترجيحنا في المسألة

قلت: لقد أنكرَ صالح بن الإمام أحمد ما نسب إلى الإمام داود، حين أراد داود الذي كان في عنفوان شبابه الأخذ والسماع عن الإمام أحمد فطلب الدخول عليه، كما مرَّ سابقاً، فسعى صالح في ذلك، وامتنع الإمام لما أشيع عن داود من قوله بخلق القرآن، فقال صالح لأبيه: يا أبتِ ينتفي من هذا وينكره!! فهذا القول من صالح دليلٌ على انتفاء ما أشيع عن داود، فصالحٌ صدوق، وهو أعلم بأحوال صاحبه وأقواله من الآخرين، ولو كان صالح يعلم أن ما نُسب إلى داود حقٌّ، لما كذب على أبيه بقوله السالف، ولما سعى له للدخول على الإمام أحمد، وهو يعلم

---

1 - قال الإمام أبو زهرة: إنَّ هذا يدل على أن ابن حزم لم تكن منزلته من داود منزلة التابع من المتبوع؛ بل منزلة المستقل في تفكيره، يتفقان ويختلفان، وإن اتَّحد المنهاج والينبوع الذي يستقيان منه، ويردان ورده. «ابن حزم، حياته وعصره - آراؤه وفقهه» محمد أبو زهرة، ص 229.

2 - قال ابن حزم: مسألة: والقرآن كلام الله وعلمه غير مخلوق. قال عز وجل ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: 19] فأخبر عز وجل أن كلامه هو علمه، وعلمه تعالى لم يزل غير مخلوق. «المحلى بالآثار» لابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد، حق: أحمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ج 1، ص 52.

أن أباه يكره ذلك. وإن صحَّ ذلك عنه فالراجح أن داود قال ذلك في صباه، عندما كان غراً في بدء سلوكه طريق العلم، وقد كان هذا القول هو السائد في كثير من أرجاء الدولة بدءاً من الخليفة المأمون إلى كثير من العلماء المقربين من قصر الخليفة، الذين ينهجون نهجه ويسلكون مسلكه.

ويدل على ذلك أيضاً ما ذكر عنه في نيسابور بين يدي شيخه إسحاق بن راهويه، من قيام الشيخ عليه ورده عن هذا القول وعن هذا المنزلق.

لذا فإني أعتقد - إن صحت نسبة القول بخلق القرآن إليه - أنه رجع عنه، وتاب منه، وهذا ما يؤكد صالح بن الإمام أحمد بن حنبل.

وهذا ما يفسر امتلاء مجلسه فيما بعد بأربع مئة عالم وطالب علم من أصحاب الطيلسان الأخضر، كانوا يحضرون مجلسه، ويتعلمون منه، ويتفقهون عليه، وإلا لكانوا أنكروا وشنَّعوا عليه، في حين روى عنه القول بخلق القرآن بضعة أشخاص، مقابل قبوله من علماء الأمة آنذاك، وهذا ما يفسر انتهاء رئاسة العلم إليه في بغداد، حتى غدا مذهبه رابع المذاهب الفقهية السنية، متقدماً بذلك على الإمام أحمد ومذهبه من حيث الفقه والانتشار، حتى قيَّض الله للحنابلة الإمام أبو يعلى<sup>1</sup> في

---

1 - الإمام، العلامة، شيخ الحنابلة، القاضي، أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي، الحنبلي، ابن الفراء، صاحب (العدة في أصول الفقه)، والتصانيف المفيدة في المذهب. ولد 380 هـ أفتى ودرَّس، وتخرج به الأصحاب، وانتهت إليه الإمامة في الفقه، وكان عالم العراق في زمانه، مع معرفة بعلوم القرآن وتفسيره، والنظر والأصول، وكان أبوه من أعيان الحنفية، فمات ولأبي يعلى عشرة أعوام، فلقنه مقرَّنه العبادات من (مختصر) الخرقى، فلذَّ له الفقه، وتحوَّل إلى حلقة أبي عبد الله الحسن بن حامد، شيخ الحنابلة، فصحبه أعواماً، وبرع في الفقه عنده، وتصدر بأمره للإفادة، توفي سنة 458 هـ. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 89.

القرن الخامس الهجري، فغيّر الخريطة الفقهية، وسحب البساط من تحت أقدام الظاهرية، ليحل المذهب الحنبلي محلّ المذهب الظاهري على أنه رابع المذاهب الفقهية السنية، بعد تراجع المذهب الظاهري وانحساره في المشرق شيئاً فشيئاً، مما سيأتي بيانه لدى شرونا في الحديث عن انتشار المذهب الظاهري لاحقاً إن شاء الله تعالى.

ولعله من نافلة القول أن يقال: إن داود قد اجتهد في قضية جدلية ومسألة عقدية، دسّها أعداء الإسلام؛ لبذر بذور الخلاف والشقاق والتفرقة في صفوف المسلمين، ولم يجد الرجل بداً من أن يدلي فيها بدلوه، ويطرح فيها اجتهاده، فما كان من صواب فمن توفيق الله عز وجل وفضله، وما كان من خطأ فمن الشيطان لعنه الله، فالرجل بعد اجتهاده وتقليب النظر رأى ما رأى - إن كان ما نقل عنه صواباً، سواء كان ذلك في صباه أو بعد ذلك - فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، وفق القاعدة الشرعية، وما كان يستحق كلّ الذي تعرّض له، حتى رمي بالجهل تارة، وبها هو أشنع تارة أخرى.

### تراث داود الظاهري:

قال ابن حزم: «كتب داود ثمانية عشر ألف ورقة»<sup>1</sup>. وقد كانت كتب داود مملوءة حديثاً؛ لأنّ فقهه هو فقه النصوص على نحو عام، وفقه الحديث على نحو خاص. قال الإمام الذهبي: «صنّف التصانيف، وكان بصيراً بالحديث صحيحه وسقيمه»<sup>2</sup>. ولكن لم يرو العلماء عنه إلا قليلاً، قال الخطيب: «في كتبه حديث كثير إلا أن الرواية عنه عزيزة جداً»<sup>3</sup>، مع عبادته ونسكه وكونه ثقة!

1 - انظر: «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج 2، ص 422.

2 - «تذكرة الحفاظ» للإمام الذهبي، ج 2، ص 115.

3 - «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 8، ص 366.

والسبب في عدم الرواية عنه بتقدير الشيخ أبو زهرة أمران:

أحدهما: إنكاره القياس جملةً، وبذلك خالف جمهور الفقهاء حتى أئمة السنة،  
مثل: الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن رهوايه، وغيرهما من أئمة الفقه  
والحديث.

ثانيهما: تصريحه بأن القرآن مُحَدَّثٌ، مع تصريحه بأن لا حرج في أن يمسَّ الجُنُبُ  
والحائضُ المصحفَ الشريف، وأن يتلوا القرآن، مما خالف به جمهور الفقهاء أيضًا،  
ونادى بذلك في وقت قد قرَّر فيه علماؤه أن المبتدعة هم الذين يقولون: إن القرآن  
مخلوق، فهم بهذا قد عدوه في ضمن المبتدعة<sup>1</sup>.

قلت: واقع الأمر، إنه ما كان لأهل العلم وتلاميذه أن يغضوا الطرف عن  
الرواية عن داود لهذين المأخذين، دون النظر فيما يروى عنه، فقد كان حريًا بهم  
أن ينظروا فيما روي عنه، فإن كان صوابًا أخذوه، وإن كان غير ذلك طرحوه،  
بحيث لا يضعون هذين المأخذين ستارًا على عيونهم يحجب فضل الرجل  
وعلمه، وما عساهم أن يجدوه لديه من فائدة، وهو الذي له من التأليف ما يضعه  
في منزلة علمية سامقة. حيث تقارب مؤلفاته مئة وخمسين مؤلفًا<sup>2</sup>.

وفاة الإمام داود الظاهري:

مات داود بن علي بن خلف أبو سليمان في ذي القعدة سنة سبعين ومئتين، ودفن  
في منزله، وقيل: دفن بالشونيزية، وقيل: في شهر رمضان منها يعني سنة سبعين

---

1 - انظر: «ابن حزم، حياته وعصره - آراؤه وفقهه» محمد أبو زهرة، ص 228.

2 - انظر بيان أسماء كتب داود في «الفهرست» لابن النديم، ص 267.

ومئتين، وقيل: في ذي القعدة. وقد بلغ ثمان وستين سنة<sup>1</sup>. قال محمد بن داود: «رأيت أبي داود في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وسامحني. قلت: غفر لك، ثم سامحك؟ قال: يا بني، الأمر عظيم، والويل كلُّ الويل لمن لم يُسامح»<sup>2</sup>.

رحم الله الإمام داود رحمة واسعة، فقد اجتهد ولم يأل جهداً، فكان واحداً من العلماء المجتهدين، بما حباه الله تعالى من قدرة وتمكُّن وسعة علم وجرأة جعلته يسعى في خدمة هذا الدين الذي ارتضاه الله لعباده، بما وضعه وانتهجه من مذهب ظاهري يُعد واحداً من مذاهب أهل السنة والجماعة الخمسة التي تتكامل فيما بينها، مشكّلةً لوحة فقه الإسلام، فقه الإصلاح والتيسير على الأمة.

---

1 - انظر: «تذكرة الحفاظ» للإمام الذهبي، ج 2، ص 115، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 8،

ص 371، و«وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان، ج 2، ص 255.

2 - «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، ج 8، ص 371.

## الفصل الثاني - المبحث الثاني:

### هل يُعتدُّ بخلاف الظاهري في إجماع العلماء؟!

اختلف العلماء في الاعتداد بمخالفة الظاهرية جمهور العلماء، هل يُعتدُّ خلافهم خرقاً للإجماع أو لا يُعتدُّ، حيث إن خلافهم ساقطٌ لا يخرق الإجماع؟! فمن العلماء من أهدرهم، ومنهم من اعتد بخلافهم، وبعضهم اعتد بخلافهم في الأصول دون الفروع، وبعضهم اعتد بخلافهم حتى الفروع باستثناء بعض المسائل التي شدَّ فيها أصحاب الظاهر؛ لاسيما تلك التي تتبع مبحث القياس الذي لم يأخذ به الظاهرية، مما أدى إلى صدور بعض الشناعات عنهم لعدم أخذهم بمبدأ القياس، وبيان ذلك فيما يأتي: قال الذهبي: «للعلماء قولان في الاعتداد بخلاف داود وأتباعه:

1- فَمَنْ اعتدَّ بخلافهم، قال: ما اعتدادنا بخلافهم؛ لأن مفرداتهم حجة؛ بل لتحكى في الجملة، وبعضها سائغٌ، وبعضها قويٌّ، وبعضها ساقطٌ، ثم ما تفرّدوا به هو شيء من قبيل مخالفة الإجماع الظني، وتندر مخالفتهم لإجماع قطعي.

2- وَمَنْ أهدرهم، ولم يعتدَّ بهم، لم يعدُّهم في مسائلهم المفردة خارجين بها من الدين، ولا كفرهم بها؛ بل يقول: هؤلاء في حيِّز العوام، أو هم كالشيعة في الفروع، ولا نلتفت إلى أقوالهم، ولا ننصب معهم الخلاف، ولا يُعتنى بتحصيل كتبهم، ولا ندلُّ مستفتياً من العامة عليهم. وإذا تظاهروا بمسألة معلومة البطلان، كمسح الرجلين<sup>1</sup>، أدبناهم، وعزرناهم، وألزمناهم بالغسل جزماً<sup>2</sup>.

---

1 - هذا الكلام يوحى بأن الظاهرية يقولون بمسح الرجلين بدل الغسل في الوضوء! والواقع أن ابن حزم قرر بأن غسل الرجلين فرض في الوضوء. انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 1، ص 301.

2 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 13، ص 104-105.

وقال الإمام النووي: «اختلف العلماء هل يُعتبر قوله [أي الإمام داود] في الإجماع؟ فقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني<sup>1</sup>: اختلف أهل الحق في نفاة القياس، يعني داود وشبهه، فقال الجمهور: إنهم لا يبلغون رتبة الاجتهاد، ولا يجوز تقليدهم القضاء، وهذا ينفي الاعتداد به في الإجماع.

ونقل الأستاذ أبو منصور البغدادي<sup>2</sup> من أصحابنا، عن أبي علي ابن أبي هريرة<sup>3</sup> وطائفة من الشافعيين أنه: لا اعتبار بخلاف داود وسائر نفاة القياس في الفروع، ويُعتبر خلافهم في الأصول.

وقال إمام الحرمين الجويني<sup>4</sup>: الذي ذهب إليه أهل التحقيق، أن منكري القياس لا يُعدُّون من علماء الأمة وحملة الشريعة؛ لأنهم معاندون مباحثون فيما ثبت

---

1 - هو: أبو إسحاق الإسفراييني، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، الإمام، العلامة الأوحّد، الأستاذ، الأصولي، الشافعي، الملقّب ركن الدين. أحد المجتهدين في عصره، وصاحب المصنفات الباهرة. توفي سنة 418 هـ. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 17، ص 353.

2 - هو: عبد القاهر بن طاهر أبو منصور البغدادي، العلامة، البارع، المتفنن، الأستاذ، نزيل خراسان، وصاحب التصانيف البديعة، وأحد أعلام الشافعية، كان أكبر تلامذة أبي إسحاق الإسفراييني، وكان يدرّس في سبعة عشر فنّاً، ويضرب به المثل، له كتاب (التحصيل) في أصول الفقه، توفي بإسفرايين سنة 427 هـ. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 17، ص 572.

3 - هو: الإمام، شيخ الشافعية، أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة البغدادي، القاضي، من أصحاب الوجوه. انتهت إليه رئاسة المذهب. تفقّه بآب أبي إسحاق المروزي، وصنّف شرحاً لـ (مختصر المزني). واشتهر في الآفاق. توفي سنة 345 هـ. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 15، ص 430.

4 - هو: إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ثم النيسابوري، شيخ الشافعية. صاحب التصانيف، إمام الأئمة على الإطلاق، مجمّعاً على إمامته، لم ترّ العيون مثله. تفقّه

استفاضةً وتواتراً، ولأن معظم الشريعة صادرة عن الاجتهاد، ولا تفي النصوص بعشر معشارها، وهؤلاء ملتحقون بالعوام. وذكر إمام الحرمين أيضاً في النهاية في كتاب «الكفارات» قول داود: إن الرقبة المعيبة تجزئ في الكفارة، وإن الشافعي رحمه الله نقل الإجماع أنها لا تجزئ. ثم قال [إمام الحرمين]: وعندي أن الشافعي - رحمه الله - لو عاصر داود لما عدّه من العلماء<sup>1</sup>.

قال الذهبي: « هذا القول من أبي المعالي أدّاه إليه اجتهاده، وهم فأدّاهم اجتهادهم إلى نفي القول بالقياس، فكيف يردُّ الاجتهاد بمثله؟! وندري بالضرورة أن داود كان يُقرئ مذهبه، ويناظرُ عليه، ويفتي به في مثل بغداد، وكثرة الأئمة بها وبغيرها، فلم نرهم قاموا عليه، ولا أنكروا فتاويه ولا تدريسه، ولا سعوا في منعه من بثّه، وبالحضرة مثلاً: إسماعيل القاضي<sup>2</sup> شيخ المالكية، وعثمان بن بشار الأنطاقي<sup>3</sup>

---

على والده، ودرّس مكانه بعد وفاته وله عشرون سنة، توفي سنة 487 هـ. انظر ترجمته في: «سير

أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 468 وما بعدها.

1 - «تهذيب الأسماء واللغات» لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676 هـ)، عنت بنشره: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، وطبعته دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، ص 182 وما بعدها.

2 - تقدّمت ترجمته ص 70.

3 - هو: عثمان بن سعيد بن بشار أبو القاسم الأنطاقي البغدادي الأحول، أحد أئمة الشافعية في عصره، أخذ الفقه عن المزني والربيع، وأخذ عنه: ابن سريج، قال الشيرازي في الطبقات: كان هو السبب في نشاط الناس لكتب فقه الشافعي وتحفظه، قال: ومات ببغداد سنة 288 هـ. انظر ترجمته في: «طبقات الشافعيين» لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774 هـ)، حق: د. أحمد عمر هاشم، د. محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، 1413 هـ - 1993 م، و(طبعته دار الوفاء - المنصورة، حق: أنور الباز، ط 1، 2004 م) وهي أتم من ط هاشم ص 176.

شيخ الشافعية، والمروزي<sup>1</sup> شيخ الحنبلية، وابني الإمام أحمد، وأبي العباس أحمد بن محمد البرقي<sup>2</sup> شيخ الحنفية، وأحمد بن أبي عمران القاضي<sup>3</sup>، ومثل عالم بغداد إبراهيم الحربي<sup>4</sup>؛ بل سكتوا له، حتى لقد قال قاسم بن أصبغ<sup>5</sup>: ذكرت الطبري -يعني: ابن جرير- وابن سريج<sup>6</sup>، فقلت لهما: كتاب ابن قتيبة<sup>1</sup> في الفقه أين هو عندكما؟ قالوا:

---

1 - إسحاق بن منصور بن بهرام أبو يعقوب الكوسج المروزي، ولد بمرور ودخل إلى العراق والحجاز والشام، كان إسحاق عالماً فقيهاً وهو الذي دون المسائل في الفقه عن الإمام أحمد، انظر ترجمته في «طبقات الحنابلة» أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (ت: 526هـ)، حق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ج 1، ص 113 وما بعدها.

2 - هو: القاضي، العلامة، الحافظ، الثقة، أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى بن الأزهر البرقي، البغدادي، الحنفي العابد. توفي 280 هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 13، ص 407.

3 - هو: الإمام، العلامة، شيخ الحنفية، أبو جعفر، أحمد بن أبي عمران - موسى بن عيسى البغدادي - الفقيه المحدث، الحافظ. سكن مصر وولي قضاءها مدة، وكان من بحور العلم، يوصف بحفظ وذكاء مفرط. توفي سنة 280 هـ انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 13، ص 334.

4 - هو: الشيخ، الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادي، الحربي، صاحب التصانيف. كان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، وأصله من مرو، توفي بغداد سنة 285 هـ انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 13، ص 356.

5 - قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح، الإمام، الحافظ، العلامة، محدث الأندلس، أبو محمد القرطبي، مولى بني أمية، انتهى إليه علو الإسناد بالأندلس مع الحفظ والإتقان، وبراعة العربية، والتقدم في الفتوى والحرمة التامة والجلالة، وتوالت في ابن حزم، طافحة بروايات قاسم بن أصبغ، توفي بقرطبة سنة 340 هـ. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 15، ص 472.

6 - ابن سريج، أبو العباس أحمد بن عمر البغدادي، الإمام، شيخ الإسلام، فقيه العراقيين، القاضي الشافعي، صاحب المصنفات، ولي القضاء بشيراز، وكان يفضل على جميع أصحاب الشافعي، حتى على المزني. وإن فهرست كتبه كان يشتمل على أربع مئة مصنف، وكان الشيخ أبو حامد الإسفراييني

ليس بشيء، ولا كتاب أبي عبيد<sup>2</sup>، فإذا أردتَ الفقهَ فكتبُ الشافعي، وداود، ونظرائهما.

ثم كان بعده ابنه أبو بكر، وابن المغلّس، وعدة من تلامذة داود، وعلى أكتافهم مثل: ابن سريج شيخ الشافعية، وأبي بكر الخلال<sup>3</sup> شيخ الحنبلية، وأبي

---

يقول: نحن نجري مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون دقائقه. تفقّه على أبي القاسم الأنباطي، وأخذ عنه خلق، ومنه انتشر المذهب. وكان يناظر أبا بكر محمد بن داود الظاهري، توفي بغداد سنة 306 هـ. انظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» لابن خلكان، ج 1، ص 66. و«سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 14، ص 201.

1 - هو: العلامة، الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف. نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته. ولي قضاء الدينور، وكان رأساً في علم اللسان العربي، والأخبار، وأيام الناس. توفي سنة 276 هـ. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 13، ص 296.

2 - قاضي القضاة، العلامة، المحدث، الثبت، أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب بن عيسى البغدادي. كان عالماً بالاختلاف، والمعاني، والقياس، عارفاً بعلم القرآن والحديث، فصيحاً، عاقلاً، عفيفاً، قوياً بالحق، هو قاضي مصر، أقام بها طويلاً، كان شيئاً عجيباً، ما رأينا مثله، لا قبله ولا بعده، وكان يتفق له لأبي ثور، وعزل عن القضاء سنة 311 هـ؛ لأنه كتب يستعفي من القضاء، ووجه رسوله إلى بغداد يسأل في عزله، وأغلق بابه، وامتنع من الحكم، فأعفي، فحدث حين جاء عزله، وأمل مجالس، ورجع إلى بغداد. توفي سنة 319 هـ. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 14، ص 536.

3 - الإمام، العلامة، الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال. جمع الخلال علوم أحمد وتطلبها، وسافر لأجلها، وكتبها، وصنفها كتباً، لم يكن - فيمن يتحلل مذهب أحمد - أحد أجمع لذلك منه. توفي سنة 311 هـ انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 14، ص 297.

الحسن الكرخي<sup>1</sup> شيخ الحنفية، وكان أبو جعفر الطحاوي<sup>2</sup> بمصر؛ بل كانوا يتجالسون ويتناظرون، ويبرز كل منهم بحججه، ولا يسعون بالداودية إلى السلطان. بل أبلغ من ذلك، ينصبون معهم الخلاف، في تصانيفهم قديماً وحديثاً، وبكل حال، فلهم أشياء أحسنوا فيها، ولهم مسائل مستهجنة، يشغب عليهم بها<sup>3</sup>.

وإلى ذلك يشير الإمام أبو عمرو بن الصلاح<sup>4</sup>، حيث يقول: «والذي اختاره الأستاذ أبو منصور في هذا، وذكر أنه الصحيح من المذهب: أنه يعتبر خلافه في الفقه الذي استقر عليه الأمر آخرًا، فيما هو الأغلب الأعراف من صفوة الأئمة المتأخرين الذين أوردوا مذاهب داود في إثبات مصنفاتهم المشهورة في الفروع كالشيخ أبي حامد الإسفرائيني<sup>5</sup>، وصاحبه المحاملي<sup>1</sup> وغيرهم رضي الله عنهم، فإنه لولا اعتدادهم بخلافه لما أوردوا مذاهبه في أمثال مصنفاتهم هذه لمنافاة موضوعها لذلك»<sup>2</sup>.

---

1 - الشيخ، الإمام، الزاهد، مفتي العراق، شيخ الحنفية، أبو الحسن عبيد الله بن الحسين بن دلال البغدادي، الكرخي، الفقيه. له رسالة في الأصول التي عليها مدار فروع الحنفية، كان رأساً في الاعتزال، أصابه الفالج آخر حياته، توفي ببغداد سنة 340 هـ. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 15، ص 427.

2 - الإمام، العلامة، الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، الحنجري، المصري، الطحاوي، الحنفي، صاحب التصانيف. برز في علم الحديث وفي الفقه، تفقه بالقاضي أحمد بن أبي عمران الحنفي، وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر. وتوفي سنة 321 هـ انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 15، ص 427.

3 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 13، ص 105.

4 - هو: الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو عمرو عثمان ابن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي، الشهرزوري، الشافعي، صاحب (علوم الحديث). توفي بدمشق، سنة 643 هـ. انظر ترجمته «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 23، ص 140.

5 - الأستاذ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفرائيني، شيخ الشافعية ببغداد. توفي سنة 406 هـ. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 17، ص 193.

وقال النووي ناقلاً قول ابن الصلاح: «والذي أجيب به بعد الاستخارة والاستعانة بالله تعالى أن داود يُعْتَبَرُ قَوْلُهُ، ويُعْتَدُّ به في الإجماع، إلا فيما خالف فيه القياس الجلي، وما أجمع عليه القياسيون من أنواعه أو بناه على أصوله التي قام الدليل القاطع على بطلانها باتفاق من سواه على خلافه إجماع منعقد، وقوله المخالف حينئذ خارج من الإجماع، كقوله في التغوط في الماء الراكد<sup>3</sup>، وتلك المسائل الشنيعة، وقوله: لا ربا إلا في الستة المنصوص عليها<sup>4</sup>، فخلافه في هذا وشبيهه غير معتد به؛ لأنه مبني على ما يقطع ببطلانه، والاجتهاد على خلاف الدليل القاطع مردود، ويتنقض حكم الحاكم به. قال الشيخ [أي ابن الصلاح]: وهذا الذي اخترته ميل إلى أن منصب الاجتهاد يتجزأ، ويكون الشخص مجتهداً في نوع دون نوع. قال: ولا فرق فيما ذكرنا بين زمن داود وما بعده، فإن المذاهب لا تموت بموت أصحابها، والله عز وجل أعلم<sup>5</sup>.

1 - هو: أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد المحاملي الفقيه الشافعي؛ أخذ الفقه عن الشيخ أبي حامد الإسفراييني وبرع فيه، رزق من الذكاء وحسن الفهم ما أربى على أقرانه، ودُرِّسَ في حياة شيخه وبعده، صنّف في المذهب «المجموع» و«المقنع» و«اللباب» و«الأوسط». وصنّف في الخلاف كثيراً، توفي سنة 415 هـ. انظر ترجمته: «الوفيات الأعيان» لابن خلكان، ج 1، ص 74-75.

2 - «فتاوى ابن الصلاح» عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت: 643 هـ)، حق: د. موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب - بيروت، ط 1، 1407 هـ، ص 207. وانظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي، ج 1، ص 183.

3 - انظر: مسألة حكم المائع إذا وقعت فيه نجاسة في «المحلى» لابن حزم، ج 1، ص 141 وما بعدها.

4 - انظر: مسألة ما يجوز فيه الربا من البيع والسلم في «المحلى» لابن حزم، ج 7، ص 401 وما بعدها.

5 - «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي، ج 1، ص 183-184. وانظر: «فتاوى ابن الصلاح» ص 207-208.

## الخلاصة وما نرجّحه في المسألة:

أرى أن خلاف الظاهرية في الأصول خلاف يُعتد به كما ذهب إلى ذلك الأستاذ أبو منصور وطائفة من الشافعية، وأما في الفروع فأرى فيها ما ذهب إليه الإمام الذهبي حيث قال: «لا ريب أن كل مسألة انفرد بها، وقُطع ببطلان قوله فيها، فإنها هدرٌ، وإنما نحكيها للتعجب، وكلُّ مسألة له عضدها نصٌّ، وسبقه إليها صاحبٌ أو تابعٌ، فهي من مسائل الخلاف، فلا تهدرُ.

وفي الجملة، فداود بن علي بصيرٌ بالفقه، عالمٌ بالقرآن، حافظٌ للأثر، رأسٌ في معرفة الخلاف، من أوعية العلم، له ذكاءٌ خارق، وفيه دينٌ متين. وكذلك في فقهاء الظاهرية جماعة لهم علمٌ باهر، وذكاءٌ قوي، فالكمال عزيز، والله الموفق»<sup>1</sup>.

---

1 - انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 13، ص 107 - 108.

## الباب الأول - الفصل الثالث:

### ابن حزم الظاهري<sup>1</sup>

#### دراسة تاريخية عن ابن حزم الظاهري

أردت في بداية البحث تقديم دراسة تعرفنا على ابن حزم وبيئته التي نشأ فيها وترعرع وأسهمت في تكوين فكره وشخصيته الفذة التي ميّزته، فكان فريداً في عقله وفكره وقلمه ومنهجه. ومقصدي في هذه الدراسة تسليط الضوء على جوانب شتى في حياته؛ ليكون ذلك بمنزلة توطئة لما سيأتي من الأبواب والفصول والمباحث؛ لذا رأيت أن أعرض مسيرة ابن حزم عبر النقاط الآتية:

- العصر الذي عاش فيه ابن حزم.

- اسمه ونسبه.

---

1 - انظر ترجمته في: «جدوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس» للحميدي، ص 308. و«وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان (681 هـ)، حق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، ج 3، ص 325-330. و«سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 184-212. و«تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 3، ص 227. و«تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للإمام محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (ت: 748 هـ)، حق: د. عمر عبدالسلام تدمري. ط 1، 1994م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ج 30 ص 403-417. و«لسان الميزان» لابن حجر (ت: 852 هـ)، ج 4، ص 724-734. «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ التلمساني (986-1041 هـ)، حق: د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط 1، 1968، ج 2، ص 77 وما بعدها. و«الأعلام» للزركلي، ج 4، ص 254. و«ابن حزم، حياته وعصره - آراؤه وفقهه» محمد أبو زهرة...

- مولده، وأسرته.
- نشأته وبيئته.
- رحلاته وتنقلاته وأحواله فيها
- صفاته الخلقية وعيوبه وكيف عالجها
- ورعه وتقواه
- طلبه للعلم
- شيوخه.
- منزلته العلمية ومواهبه.
- من تلاميذه.
- رأي العلماء فيه. (ثناء العلماء عليه وما أخذهم)
- مصنفاته ومدلولاتها.
- محنته ووفاته.

### العصر الذي عاش فيه ابن حزم:

لا بد لنا، لتكوين رؤية شاملة عن ابن حزم وطريقة تكوين فكره وشخصيته وطباعه ومزاجه، من إلقاء نظرة أو إلماحة على المرحلة التاريخية التي عاش فيها وتفاعل مع أحداثها، فالإنسان ابن بيئته يتفاعل معها ويتأثر بها وتكوّن شخصيته. هذا وقد عصفت الأحداث والأهوال في الحقبة التي عاش فيها ابن حزم، فعجنته، وشكّلت أسلوب فكره، وصنعت طبائع مزاجه، سواء في رفته التي بدت في شعره ونثره - وقد بدا ذلك جلياً في كتابه «طوق الحمامة» - أو في حدّته التي صك بها معارضيه ومخالفيه - وقد بدا ذلك في معظم تواليفه - مما

جلب عليه الوليات فيما بعد. وهكذا اجتمع النقيضان الرقة والحدة في شخص ابن حزم، وقد بلغت كل خصلة من الخصلتين مداها وغايتها في حياته.

ابن حزم وقرطبة: عاش ابن حزم بين عامي 384 هـ، و456 هـ، وقد نشأ وترعرع وقضى شطراً كبيراً من حياته في مدينة قرطبة، فهي المدينة التي أحبها، وعاش فيها طفولته وشبابه، وفيها أحبُّ أصدقائه، وهو الذي شاطرهما ما هالها من الأحداث الجسام والنكبات العظام، فعاش أحداثها التي عصفت بها، وشهدت أحداثه، عاش فيها العزَّ والجاه والرياسة والوزارة، وعاش فيها الظلم والسجن والإبعاد، فكان لقرطبة الأثر الكبير في حياته وحبه وشجونه، وأحداثها أثرت فيه وعجنت شخصيته وشكَّلتها، بلطفها ورقتها وشاعريتها من جهة، وبحدتها وعنادها وتكبرها من جهة أخرى، فسردُ بعض ما حدث بقرطبة هو سرد لشطر مهم من حياة ابن حزم، وهو سردٌ لما أَلَمَّ به فيها، إذ دخل أتون تلك الأحداث، فعركها وعركته. ويمكن تقسيم تلك الأحداث التي مرت بها قرطبة إلى أربع مراحل، هي:

1- الدولة الأموية والخلافة المروانية (316 هـ - 366 هـ).

2- الدولة العامرية (عصر الحجابة 366 هـ - 399 هـ). وفيها كانت

ولادة ابن حزم في عام 384 هـ.

3- دولة البربر (399 هـ - 422 هـ)، أي: إلى تاريخ نهاية الخلافة في

الأندلس. وفيها كانت محنة ابن حزم.

---

2- انظر: «ابن حزم الأندلسي ونقد العقل الأصولي» شرف الدين عبد الحميد أمين، دار سعاد الصباح

للنشر والتوزيع، الصفاة - الكويت. ط1، 1995 م، ص 21-30.

4- دولة ملوك الطوائف «بنو جهور، وبنو عبّاد»، وفيها كانت وفاة ابن حزم (422 هـ - 456 هـ).

### أثر العصر في فكر ابن حزم:

إن معرفتنا بالظروف السياسية الهائلة التي عاشها العلامة القرطبي وانصهر فيها لجديرة بأن تفسّر لنا كثيرًا من مواقفه وآرائه ونظرياته وملامح شخصيته، لقد كان لحوادث العصر أثرها الكبير في اكتساب ابن حزم كل هذه الحدة والعنف والصرامة التي وصفه بها معاصروه وعبر عنها معاصره ابن حيان بقوله: «فلم يك يُلطّف صدّعه بما عنده بتعريض ولا بتدريج، بل يصكُّ به مَنْ عارضه صكَّ الجنْدَل<sup>1</sup>، ويُنشقه إنشاق الخردل، فتنفّر عنه القلوب، وتُوقع به الندوب، حتى استُهدفَ لفقهاء وقته، فتمالؤوا عليه، وأجمعوا على تضليله، وشنّوا عليه، وحذّروا سلاطينهم من فتنه، ونهوا عوامّهم عن الدنو منه، فطَفّق الملوك يُقصونه عن قربهم»<sup>2</sup>.

وقال عنه أبو العباس بن العريف<sup>3</sup>: «كان لسانُ ابنِ حزم وسيفُ الحجاج بن يوسفَ شقيقين، وإنما قال ذلك لكثرة وقوعه في الأئمة»<sup>4</sup>، وإن ابن حزم فيما يرى آسين بلاثيوس بحق: «قد عاين من ألوان الظلم ما أنضب معين الرقة واللين في

---

1 - الجنْدَل: كجعفر، ما يُقلُّه الرجل من الحجارة، وقيل: هو الحجر كله. «تاج العروس» للزبيدي، مادة (ج ن د ل).

2 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 201.

3 - انظر ترجمته في «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان، ج 1، ص 168.

4 - المرجع السابق، ج 3 ص 328.

نفسه، وشاهد من مساءات الفوضى السياسية التي ضربت على الأندلس بجرانها في أيامه ما نفّر نفسه، لقد كان الرجل ابنًا شرعيًا لبيئته وعصره»<sup>1</sup>.

وهكذا كان ابن حزم مرآة انعكست عليها ملابسات عصره وأحداثه، فما وجد بدأً من أن يتأثر بهذه الملابس وتلك الأحداث، بالرغم من شاعريته التي أُشْرَجَ عليها، ورافقته في بداية رحلته مع الحياة، ولكن هذه الشاعرية وما يصاحبها من رقة ونعومة سرعان ما تحولت إلى جِدَّة وعنف بأثر مما شاهده وعاشه من أحداث جسام كان لها أكبر الأثر في فتور جذوة الشاعرية لديه، مقارنةً باتقادها أيام العز والدعة.

#### اسمه ونسبه:

هو: أبو محمد؛ عليُّ بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف ابن معدان<sup>2</sup> بن سفيان بن يزيد<sup>3</sup>، «مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب<sup>4</sup> بن أمية بن عبد شمس الأموي، المعروف بيزيد الخير، نائب أمير المؤمنين أبي حفص عمر على دمشق»، وجدّه يزيد أول من أسلم من أجداده، وأصله من فارس، وكان جدّه خلفُ بن معدان أول من دخل الأندلس من آبائه في صحابة ملك الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام<sup>5</sup>؛ المعروف بعبد الرحمن الداخل.

---

1 - انظر «ابن حزم الأندلسي ونقد العقل الأصولي» شرف الدين عبد الحميد أمين، ص 31 - 32.

2 - سقط [ابن معدان] من «معجم البلدان» أبو عبد الله شهاب الدين، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ)، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م. ج 12، ص 235.

3 - «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج 4، ص 198.

4 - «البداية والنهاية» لابن كثير، ج 15، ص 795 - 796.

5 - انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 8، ص 244.

## مولده:

كان مولده بقرطبة من بلاد الأندلس يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس، سَلَخ شهر رمضان، سنة أربع وثمانين وثلاث مئة (384) هجرية، في الجانب الشرقي منها<sup>1</sup>. قال القاضي صاعدُ بنُ أحمد: «كتب إليّ ابنُ حزم بخطه يقول: وُلِدْتُ بِقُرْطَبَةٍ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ فِي رَبَضِ مُنْيَةِ الْمَغِيرَةِ، قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ آخِرَ لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ، آخِرَ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ بِطَالِعِ الْعَقَرَبِ، وَهُوَ الْيَوْمُ السَّابِعُ مِنْ نُؤْنَيْرٍ»<sup>2</sup>.

أسرته: كان والده<sup>3</sup> أحمد بن سعيد وزيرًا جليلاً محتشماً كبير الشأن من كبراء أهل قرطبة؛ عمل الوزارة في الدولة العامرية، وكذلك وَزَرَ أبو محمد في شببته<sup>4</sup>.

وقال أبو القاسم صاعد بن أحمد: كان أبوه أبو عمر من وزراء المنصور محمد ابن أبي عامر، مدبر دولة المؤيد بالله بن المستنصر المرواني، ثم وزر للمظفر، ووزر أبو

---

1 - «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان، ج 3، ص 325. وانظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18 ص 185. وانظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 3، ص 227.

2 - انظر: «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت: 578هـ)، حق: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1955م، ج 1، ص 396. وانظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 211.

3 - أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، أبو عمر وزير الدولة العامرية، ومن أهل العلم والأدب والخير، وكان له في البلاغة يد قوية، مات قريباً من 400 هـ. انظر ترجمته في: «جدوة المقتبس» للحميدي، ص 126، و«بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس» لأبي جعفر الضبي أحمد ابن يحيى بن أحمد بن عميرة، (ت: 599 هـ)، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص 182.

4 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 186. و«تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 3، ص 228.

محمد للمستظهر عبد الرحمن بن هشام، ثم نبذ هذه الطريقة، وأقبل على العلوم الشرعية. وكانت وفاة والده أبي عمر أحمد في ذي القعدة سنة اثنتين وأربع مئة، بعد أن كان وزير الدولة العامرية، وهو من أهل العلم والأدب والخير والبلاغة، وقال ولده أبو محمد المذكور: أنشدني والدي الوزير في بعض وصاياه لي رحمه الله تعالى:

إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن على حالةٍ إلا رضيت بدونها<sup>1</sup>

أما أخوه أبو بكر فيقول عنه ابن حزم: «وأنا أخبرك عن أبي بكر أخي رحمه الله، وكان متزوجاً بعاتكة بنت قند، صاحب الثغر الأعلى أيام المنصور أبي عامر محمد بن [أبي] عامر، وكانت التي لا مرمى وراءها في جمالها، وكريم خلاها، ولا تأتي الدنيا بمثلها في فضائلها، وكانا في حد الصبا، وتمكن سلطانه، تغضب كل واحدٍ منهما الكلمة التي لا قدر لها، فكانا لم يزايا في تغاضبٍ وتعاتبٍ مدة ثمانية أعوام، وكانت قد شفها حبه وأضناها الوجد فيه، وأنحلها شدة كلفها به، حتى صارت كالخيال المتوسم دنفًا، لا يلهيها من الدنيا شيء، ولا تسر - من أموالها - على عرضها وتكاثرها - بقليل ولا كثير، إذ فاتها اتفاقه معها، وسلامته لها، إلى أن توفي أخي رحمه الله في الطاعون الواقع بقرطبة في شهر ذي القعدة سنة إحدى وأربع مئة، وهو ابن اثنين وعشرين سنة، فما انفكت منذ بان عنها من السقم الدخيل، والمرض والذبول، إلى أن ماتت بعده بعام، في اليوم الذي أكمل هو فيه تحت الأرض عامًا؛ ولقد أخبرتني عنها أمها وجميع جوارها أنها كانت تقول بعده: ما يقوي صبري، ويمسك رمقي في الدنيا ساعة واحدة بعد وفاته إلا

---

1 - «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان، ج 3، ص 328.

سروري وتيقني أنه لا يضمُّه وامرأة مضجعٌ أبداً، فقد أمنتُ هذا الذي ما كنتُ  
أتخوَّف غيره، وأعظمُ آمالي اليومَ اللحاقُ به. ولم يكنْ قبلَها ولا معها امرأةٌ غيرها،  
وهي كذلك لم يكنْ لها غيره، فكانَ كما قدَّرتُ، غفرَ اللهُ لها ورضيَ عنها»<sup>1</sup>.

### نشأته وبيئته:

نشأ ابن حزم في قرطبة، في قصر - والده الوزير أحمد بن سعيد في الجانب  
الشرقي من قرطبة المعدَّ لسكنى الوزراء والقواد وكبار الدولة، ونشأ في بيت عزٍّ  
وجاه وسلطة وخدم وحشم، وقد تولت تربيته مربيات فاضلات علمنهُ القرآنَ،  
وروينهُ الشعرَ، وأدبنهُ فأحسنَ تأديبه. يقول ابن حزم عن صباه: «ولقد شاهدتُ  
النساء وعلمتُ من أسرارهنَّ ما لا يكادُ يعلمه غيري؛ لأنِّي رُبيتُ في حُجُورهنَّ،  
ونشأتُ بين أيديهنَّ، ولم أعرف غيرهنَّ، ولا جالستُ الرجالَ إلا وأنا في حدِّ  
الشبابِ، وحينَ تبَقَّلَ<sup>2</sup> وجهي؛ وهُنَّ علمنني القرآنَ، ورَوَّيَنني كثيراً من الأشعارِ،  
ودرَّبَنني في الخطِّ، ولم يكنْ وكدي<sup>3</sup> وإعمالُ ذهني مذ أولِ فهمي - وأنا في سن  
الطفولة جدًّا - إلا تعرَّفَ أسبابهنَّ، والبحثَ عن أخبارهنَّ، وتحصيلَ ذلك. وأنا  
لا أنسى شيئاً مما أراه منهنَّ، وأصلُ ذلك غيرةٌ شديدةٌ طُبِعَتْ عليها، وسوءُ ظنٍّ  
في جهتهنَّ فطُرْتُ به، فأشرفتُ من أسبابهنَّ على غير قليل»<sup>4</sup>.

1 - «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 259 - 260.

2 - بقل وجه الغلام: إذا خرج شعره يعني لحيته. «تاج العروس» للزبيدي، مادة (ب ق ل).

3 - الوكد بالضم: السعي والجهد، ويقال: ما زال ذالك وكدي، أي: فعلي ودأبي وقصدي. «تاج  
العروس» للزبيدي، مادة (و ك د).

4 - انظر: «طوق الحمامة» لابن الحزم، ص 166.

إلا أن هذه التربية وهذا التعهد من النساء لم يكن دون رقيب، فقد كان أبوه قائماً على تربيته، شديد العناية به، لا يني عن مراقبته ومتابعته، ولا عن ملاحظة ميوله واتجاهاته<sup>1</sup>، ولقد حكى ابن حزم تلك المراقبة، وأنها كانت سبب عفته، مع كثرة ملازمته النساء وشدة الاختلاط بهن، في حياة ناعمة تتأجج وتتفجر فيها الغواية؛ فقال: «وكان السبب فيما ذكرته، أني كنت وقت تأجج نار الصبا، وشرّة الحداثة، وتمكّن غرارة الفتوة، مقصوفاً محظراً عليّ بين رقباء ورقائب. فلما ملكت نفسي وعقلت صحبت أبا عليّ الحسين بن عليّ الفاسي<sup>2</sup> في مجلس أبي القاسم عبدالرحمن بن أبي يزيد الأزدي<sup>3</sup> شيخنا، وأستاذي رضي الله عنه»<sup>4</sup>.

ومهما يكن من أمر، فإن النشأة التي نشأها ابن حزم بين النساء وتربيته في حُجُورهنّ، ونشأته بين أيديهنّ، ثم معرفته الكثير من أسرارهن وأخبارهن وطبائعهن، مع نقي السيرة والسريرة، أثرت هذه الحياة بلا شك فيه، وتركت عليه كثيراً من مظاهرها، كما تتأثر البنت بطبائع الرجال إذا ما ربيت معهم، لقد انعكست تلك الحياة بنعومتها وثقافتها وفخامتها على شخصية ابن حزم، فهو يعد نفسه سليل هذه البيئة الغنية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فتعلم فيها، وتثقف بما يتثقف به الناشئ في بيوت الأمراء والوزراء، فحفظ القرآن وتعلمه، وحفظ الشعر ورويته، واتجه إلى أفاضل الشيوخ ينهل من مواردهم العذبة، ويقتدي بأخلاقهم الفاضلة<sup>5</sup>.

---

1 - انظر: «ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه» لمحمد أبو زهرة، ص 24.

2 - ستأتي ترجمته لاحقاً ص 124.

3 - ستأتي ترجمته لاحقاً في مبحث شيوخ ابن حزم، ص 139.

4 - «طوق الحمامة» لابن الحزم، ص 273.

5 - انظر: «ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه» لمحمد أبو زهرة، ص 25.

تلك كانت نشأة ابن حزم الناعمة الرغيدة حتى بلغ خمسة عشر عامًا، إلا أن هذه الحياة الناعمة الرغيدة لم تدُم له ولأسرته؛ فدوام الحال من المحال، فقد تغيرت أحوالهم، وانتقلت تلك الحياة الرغيدة إلى حياة البؤس والفرقة وفقد العون، ومن ثم التغريب والبعد عن الأهل والخلان، فاختلفت حياة ابن حزم بعد أن بلغ الخامسة عشرة عما كانت عليه قبل ذلك السن.

فانتقل ابن حزم وأسرته عن دورهم المحدثّة الفاخرة العامرة في الجانب الشرقي من قرطبة إلى دورهم القديمة في ربض الزاهرة، في الجانب الغربي من قرطبة، وكانت هذه النقلة نقطة التحول في حياة ابن حزم؛ من حياة الرياسة والعز والفخامة، إلى حياة التهجير والألم والمعاناة، وفي ذلك يقول:

«ثم انتقل الوزير أبي رحمه الله من دورنا المحدثّة بالجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة إلى دورنا القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مُغيث، في اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة. وانتقلت أنا بانتقاله، وذلك في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاث مئة»<sup>1</sup>.

ثم كان ما كان، في شوال سنة 399 هـ، من قيام سليمان بن الحكم ابن أخي هشام القائم آنئذ، وتلقب بالمستعين بالله، ونهض مع البربر إلى الثغر، فاستجاش بالنصارى وأتى إلى باب قرطبة، وبرز إليه جماعة من أهل قرطبة، فلم تكن إلا ساعة حتى قتل من أهل قرطبة ما نيّف على عشرين ألف رجل في جبل هناك يعرف بجبل قنطيش، وهي الوقعة المشهورة، ذهب فيها من الخيار، وأئمة المساجد، والمؤذنين

---

1 - «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 251.

خلق عظيم. ثم دخل قرطبة في ربيع الآخر سنة 400 هـ، وتلقب حينئذ بالظافر بحول الله مضافاً إلى المستعين، ثم خرج عنها في شوال سنة 400 هـ، وعاث هو والبربر فساداً في قرطبة مدة ستة أشهر، وقد كانت تلك المعركة فاجعة كبرى على ابن حزم وعلى أهل قرطبة قاطبة. وكان عمر ابن حزم حينها ست عشرة سنة.

وكان محمد بن هشام المهدي قد استتر أياماً إثر دخول سليمان والبربر قرطبة، ثم لحق بطليطلة، وكانت الثغور كلها من طرطوشة إلى الأشبونة باقية على طاعته ودعوته، فاستجاش بالإفرنج، وأتى بهم إلى قرطبة، فهزم سليمان والبربر وأجلاهم عن قرطبة...<sup>1</sup>.

ثم زاد من هذه الرزايا التي لاحقت بقرطبة وأهلها ما أصابهم من وباء الطاعون الذي ضرب قرطبة في ذي القعدة سنة 401 هـ، فتسبب بفقد ابن حزم لأخيه أبي بكر، ثم ما لبثت زوجة أخيه عاتكة بنت قند أن لحقت بزوجها، فتوفيت بعده بعام. وفي ذلك يقول ابن حزم: «توفي أخي رحمه الله في الطاعون الواقع بقرطبة في شهر ذي القعدة سنة إحدى وأربع مئة، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، فما انفكت [زوجته] منذُ بان عنها من السُّقم الدَّخيل، والمرضِ والدُّبول، إلى أن ماتت بعده بعام.. غفر الله لها ورضي عنها»<sup>2</sup>.

كان ابن حزم حينها قد شارف على ثمانية عشر عاماً، وكانت المحن قاسيةً عليه، فقد نكبهم قيام هشام المؤيد ورجاله وأرباب دولته، فلم يلبث محمد بن هشام بعد انتصاره واسترجاع قرطبة من البربر وسليمان بن الحكم إلا أن انهزم

---

1 - انظر: «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 18 وما بعدها.

2 - انظر: «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 259-260.

من البربر بواذٍ في آر، فانصرف إلى قرطبة، فوثب عليه العبيد مع واضح الصقلي فقتلوه، وصرخوا هشامًا المؤيد<sup>1</sup>.

وهنا يصف ابن حزم معاناته مع هشام المؤيد هذا فقال: «ثم شُغلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات، وباعتداء أرباب دولته، وامتحننا بالاعتقال، والترقيب، والإغرام الفادح، والاستتار، وأرذمت الفتنة، وألقت باعها، وعمت الناس وخصتنا»<sup>2</sup>.

ثم كان بعد ذلك أن أملت به فاجعة خصته فقصمت ظهره، فقد كانت تلك مصيبة موت أبيه، الذي عاجلته منيته بعد انتقالهم إلى دورهم القديمة بعام فقط، وفقد ابن حزم بفقد أبيه السند الذي كان يرعاه ويوجهه، ويشد من أزره ويعضده.. فقال في ذلك: «إلى أن توفي أبي الوزير رحمه الله، ونحن في هذه الأحوال، بعد العصر يوم السبت، لليلتين بقيتا من ذي القعدة، عام اثنين وأربع مئة»<sup>3</sup>. ولحق بوفاة أبيه وفاة جاريته التي أحب<sup>4</sup>، وابن حزم حينها لم يجاوز العشرين من عمره، وكان ذلك نحو عام 403 هـ.

ثم أحكمت الأزمة خناقها على ابن حزم وأهله، وسط تلك الفتن والاضطرابات التي عمت الأندلس في آخر أيام حكم بني عامر، الذين استفردوا بالأمر، دون الخليفة الأموي الضعيف هشام المؤيد، وقد كانت الاضطرابات

---

1 - انظر: «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 19.

2 - انظر: «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 251.

3 - انظر: المصدر السابق نفسه.

4 - انظر: المصدر السابق، ص 223 - 224.

والفتن على أشدها في قرطبة حاضرة الملك، وصارت مسترادًا للجيش، ينهبون فيها ويشردون أهلها، وقد اختص الجانب الغربي منها بالنهب، حيث كانت دار ابن حزم التي يسكنها في ذلك الوقت، وكان الوضع كما قال ابن حزم: «أرزميت الفتنة، وألقت باعها، وعمت الناس وخصتنا»<sup>1</sup>.

ولم يزل سليمان بن الحكم يحول بعساكر البربر في بلاد الأندلس، يفسد وينهب، ويقفر المدائن والقرى بالسيف والغارة، لا تبقي البربر معه على صغير ولا كبير ولا امرأة، إلى أن دخل قرطبة في صدر شوال سنة ثلاث وأربع مئة<sup>2</sup>. كان ابن حزم حينها في العشرين من عمره عندما خرج من قرطبة في أول محرم، سنة 404 هـ إلى المريّة...

لقد كانت حياة ابن حزم في العشرين سنة الأولى حافلة بالمتناقضات، عاش فيها عزّ الرياسة وفخامة الملك، وعاش فيها ذل الاضطهاد والسلب والنهب، تلك الأحداث الجسام التي لم تترك لابن حزم فرصة الانتقال والتحول التلقائي؛ من حياة الدعة والجمال والكمال، إلى حياة الشظف والترحال والاعتقال، لقد كانت هذه الرحلة قاسية على غضاضته ونعومته، فقد صدمته فجأة دون تحسب واستعداد، فكانت الهوة شاسعة بين حياته الأولى وحياته الرادفة، إذ ذاق مرارتها في وسط تلك العيشة الحلوة. فانعكست تلك الأحداث في رقتها وشدها على نفسه، فشكلت شخصيته ببعديها: المغرق في الرقة والعذوبة، والمصقع في الحدة

---

1 - «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 251.

2 - انظر: «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 19 وما بعدها.

والشدة. فكانت هذه النشأة حافلة بأقصى حدود التناقض والتباين؛ بين حلوها ومرها، وعزها وذلها، وبذلك نستطيع أن نفهم أو أن نستشف سرّ التباين في شخصية ابن حزم الإنسان.

### رحلات ابن حزم وتنقلاته وأحواله فيها

عاش ابن حزم في الجانب الشرقي من قرطبة أربعة عشر عامًا وعشرة أشهر. ثم كانت أولى انتقالات ابن حزم من دور أبيه الوزير في الجانب الشرقي من قرطبة إلى دورهم القديمة في ربض الزاهرة، في الجانب الغربي من قرطبة، وفي ذلك يقول: «ثم انتقل الوزير أبي رحمه الله من دورنا المحدث بالجناب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة إلى دورنا القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغيث، في اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة. وانتقلت أنا بانتقاله، وذلك في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاث مئة»<sup>1</sup>. وكان عمر ابن حزم حينها كما أسلفنا أربعة عشر عامًا وعشرة أشهر.

وبقي ابن حزم في قرطبة في الجانب الغربي منها نحو أربع سنوات وستة أشهر، إلى أن خرج عنها قصرًا في أول محرم سنة 404 هـ، بسبب الفتن والأحداث التي عصفت بها كما عصفت به، وفي ذلك يقول: «ثم ضرب الدهر ضربانه، وأجلينا عن منازلنا، وتغلّب علينا جند البربر، فخرجت عن قرطبة أول المحرم سنة أربع وأربع مئة»<sup>2</sup>.

1 - «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 251.

2 - انظر: المرجع السابق، ص 252.

وكانت المريّة<sup>1</sup> أول بلد يرحل إليها ابن حزم بعد خروجه من قرطبة، وفي ذلك يقول: «وقع انتهابُ جندِ البربرِ منازلنا في الجانب الغربيّ بقرطبة ونزولهم فيها.. وتقلّبت بي الأمور إلى الخروجِ عن قرطبة وسكني مدينة المريّة»<sup>2</sup>. وكان عمر ابن حزم حينها تسع عشرة سنة وأربعة أشهر.

واستقر ابن حزم في المريّة نحو ثلاث سنوات إلى أن نفاه عنها صاحبها خيران العامري<sup>3</sup> وفي ذلك يقول ابن حزم: «فكنا على ذلك [وهو في مدينة المريّة] إلى أن انقطعت دولة بني مروان، وقُتل سليمان الظافر أمير المؤمنين [يوم الأحد لتسع بقين من المحرم سنة 407 هـ]، وظهرت دولة الطالبيّة<sup>4</sup>، وبُيع عليّ بن حمود الحسنيّ المسمّى بالناصر<sup>5</sup> بالخلافة، وتغلّب على قرطبة وتملّكها، واستمدّ في قتاله إيّاها بجيوش المتغلّبين والثوار في أقطار الأندلس»<sup>1</sup>.

---

1 - المريّة (almeria): بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء، مدينة كبيرة بالأندلس على الساحل الشرقي، فيها مرفأ ومرسى للسفن. وكانت قد بنيت عام 344 هـ، وأصبحت أهم قاعدة للأسطول الأندلسي على البحر المتوسط. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي، ج5، ص 119.

2 - «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 261.

3 - هو خيران مولى المنصور بن أبي عامر. انظر «المغرب في حلى المغرب» علي بن موسى، ج2، ص 149.

4 - الدولة الطالبيّة يعني دولة بني حمود؛ لأنهم ينتسبون إلى علي بن أبي طالب. حاشية «طوق الحمامة في الألفة والألاف - رسائل ابن حزم الأندلسي» حق: د. إحسان عباس، ج 1، ص 261.

5 - هو: عليّ بن حمود الناصر، تولى الخلافة بعد سليمان بن الحكم، وتلقب بالناصر، ثم خالف عليه العبيد الذين كانوا بايعوه، وقدموا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، وسمّوه المرتضى، وزحفوا إلى غرناطة التي تغلّب عليها البربر، ثم ندموا على إقامته؛ لما رأوا من صرامته، وخافوا عواقب تمكنه وقدرته، فانهزموا عنه، ودسوا عليه من قتله غيلة، وخفي أمره،

وكان عمر ابن حزم حينها واحداً وعشرين سنة وأربعة أشهر. واعتُقل ابن حزم في المَرِيَّة عدة أشهر على يد صاحبها خيران العامري بتهمة السعي بالدعوة لقيام الدولة الأموية، وفي ذلك يقول ابن حزم: «وفي إثر ذلك نكبني خيرانُ صاحبُ المَرِيَّة، إذ نَقَلَ إليه مَنْ لم يتقِ الله عز وجل من الباغين - وقد انتقم الله منهم - عني وعن محمد بن إسحاق صاحبي، أنا نسعى في القيام بدعوة الدولة الأموية، فاعتقلنا عند نفسه أشهرًا، ثم أَخْرَجَنَا على جهة التغريب، فَصَرْنَا إلى حصنِ القَصْرِ»<sup>2</sup>.

نفي ابن حزم من المَرِيَّة إلى حصن القصر بإشبيلية، حيث عاش شهوياً سعيدة أنسته بعض ما أصابه من تشريدٍ واعتقالٍ وتغريب، وفيها يقول: «فَصَرْنَا إلى حصنِ القَصْرِ، ولقينا صاحبه أبو القاسم عبد الله بن هذيل التجيبي، المعروف بابن المُقْفَل، فأقمنا عنده شهوياً في خير دار إقامة، وبينَ خيرِ أهلٍ وجيرانٍ، وعندَ أجَلِّ الناسِ همّةً، وأكملهم معروفاً، وأتمهم سيادةً»<sup>3</sup>. وكان عمر ابن حزم حينها قد بلغ نحو أربع وعشرين سنة.

ثم بعد ذلك خرج ابن حزم إلى بلنسية<sup>4</sup> لما سمع هو وصاحبه محمد بن إسحاق بقيام المرتضى عبد الرحمن بن محمد سنة 407 هـ لإحياء الدولة الأموية،

---

وبقي علي بن حمود بقرطبة مستمر الأمر عامين غير شهرين، إلى أن قتله صقالبة له في الحمام سنة

408 هـ. وكان له من الولد يحيى وإدريس. انظر: «جدوة المقتبس» للحميدي، ص 22.

1 - «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 261.

2 - المصدر السابق نفسه.

3 - «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 261-262.

4 - بلنسية: مدينة مشهورة بالأندلس، متصلة بحوزة كورة تدمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة،

وهي بركة بحرية ذات أشجار وأنهار، وتعرف بمدينة التراب، وتتصل بها مدُن، وأهلها خير أهل

الأندلس، يُسمون عرب الأندلس. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي، ج 1، ص 490.

ومبايعة أهل قرطبة له، وكان المرتضى رجلاً صالحاً مائلاً إلى الفقه، فركب ابن حزم وصاحبه البحر من حصن القصر إلى بلنسية للقاء المرتضى، وسكنا معه فيها.

وفي ذلك يقول ابن حزم:

«ثم ركبنا البحرَ قاصدينَ بلنسية عندَ ظهورِ أميرِ المؤمنينَ المرتضى عبدِ الرحمنِ ابنِ محمدٍ، وساكنَاهُ بها»<sup>1</sup>.

واستوزر المرتضى ابنَ حزم<sup>2</sup>، وهي أول وزارة يتقلدها ابن حزم في حياته، ولن تكون الأخيرة، فلم ير ابن حزم مفراً من مواصلة سعيه لإعادة مجد قرطبة والأندلس، بإعادة مجد الدولة الأموية، فقبل الوزارة للمرتضى.

وقد سار المرتضى بجيشه ومعه وزيره ابن حزم لحرب ابن حمود<sup>3</sup>، ولكن جيوش غرناطة وأميرها يومئذ زاوي بن زيري بن مناد وقفت أمامهم، فانهزم جيش المرتضى وقتل في موقعة غرناطة، وأسر وزيره ابن حزم على يد الغرناطيين، ثم أطلقوا سراحه<sup>4</sup>.

وكان ذلك نحو سنة تسع وأربع مئة.

---

1 - «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 262.

2 - «ابن حزم الأندلسي، حياته وأدبه» د. عبد الكريم خليفة، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط 1، 1983م، ص 63.

3 - هو الخليفة الناصر، علي بن حمود، استولى على قرطبة في 22 محرم سنة 407 هـ، تقدمت ترجمته في الصفحة 105.

4 - انظر: «ابن حزم الأندلسي، حياته وأدبه» د. عبد الكريم خليفة، ص 54 - 55.

فلجأ ابن حزم منفياً إلى شاطبة<sup>1</sup> وهي إحدى مدن بلنسية، ثم عاد منها إلى قرطبة بعد أن تولاها القاسم بن حمود<sup>2</sup> وكان وادعاً، أمّن الناس معه، ولا غيّر

---

1 - شاطبة (Jativa): مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة قديمة، قد خرج منها خلق من الفضلاء، يجوز أن يقال إن اشتقاقها من الشّطبة وهي السّعفة الخضراء الرطبة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي، ج3، ص 309.

2 - تولى القاسم بن حمود على قرطبة بعد مقتل أخيه علي سنة 408 هـ، وبقي بالخلافة إلى شهر ربيع الأول سنة 412 هـ، حين قام عليه ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود بمالقة، فهرب القاسم عن قرطبة بلا قتال وصار بإشبيلية، وزحف ابن أخيه من مالقة بالعساكر، فدخل دون مانع، وتسمى بالخلافة سنة 413 هـ، وتلقب بالمعتلي، فبقي كذلك إلى أن اجتمع للقاسم أمره، واستمال البربر وزحف بهم إلى قرطبة، فدخلها في سنة 413 هـ، وهرب يحيى بن علي إلى مالقة سنة 414 هـ، فبقي القاسم بقرطبة شهوياً اضطرب أمره، وغلب ابن أخيه يحيى على الجزيرة المعروفة بالجزيرة الخضراء، وهي كانت معقل القاسم وبها كانت امرأته وذخائره، وغلب ابن أخيه الثاني إدريس بن علي صاحب سبتة على طنجة، وهي كانت عدة القاسم ليلجأ إليها إن رأى ما يخاف بالأندلس. وقام عليه جماعة أهل قرطبة في المدينة، وأغلّقوا أبوابها دونه، فحاصروهم نيفاً وخمسين يوماً، وأقام الجمعة في مسجد ابن أبي عثمان. ثم إن أهل قرطبة زحفوا إلى البربر، فانهزم البربر عن القاسم، وخرجوا من الأرباض كلها في شعبان سنة 414 هـ، ولحقت كل طائفة من البربر ببلد غلبت عليه، وقصد القاسم إشبيلية، وبها كان ابنه محمد والحسن؛ فلما عرف أهل إشبيلية خروجه عن قرطبة ومجيئه إليهم، طردوا ابنه ومن كان معهما من البربر، وضبطوا البلد، وقدموا على أنفسهم ثلاثة رجال من شيوخ البلد وأكابرهم؛ وهم القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي، ومحمد بن يريم الألهاني، ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدي، ومكثوا كذلك أياماً مشتركين في سياسة البلد وتديره، ثم انفرد القاضي أبو القاسم ابن عباد بالأمر، واستبد بالتدبير، وصار الآخرون في جملة الناس، ولحق القاسم بشرش، واجتمع البربر على تقديم ابن أخيه يحيى، وزحفوا إلى القاسم فحاصروه حتى صار في قبضة ابن أخيه يحيى، وانفرد ابن أخيه يحيى بولاية البربر، وبقي القاسم أسيراً عنده وعند أخيه إدريس بعده، إلى أن مات إدريس، فقتل القاسم خنقاً

للناس عادة ولا مذهباً، وعدل عن سياسة الشدة إلى سياسة اللين. يقول ابن حزم: «ثم دخلت أنا قرطبة في خلافة القاسم بن حمود المأمون»<sup>1</sup>. ويقول في موضع آخر: «ثم دخلت قرطبة في شوال سنة تسع وأربع مئة، فنزلت على بعض نساءنا»<sup>2</sup>. وكان عمر ابن حزم حينها خمساً وعشرين سنة وشهرين.

عاد ابن حزم إلى قرطبة بعد أن قاسى بعيداً عنها ألوان العذاب، كما قاساه فيها قبل أن يخرج منها. إلا أن ذلك كوّن شخصيته وبنائها وأضاف إليها، فواصل ابن حزم بعد استقراره في قرطبة الدرس وطلب الحديث والفقه وكل ما استطاع أن يطلبه من العلوم والمعارف، إلا أن ذلك لم ينسه بني أمية وأحقيتهم بالخلافة، فقد استمر ميوله لعودة الأمر لأمراء بني أمية الذين ما زال ابن حزم يعتقد صحة إمامتهم<sup>3</sup>، واستمر الأمر كذلك إلى أن ساءت الأحوال في قرطبة بتعاقب القاسم ابن حمود وابن أخيه يحيى بن علي بن حمود<sup>4</sup>.

---

سنة 431 هـ، وحمل إليه ابنه محمد بن القاسم بالجزيرة، فدفنه هنالك؛ فكانت ولاية القاسم مُدّ تسمّى بالخلافة بقرطبة إلى أن أسره ابن أخيه ستة أعوام، ثم كان مقبوضاً عليه ست عشرة سنة عند ابني أخيه إلى أن قتل كما ذكرنا في أول سنة إحدى وثلاثين، ومات وله ثمانون سنة. انظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي - ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس» لابن حزم، ج 2، ص 200.

1 - انظر: «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 263.

2 - انظر المصدر السابق، ص 252.

3 - انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 3، ص 230.

4 - هرب يحيى بن علي عن قرطبة إلى مالقة سنة 414 هـ، بعد عودة عمه القاسم بجيوشه من البربر كما وصفنا، ثم سعى قوم من المفسدين في ردّ دعوة يحيى بن علي إلى قرطبة في سنة 416 هـ، فتم لهم ذلك، إلا أنه تأخر عن دخولها باختياره، واستخلف عليها عبد الرحمن بن عطف اليفرني، فبقي الأمر كذلك إلى سنة 417 هـ، ثم قُطعت دعوته عن قرطبة، وبقي يتردد عليها بالعساكر إلى أن

وقد اتفق أهل قرطبة على ردّ الأمر لبني أمية، فاختاروا منهم ثلاثة، واستقر الأمر لعبد الرحمن بن هشام، فبويع بالخلافة لثلاث عشرة ليلة خلت لرمضان سنة 414 هـ، وله اثنتان وعشرون سنة، وتلقّب بالمستظهر، وكان في غاية الأدب والبلاغة والفهم ورقة النفس، كذا قال ابن حزم وكان خبيراً به. وقال الوزير ابن شهيد<sup>1</sup>: «كان المستظهر رحمه الله شاعراً مطبوعاً، ويستعمل الصناعة فيجيد»<sup>2</sup>. فقرّب المستظهر إليه ابن حزم وابن عمه أبا المغيرة وابن شهيد، وتولى ابن حزم الوزارة للمرة الثانية، إلا أنها لم تدم له طويلاً؛ لأن خلافة المستظهر لم تدم سوى سبعة وأربعين يوماً، حيث قام أبو عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر، مع طائفة من أراذل العوام، فقتل المستظهر، وذلك لثلاث بقين من ذي القعدة سنة أربع عشرة وأربع مئة.

وبويع بالخلافة محمد بن عبد الرحمن المستكفي<sup>3</sup>، وألقي القبض على ابن حزم وابن عمه أبي المغيرة عبد الوهاب، وألقي في السجن، إلا أن ولاية المستكفي لم

---

اتفقت على طاعته جماعة البربر، وسلموا إليه الحصون والقلاع والمدن، وعظم أمره، فصار بقرمونة محاصراً لإشبيلية طامعاً في أخذها، فخرج يوماً وهو سكران إلى خيل ظهرت من إشبيلية بقرمونة، فلقبها وقد كمنوا له، فلم يكن بأسرع من أن قتل، وذلك يوم الأحد لسبع خلون من المحرم سنة 427 هـ، انظر: «رسائل ابن حزم - ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس» لابن حزم، ج 2، ص 201.

1 - هو الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد (ت 493). انظر ترجمته في «الوافي بالوفيات» للصفدي ج 19، ص 103.

2 - انظر: «رسائل ابن حزم - ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس» لابن حزم، ج 2، ص 202.

3 - كان المستكفي في غاية التخلف، وله في ذلك أخبار يقبح ذكرها، وكان متغلباً عليه طول مدته، لا ينفذ له أمر، ثم رجع الأمر إلى يحيى بن علي الحسني، وهرب المستكفي، فلما صار بقرية يقال لها (شمونّت) من أعمال مدينة سالم، جلس ليأكل، وكان معه عبد الرحمن بن محمد بن السليم، فكره

تدم سوى ستة عشر شهرًا وأيامًا حتى خُلع، وخرج هاربًا من قرطبة، وأخلي سبيل ابن حزم، فخرج إلى شاطبة، وكان فيها سنة 417 هـ. وفيها كتب كتابه «طوق الحمامة».

ورجع الأمر بعد المستكفي إلى يحيى بن علي الحسني، ولما قطعت دعوته من قرطبة سنة سبع عشرة وأربع مئة، أجمع رأي أهل قرطبة على رد الأمر إلى بني أمية، وكان عميدهم في ذلك الوزير أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور، فاتفقوا بعد مدة على تقديم أبي بكر هشام بن محمد وهو أخو المرتضى؛ قيل: كان مقيمًا بالبونت عند محمد بن عبدالله بن قاسم المتغلب بها، فبايعوه في شهر ربيع الأول سنة ثمانى عشرة وأربع مئة، وتلقب بالمعتد بالله، فبقي مترددًا في الثغور ثلاثة أعوام غير شهرين، ودارت هنالك فتن كثيرة، واضطراب شديد بين الرؤساء بها، إلى اتفاق أمرهم على أن يصير إلى قرطبة قصبة الملك، فصار ودخلها يوم منى ثامن ذي الحجة سنة عشرين وأربع مئة.

وللمعتد بالله كانت وزارة ابن حزم الثالثة والأخيرة؛ يقول ياقوت نقلًا عن صاعد الأندلسي: «إن ابن حزم وزر للمعتد بالله هشام بن محمد. وكان أهل قرطبة قد أرسلوا بيعتهم إلى هشام وهو في البونت (البت) في ربيع الآخر سنة 418 هـ، ثم انتقل إلى قرطبة سنة 420 هـ، فإذا كان ابن حزم قد وزر له أولاً فقد انتقل إلى (البت)، وإذا كان قد وزر له بعد ذلك، فقد انتقل إلى قرطبة مباشرة.

---

التمادي معه، وأخذ شيئًا من البيش، وهو كثير في ذلك البلد، فدهن له به دجاجة، فلما أكلها مات لوقته، فقبه هنالك. انظر: «ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس - رسائل ابن حزم» لابن حزم، حق: د. إحسان عباس، ج2، ص 202 - 203.

ولم تستقر الخلافة للمعتد بالله إلا يسيراً، حتى قامت عليه فرقة من الجند فخلع واعتقل وأطيح بعهد<sup>1</sup>ه في ذي القعدة سنة 422 هـ، وانقطعت دولة بني مروان جملة<sup>2</sup>. وكان ابن حزم قد بلغ من العمر ثمانياً وثلاثين سنة ونيفاً.

ثم انصرف ابن حزم بعد ذلك عن السياسة، وانقطع للعلم بالكلية، وبدأت رحلات ابن حزم في دورته الثانية، ولجأ إلى الأقاليم الشرقية الأندلسية، بحكم طابعها العامري وقربها من الأموية، فرحل أول الأمر إلى شاطبة. ثم تنقل بين مدن الأندلس فزار قلعة البونت. ثم سافر إلى ميورقة في حماية واليها أحمد بن رشيق أبي العباس الذي كان يميل إلى الحديث والفقه، وبعد وفاة ابن رشيق سنة 440 هـ لقي ابن حزم من كيد الفقهاء الشيء الكثير، وعلى رأسهم أبو عبدالله محمد بن سعيد الميورقي شيخ المالكية الذي ناصبه العداء، إلا أنه لم يستطع مجاراة ابن حزم فاستقدم عليه أبا الوليد الباجي<sup>3</sup> القادم حديثاً من رحلة طلب العلم في بلاد المشرق، فتعاونوا عليه حتى تمكنوا من إجلائه عن ميورقة.

---

1 - انظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي» - ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس لابن حزم، ج2، ص 203 - 204. وبعد سقوط خلافته هرب المعتد بالله ولحق بابن هود بلا ردة، فأقام هنالك إلى أن مات سنة 427 هـ.

2 - إلا أن إشبيلية ومن كان على رأيهم من أهل تلك البلاد، لما ضيق عليهم يحيى بن علي الحسني وخافوا أمره، أظهروا أن هشام بن الحكم المؤيد حي، وأنهم ظفروا به، فبايعوه، وأظهروا دعوته، وتابعهم أكثر أهل الأندلس. وبقي الأمر كذلك إلى حدود الخمسين وأربع مئة. انظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي» - ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس لابن حزم، ج2، ص 204.

3 - سليمان بن خلف بن سعد، الأندلسي القرطبي صاحب التصانيف؛ أصله من بطليوس، وانتقل آباؤه إلى باجة، سمع ورحل. أخذ الفقه عن أبي الطيب الطبري، وأبي إسحاق الشيرازي، برع في

فرحل منها إلى إشبيلية لكن لم يلبث فيها حتى قام عليه فقهاؤها فأخرجوه منها بعد أن أفسدوا بينه وبين المعتضد بن عباد (439-464 هـ) الذي قام بحرق كتب ابن حزم.

ثم بعد أن أخرج من إشبيلية انتهى به المطاف لبلّة موطن أسرته، وأمضى بقية حياته في قريته مَنَتَ لِيَشَم<sup>1</sup>، وهي من أعمال لبلّة. إلى أن وافته منيته فيها<sup>2</sup>.

صفات ابن حزم الخُلُقِيّة

اشتهر ابن حزم بشدته، ونزقه، وحدة لسانه، حتى اقترن لسانه بسيف الحجاج! وإن كان في ذلك شيءٌ من الحقيقة إلا أنه ليس كامل الحقيقة، ثم إن لذلك أسباباً بيئية، فالبيئة التي عاش فيها ابن حزم، وما ألمّ به من ظروف ومحن وفتن، انعكست في نفسه، فولدت لديه نفوراً وسوء ظن بالناس، حتى يثبت العكس، فكان يخبئ وراء شدته ونزقه اتقاءً من أذى الناس، وكان لذلك أيضاً أسباباً عضوية بسبب مرض أصاب كبده فولد لديه ضجراً وضيق صدر، وقد أوضح ابن حزم ذلك بقوله: «ولقد أصابتني علةٌ شديدة ولدت عليّ ربواً في الطّحال شديداً، فولد ذلك عليّ من الضّجر، وضيق الخلق، وقلة الصّبر، والنّزق،

---

الحديث وبرز على أقرانه، وتقدم في علم الكلام والنظم، ورجع إلى الأندلس بعد 13 سنة بعلوم

كثيرة، وتوفي سنة 474 هـ. انظر: «وفات الوفيات» لابن شاعر الكتبي، ج2، ص 64.

1 - مَنَتَ لِيَشَم: هي قرية من أعمال لبلّة، كانت ملك ابن حزم، وكان يتردد إليها. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان، ج3، ص 329-330.

2 - انظر: «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص 72

أمرًا حاسبتُ نفسي فيه، إذ أنكرتُ تبدُّلَ خلقي، واشتدَّ عَجَبِي من مفارقتي لطبعي، وصحَّ عندي أنَّ الطَّحَالَ موضعُ الفَرْحِ، فإذا فسدَ تولَّدَ ضِدُّه»<sup>1</sup>.

لقد كان نزقُ ابنِ حزم وشدُّتهُ وحدةٌ لسانه مخالفاً لطبعه، وقد أثار ذلك السلوك عجب ابنِ حزم نفسه، وإذا أردنا استكمال هذه الحقيقة واستجلاءها فلا بد أن نرى الوجه الآخر لها، وهي رقةٌ ولطفٌ ووفاءٌ مع عزة نفس بدت جليةً في طبع ابنِ حزم وصفاته، خلافاً لما اشتهر عنه من حدة وصلابة وجلافة؛ لذا رأيت أن أذكر بعضاً من صفاته وطباعه، عسى أن يغير ذلك شيئاً من الصورة النمطية المأخوذة عنه، وسيتجلى الكثير منها في معرض ذكرنا بعضاً من أحواله مع أصدقائه لاحقاً، إن شاء الله تعالى، وأردت أن تكون هذه الفقرة بلسان ابنِ حزم نفسه، فضلاً عما سيأتي من ثناء العلماء عليه، لتكون أبلغ وأصدق.

قال ابنِ حزم: «وعني أخبرك: أني جُبلتُ على طبيعتين لا يهنأني معهما عيشٌ أبداً، وإني لأبرمُ بحياتي باجتماعهما، وأودُّ التَّغَيُّبَ من نفسي أحياناً لأفقد ما أنا بسببه من النِّكِدِ من أجلهما وهما:

وفاءٌ لا يشوبه تلُّونٌ، قد استوتُ فيه الحُصْرَةُ والمَغِيبُ، والباطنُ والظاهرُ، تولَّدُ الألفةُ التي لم تعزفْ بها نفسي عما درَبْتُهُ، ولا تتطلَّعُ إلى عدمٍ من صحبتهُ.  
وعِزَّةُ نفسٍ لا تقرُّ على الضَّيِّمِ، مهتَمَّةٌ لأقلِّ ما يرد عليها من تغيُّرِ المعارفِ،  
مؤثِّرةٌ للموتِ عليه.

---

1 - «الأخلاق والسير أو رسالة في مداواة النفوس» لابن حزم، حق: إيفا رياض، تعليق: عبد الحق

التركمان، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1421 هـ - 2000 م، ص 162 - 163.

فكلُّ واحدةٍ من هاتين السَّجَّيتينِ تدعو إلى نفسها، وإني لأُجفَى فأحتملُ،  
وأستعملُ الأناةَ الطويلةَ، والتَّلَوُّمُ الذي لا يكادُ يُطيقه أحدٌ، فإذا أفرط الأمرُ،  
وحَيَّتْ نفسي تصبَّرتُ، وفي القلب ما فيه..»<sup>1</sup>.

ونراه يقول في موضع آخر: «لقد منحني الله عز وجل من الوفاء لكلِّ مَنْ  
يَمُتُّ إلى بلقيَّةٍ واحدةٍ، ووهبني من المحافظة لمن يتدَمَّمني ولو بمحادثة ساعةٍ،  
حظًّا أنا له شاكرٌ وحامدٌ، ومنه مُستَمِدٌّ ومُسْتَزِيدٌ. وما شيء أثقلَ عليَّ من الغدر؛  
ولَعَمْرِي ما سَمَحَتْ نفسي قطُّ في الفكرة في إضرار مَنْ بيني وبينه أقلُّ ذمامٍ، وإن  
عظُمَتْ جريرتهُ، وكثُرَتْ إليَّ ذنوبه، ولقد دَهَمَنِي من هذا غيرُ قليلٍ، فما جَزَيْتُ  
على السُّوءِ إلا بالحسنى، والحمد لله على ذلك كثيرًا»<sup>2</sup>.

ثم يقول: «ما لصق بأحشائي حبُّ قطُّ إلا مع الزمن الطويل، وبعد ملازمة  
الشخص لي دهرًا وأخذي معه في كلِّ جد وهزل، وكذلك أنا في السُّلو والتوقي، فما  
نسيت ودًّا لي قطُّ، وإن حنيني إلى كل عهد تقدَّم لي ليغصُّني بالطعام ويشرقني بالماء،  
وقد استراح من لم تكن هذه صفته. وما مللتُ شيئًا قط بعد معرفتي به، ولا سرَّعتُ  
إلى الأنسِ بشيء قطُّ أولَ لقائي له، وما رغبتُ الاستبدالَ إلى سببٍ من أسبابي مذ  
كنتُ، لا أقول في الألف والإخوان وحدهم، لكن في كلِّ ما يستعمله الإنسان من  
ملبوسٍ ومركوبٍ ومطعومٍ وغير ذلك، وما انتفعتُ بعيشٍ، ولا فارقني الإطراقُ  
والانغلاقُ مذ ذقتُ طعمَ فراقِ الأُحبة، وإنه لشجى يعتادني، وولوعٌ همٌّ ما ينفكُّ

1 - «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 256.

2 - المرجع السابق، ص 210.

يَطْرُقُنِي، ولقد نَعَصْتُكَ تذكُّري ما مضى كُلَّ عَيْشٍ اسْتَأْنَفَهُ، وإني لقتيلُ الهمومِ في عِدَادِ الأحياء، ودفين الأسي بين أهل الدنيا. والله المحمودُ على كل حالٍ، لا إله إلا هو»<sup>1</sup>.

وقال في موضع آخر: «ما أحببت كذاباً قط، وإني لأسامحُ في إخاءِ كُلِّ ذي عيبٍ - وإن كان عظيماً - وأَكِلُ أَمْرَهُ إلى خالقه عز وجل، وأخذُ ما ظهرَ من أخلاقه، حاشا من أعلمه يكذبُ، فهو عندي ماحٍ لكلِّ محاسنه، ومُعَفٌّ على جميع خصاله، ومُذهِبُ كُلِّ ما فيه، فما أرجو عنده خيراً أصلاً؛ وذلك لأنَّ كُلَّ ذَنْبٍ فهو يتوب عنه صاحبه، وكلُّ ذامٍّ فقد يُمكنُ الاستئثارُ به والتوبةُ منه، حاشا الكذبَ فلا سبيلَ إلى الرجعة عنه، ولا إلى كتمانهِ حيثُ كان. وما رأيتُ قطُّ، ولا أخبرني من رأى، كذاباً تركَ الكذبَ ولم يعد إليه، ولا بدأتُ قطُّ بقطيعةٍ ذي معرفةٍ إلا أن أطلَعَ له على الكذب، فحينئذٍ أكونُ أنا القاصدَ إلى مجانبته، والمتعرِّضَ لمُتاركتِهِ، وهي سمةٌ ما رأيتها قطُّ في أحدٍ إلا وهو مزنونٌ إليه بشرٍّ - في نفسه، مغموزٌ عليه لعاهةٍ سوءٍ في ذاته، نعوذُ بالله من الخذلان»<sup>2</sup>.

وقال: «وكان لي صديق مرةً، وكَثُرَ التَّدْخِيلُ بيني وبينه حتى كدَحَ ذلك فيه، واستبانَ في وجهه، وفي لَحْظِهِ، وطُبَعَتْ على التَّائِي والترْبُصِ والمُسَالمةِ ما أمكَنْتُ، ووجدتُ بالانخفاضِ سبيلاً إلى معاودةِ المودَّةِ»<sup>3</sup>.

---

1 - انظر: «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 125-126.

2 - انظر: المرجع السابق، ص 173.

3 - كان وهرز قائد الجيش الفارسي الذي أرسله كسرى لمعاونة سيف ذي يزن على طرد الأحباش، وكان حاذقاً في الرماية. انظر: «مروج الذهب» للمسعودي، ج 3، ص: 163 وما بعدها. «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 177-178.

## عيوب ابن حزم وكيف عالجها

إننا لنعجب من جرأة ابن حزم في الحديث عن نفسه وعيوبها وبث أسرارها، وفلسفته في ذلك ما بلغه في قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11] «أنَّ لبعض المتقدمين فيه قولاً، وهو أنَّ المسلمَ يكونُ مخبراً عن نفسه بما أنعم الله تعالى به عليه من طاعةِ ربِّه، التي هي من أعظم النِّعم، ولا سيما في المفترضِ على المسلمين اجتنابه واتباعه»<sup>1</sup>.

ثم نراه يطيل في اعترافه بعيوبه<sup>2</sup>، وكيف عالجها وداواها، وما بقي فيه منها؛ فيقول: «وكانت فيَّ عيوبٌ، فلم أزل - بالرياضة، وإطلاعي على ما قالت الأنبياء صلوات الله عليهم، والأفاضل من الحكماء المتأخرين والمتقدمين في الأخلاق وفي آداب النفس أعاني مداواتها، حتى أعان الله عز وجل على أكثر ذلك، بتوفيقه ومنَّه. وتمام العدل، ورياضة النفس، والتصرف بأزمة الحقائق؛ هو الإقرار بها، ليتَّعظ بذلك مُتَّعِظٌ يوماً إن شاء الله.

فمنها: كَلَفٌ في الرِّضى، وإفراطٌ في الغضب، فلم أزل أداوي ذلك حتى وقفتُ عند تركِ إظهارِ الغضب جملةً بالكلام والفعل والتخبط، وامتنعت مما لا يحِلُّ من الانتصار وتحملتُ من ذلك ثقلاً شديداً، وصبرت على مَضَضٍ مؤلمٍ كان ربما أمرضني. وأعجزني ذلك في الرِّضى، وكأني ساحتُ نفسي- في ذلك؛ لأنها تمثلتُ أنَّ تركَ ذلك لؤمٌ.

1 - «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 273.

2 - انظر: «زدني علماً: خطوات على درب الفاعلية» لأستاذنا الصديق الدكتور أحمد البراء الأميري،

مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية، ط 1، عام 2006، ص 342 وما بعدها.

ومنها: دعاةُ غالبَة، فالذي قدرْتُ عليه فيها إمساكي عَمَّا يُغضبُ المَازِحَ،  
وساحتُ نفسي فيها، إذ رأيتُ تركَهَا من الانغلاقِ ومُضاهيَا الكِبَرِ.

ومنها: عَجَبٌ شديدٌ: فَنَظَرَ عَقْلِي نَفْسِي بما يَعْرِفُهُ من عيوبها، حتى ذهبَ كُلُّهُ  
ولم يبقَ له - والحمد لله - أثرٌ، بل كَلَّفْتُ نَفْسِي احتقارَ قدرِها جُمْلَةً، واستعمالَ  
التواضعِ.

ومنها: حركاتٌ كانت تولِّدُها غرارةُ الصبا، وضَعُفُ الأَعْضاءِ، فَقَصَرْتُ نَفْسِي -  
على تركها، فذهبتُ.

ومنها: محبةٌ في بُعْدِ الصَّيْتِ والغَلَبَةِ، فالذي وقفتُ عليه من معاناةِ هذا الدَّاءِ  
الإمساكِ فيه عَمَّا لَا يَحِلُّ في الدِّيَانَةِ، والله المستعانُ على الباقي، مع أن ظهورَ النَّفْسِ  
الغَضَبِيَّةِ إذا كانت منقادَةً للناطقَةِ فَضْلٌ، وخُلُقٌ محمودٌ.

ومنها: إفراطٌ في الأنْفَةِ بَغَضْتُ إِلَيَّ إِنْكَاحَ الْحَرَمِ جُمْلَةً بَكُلِّ وَجْهِ، وَصَعَبْتُ  
ذلك في طبيعتي، وكأني توقفتُ عن مغالبةِ هذا الإفراطِ الذي أعرفُ قبحَهُ  
لعوارضِ اعترضتْ عَلَيَّ، والله المستعانُ.

ومنها: عيبانِ قد سترهما اللهُ تعالى، وأعان على مقاومتهما، وأعان بلطفه عليهما،  
فذهبَ أحدهما البتةَ والله الحمد. وكأنَّ السَّعَادَةَ كانت مُوَكَّلَةً بي، فإذا لاحَ منه طالعٌ  
قصدتُ طمسَهُ. وطاولني الثاني منهما، فكان إذا ثارت منه مُدُودُهُ نبضتْ عروقُهُ،  
فيكادُ يظهرُ، ثم يسَّرَ اللهُ تعالى قدعَهُ بضروبٍ من لطفه تعالى حتى أخلدَ.

ومنها: حَقْدٌ مفرطٌ قدرْتُ بعونِ اللهِ تعالى على طيِّهِ وستره، وغَلَبَتِهِ على إظهارِ  
جميعِ نتائجه، وأما قطعُهُ البتةَ فلم أقدرُ عليه، وأعجزني معه أن أصادق من عاداني  
عداوةً صحيحةً أبداً.

وأما سوء الظن فيعدُّه قومٌ عيباً على الإطلاق، وليس كذلك، إلا إذا أدَّى صاحبه إلى ما لا يحلُّ في الديانة أو ما يقبُح في المعاملة، وإلا فهو حزمٌ، والحزمُ فضيلةٌ.

وأما الذي يعيِّني به جهالٌ أعدائي من أني لا أبالي - فيما أعتقده حقاً - عن مخالفة من خالفته، ولو أنهم جميعٌ من على ظهر الأرض، وأنني لا أبالي موافقة أهل بلادٍ في كثير من زيهم الذي قد تعودوه لغير معنى، فهذه الخصلة عندي من أكبر فضائل التي لا مثيل لها، ولعمري لو لم تكن في - وأعوذ بالله - لكانت من أعظم مُتمنَّياتي وطلباتي عند خالقي عز وجل. وأنا أوصي بذلك كلَّ من بلغه كلامي، فلن ينفعه اتباعه الناس في الباطل والفضول، إذا أسخط ربَّه تعالى، وغبن عقله، أو آلم نفسه وجسده، وتكلَّف مؤونة لا فائدة فيها.

وقد عابني أيضاً بعض من غاب عن معرفة الحقائق أني لا آلم لنيل من نال مني، وأنني أتعدى ذلك من نفسي - إلى إخواني، فلا أمتعض لهم إذا نيل منهم بحضرتي. وأنا أقول: إن من وصفني بذلك فقد أجمل الكلام ولم يفسره. والكلام إذا أُجمل اندرج فيه تحسين القبيح، وتقييح الحسن. ألا ترى لو أن قائلاً قال: إن فلاناً يطاء أخته، لفحش ذلك، ولا استقبحه كلُّ سامع له، حتى إذا فسَّر فقال: هي أخته في الإسلام، ظهر فحش هذا الإجمال وقبحه!

وأما أنا فإني إن قلت: لا آلم لنيل من نال مني؛ لم أصدق، فالآلم في ذلك مطبوعٌ مجبولٌ في البشر كلهم. لكنني قد قصرت نفسي على أن لا أظهر لذلك غضباً ولا تحبُّطاً ولا تهيجاً، فإن تيسَّر لي الإمساك عن المقارضة جملةً بأن أتأهَّب لذلك فهو

الذي أَعْتَمَدُ عليه بحول الله تعالى وقوَّتِهِ، وإن بادرني الأمرُ لم أقارض إلا بكلامٍ مؤلِّمٍ، غير فاحشٍ، أتحرَّى فيه الصِّدْقَ، ولا أخرجُه مخرجَ الغضب ولا الجهل.

وبالجملة فإني كارِهٌ لهذا، إلا لضرورةٍ داعيةٍ إليه، مما أرجو به قمعَ المستشري في النَّيلِ مني، أو قدعَ الناقلِ إليَّ، إذ أكثرُ الناسِ مُحِبُّونَ لإسماعِ المكروه مَنْ يُسمعونَه إياه على ألسنةٍ غيرهم، ولا شيءٌ أقدعَ لهم من هذا الوجه، فإنهم يكفُّون به عن نقلهم المكارهَ على ألسنةِ الناسِ إلى الناسِ، وهذا شيءٌ لا يفيدُ إلا إفسادَ الضمائرِ وادخالَ النمامِ فقط.

ثم بعد هذا، فإن النَّائِلَ مني لا يخلو من أحدٍ وجهين لا ثالثَ لهما: إما أن يكون كاذبًا، وإما أن يكون صادقًا.

- فإن كان كاذبًا فلقد عبَّلَ اللهُ لي الانتصارَ منه على لسانِ نفسه بأنَّ حصلَ في جملةِ أهلِ الكذب، وبأنَّ نبَّهَ على فضلي؛ بأن نسبَ إليَّ ما أنا منه بريءُ العَرَضِ، وقد يعلمُ أكثرُ السامعينَ له كذبُه، إما في وقته ذلك، وإما بعد بحثهم عما قال.

- وإن كان صادقًا فإنه لا يخلو من أحدٍ ثلاثةٍ أوجهٍ:

- إما أن أكونَ شاركتُه في أمرٍ استرحتُ إليه استراحةَ المرءِ إلى من يُقدَّرُ فيه ثقةٌ وأمانةٌ، فهذا أسوأُ الناسِ حالةً، وكفى به سقوطًا وضعةً.
- وإما أن يكونَ عابني بما يظنُّ أنَّه عيبٌ، وليس عيبًا، فقد كفاني جهلُه شأنُه، وهو المعيبُ لا مَنْ عابَ.

• وإما أن يكون عابني بعيبٍ هو فيَّ على الحقيقة، وعَلِمَ مني نقصًا أطلق به لسانه، فإن كان صادقًا فنفسِي أحقُّ بأن أُلومَ منه، وأنا حينئذٍ أجدُرُّ بالغضبِ على نفسي مني على مَنْ عابني بالحقِّ»<sup>1</sup>.

ثم يتابع ابن حزم قائلًا: «وذمني أيضًا بعضُ مَنْ تعسَّفَ الأمورَ دونَ تحقيقٍ، بأني أضيعُ مالي، وهذه جملةُ بيانها: أُنِي لا أضيعُ منه إلا ما كان في حفظه نقصٌ ديني أو إخلالٌ عِرْضي، أو إتعابٌ نفسي، فإني أرى الذي أحفظُ من هذه الثلاثة - وإن قلَّ - أَجَلٌ في العِوضِ مما يضيعُ من مالي، ولو أنَّه كلُّ ما ذرَّتْ عليه الشمسُ. وجدتُ أفضلَ نِعَمِ اللَّهِ تعالى على العبدِ أن يطبَعَهُ على العدلِ وحبِّه، وعلى الحقِّ وإيثاره، فما استعنتُ على قَمْعِ هذه الطوالحِ الفاسدة، وعلى كلِّ خيرٍ في الدِّينِ والدنيا؛ إلا بما في قُوَّتِي من ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى. وأما من طُبِعَ على الجورِ واستسهاله، وعلى الظلمِ واستخفافه، فليأْسُ من أن يُصلَحَ نفسه، أو يُقوِّمَ طباعه أبدًا، وليعلم أنَّه لا يُفلَحُ في دينٍ، ولا في خلقٍ محمود.

وأما الزَّهو، والحسدُ، والكذبُ، والخيانةُ، فلم أعرفها بطبعي قطُّ، وكأني لا حمدَ لي في تركها؛ لمنافرةٍ جَبَلْتِي إِيَّاهَا، والحمد لله رب العالمين»<sup>2</sup>.

### ورع ابن حزم وتقواه

نشأ ابن حزم في كنفِ النساءِ، في قصر أبيه الوزير، فكان كثيرَ التعرُّضِ لهنَّ، والاختلاطِ بهنَّ، وكان كلُّ ذلك محطًّا للفتنِ والرَّيبةِ والشكِّ إلا مَنْ عصَمَ اللَّهُ عَزَّ

1 - «الأخلاق والسير» لابن حزم، ص 107 - 112.

2 - المرجع السابق، ص 112 - 113.

وجلّ، ولم يكن ابن حزم مع ذلك ماجناً على الرغم من جاهه وسلطانه وكثرة اختلاطه بالنساء، إلا أن ذلك ولّد لديه فضولاً في تتبع أخبارهن وكشف أسرارهن؛ وفي ذلك يقول: «فلم أزل باحثاً عن أخبارهنّ كاشفاً عن أسرارهنّ، وكُنَّ قد أنسنَ مني بكتمانٍ، فكُنَّ يُطلعنني على غوامضِ أمورهنّ. ولولا أن أكون منبهاً على عوارثٍ يُستعاذُ بالله منها لأوردتُ من تنبّهنّ في الشرِّ، ومكرهنّ فيه عجائبٌ تُذهلُ الأبواب. وإني لأعرفُ هذا وأتقنه، ومع هذا يعلمُ الله - وكفى به عليماً - أني بريءُ الساحة، سليمُ الأديم، صحيحُ البشرة، نقيُّ الحُجْزة، وإني أقسمُ بالله أجَلِّ الأقسامِ إني ما حللتُ مئزري على فرجٍ حرامٍ قطُّ، ولا يحاسبني ربي بكبيرة الزنا مذ عقلتُ إلى يومي هذا، والله المحمودُ على ذلك، والمشكورُ فيما مضى، والمستعصمُ فيما بقي»<sup>1</sup>.

### طلب ابن حزم العلم

بدأ ابن حزم طلب العلم في صباه على أيدي النساء المربيات في قصر - والده، كما مرَّ معنا سالفاً؛ فقد حفظه القرآن، وروّيته كثيراً من الأشعار، ودرّبته على الخط، مع ما يتمتع به من ذكاء مفرط، وحافظة وذاكرة قوية كانت إحدى سماته في طلب العلم، وفي ذلك يقول: «وهنّ علمنني القرآن، وروّينني كثيراً من الأشعار، ودرّبنني في الخطّ.. وأنا لا أنسى شيئاً مما أراه منهنّ»<sup>2</sup>.

ثم انصبَّ اهتمامه على الأدب، فقرأ في صباه على الشيخ أبو سعيد الجعفري<sup>3</sup> شرح معلقة طرفة بن العبد في المسجد الجامع بقرطبة، فقال: «ولقد عرض لي في

1 - المصدر السابق، ص 272.

2 - انظر: «طوق الحمامة» لابن الحزم، ص 166.

3 - انظر ترجمته في (شيوخ ابن حزم) من هذه الرسالة، ص 140.

الصبا هَجَرٌ مع بعضٍ مَنْ كُنْتُ أَلْفُ، على هذه الصفة، وهو لا يلبثُ أن يضمحلَّ  
ثم يعودَ؛ فلما كَثُرَ ذلك قلتُ على سبيل المزاح شعراً بديهاً ختمتُ كلَّ بيتٍ منه  
بقسيمٍ من أولِ قصيدةِ طَرْفَةِ بنِ العبدِ المعلقة - وهي التي قرأناها مشروحةً على  
أبي سعيد الفتى الجعفري، عن أبي بكر المقرئ، عن أبي جعفر النحاس، رحمهم  
الله، في المسجد الجامع بقرطبة. وهي: [من الطويل]

تذكرتُ ودًّا للحبيب كأنه «خولة أطلالُ بَرْقَةٍ تُهَمِّدُ»<sup>1</sup><sup>2</sup>

مما يدل على اهتمام ابن حزم بالشعر ما جرى له في قصر المظفر، قال الحميدي:  
«أخبرني أبو محمد علي بن الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم: أنه سمع أبا  
العلاء صاعد بن الحسن<sup>3</sup> ينشد هذه القصيدة:

إليك حدوت ناجية الركاب      محملة أمانى كالهضاب

بين يدي المظفر [أبي مروان عبد الملك بن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر  
الذي ولي بعد أبيه]: في يوم عيد الفطر سنة ست وتسعين وثلاث مئة، قال أبو محمد:  
وهو أول يوم وصلت فيه إلى حضرة المظفر، ولما رأني أبو العلاء أستحسنها وأصغي  
إليها، كتبها لي بخطه، وأنفذها إليّ»<sup>4</sup>. وكان عمر ابن حزم حينها اثني عشر عاماً.

---

1 - هذا الشطر لطرفة بن العبد. انظر: «شرح المعلقات السبع» حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَنِي، أبو  
عبد الله (ت 486هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1423هـ - 2002م، ص 89.

2 - «مختصر طوق الحمامة» لابن حزم، حق: عبدالحق التركماني، ص 261 - 262.

3 - أبو العلاء صاعد بن الحسن الربيعي البغدادي اللغوي، توفي سنة 417هـ، انظر ترجمته في:  
«الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت: 542هـ)، حق:  
إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، ج 7، ص 8 وما بعدها.

4 - انظر «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 241.

ثم قرأ ابن حزم الأدب على شيخه أبي قاسم الأزدي، قال ابن حزم: «فلما ملكت نفسي وعقلت صحبت أبا علي الحسين بن علي الفاسي<sup>1</sup> في مجلس أبي القاسم عبد الرحمن ابن أبي يزيد الأزدي<sup>2</sup> شيخنا وأستاذي رضي الله عنه»<sup>3</sup>.

قال الذهبي: «نشأ محمد بن حزم في تنعم ورفاهية، ورزق ذكاءً مفرطاً، وذهناً سيّلاً، وكتباً نفيسة كثيرة، وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيه تأثيراً لیتَهُ سَلِمَ من ذلك»<sup>4</sup>.

وقد قضى ابن حزم جانباً من شبابه وهو يطلب العلم في قرطبة حتى سنة 401 هـ، فأثر في نفسه في ذلك الدور المبكر من حياته ما سمع بعض الأغرار يقولونه في المنطق والعلوم الفلسفية عامة دون تحقيق، وأولئك هم الذين عناهم بقوله: «ولقد رأيت طوائف من الخاسرين شاهدتهم أيام عنفوان طلبنا، وقبل تمكن قوانا في المعارف، وأول مداخلتنا صنوفاً من ذوي الآراء المختلفة، كانوا يقطعون بظنونهم الفاسدة من غير يقين أنتجه بحث موثوق به على أن الفلسفة وحدود المنطق منافية

---

1 - هو: الحسين بن علي الفاسي، أبو علي، من أهل العلم والفضل، مع العقيدة الخالصة، والنية الجميلة، لم يزل يطلب العلم ويختلف إلى العلماء محتسباً حتى مات. قال الحميدي: قال لنا أبو محمد علي بن أحمد: قلت له يوماً: يا أبا علي! متى تنقضي قراءتك على الشيخ؟ [يعني: عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي] وأنا حينئذٍ أريد سماع كتاب آخر من ذلك الشيخ. فقال لي: إذا انقضى أجلي، فاستحسنتها منه. قال أبو محمد: وكان رحمه الله ناهيك به سرواً وديناً وعقلاً وعلماً وورعاً وتهذيباً وحسن خلق.

انظر: «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 181.

2 - انظر ترجمته في (شيوخ ابن حزم) من هذه الرسالة، ص 139.

3 - انظر: «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 273.

4 - انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 186.

للشريعة»<sup>1</sup>. ولعل بيئة قرطبة والأندلس عامة -يومئذ بمعاداتها لعلوم الأوائل- هي التي حفزت حبَّ الاستطلاع لديه فجعلته يدرس الفلسفة والمنطق، ومن ثم قوي لديه الشعور بأن العلوم الفلسفية لا تنافي الشريعة؛ بل إن المنطق منها خاصة يمكن أن يتخذ معيارًا لتقويم الآراء الشرعية وتصحيحها، وكان اتجاهه إلى مجادلة أهل المذاهب والنحل الأخرى يفرض عليه أن يتدرع بقوة منطقية في المناظرة والجدل. وهاتان الغايتان كانتا من أول العوامل التي حدث به إلى التأليف في المنطق ليثبت عدم التنافي بينه وبين الشريعة وليعزز به موقفه العقلي إزاء الخصوم ويضع فيه القواعد الصحيحة للجدل والمناظرة ويبين فيه حيل السفسطة والتشغيب<sup>2</sup>.

وقد جرى له بعد ذلك أمرٌ آخر رواه عمرُ بنُ واجب<sup>3</sup> قال: «بينما نحن عند أبي بِلَنْسِيَّة وهو يُدرِّس المذهب، إذا بأبي محمد بن حزم يسمعون، ويتعجب، ثم سأل الحاضرين مسألة من الفقه، جُوب فيها، فاعترض في ذلك، فقال له بعض الحُضَّار: هذا العلم ليس من مُتَحَلِّاتِكَ، فقام وقعد، ودخل منزله فعكف ووكف<sup>4</sup> منه وابل فما كفَّ، وما كان بعد أشهر قريبة حتى قصدنا إلى ذلك

---

1 - «التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية» لابن حزم، تحقيق: د. إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 1، 1900، ص 115.

2 - انظر مقدمة التحقيق لـ «التقريب لحد المنطق» لابن حزم، ص 4.

3 - هو الإمام أبو حفص عمر بن محمد بن واجب بن عمر بن واجب القيسي، الأندلسي، البلنسي، المالكي. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 22، ص 44.

4 - وَكَفَ الْمَاءَ وَغَيْرَهُ يَكْفُ وَكَفًا وَوَكَيْفًا وَوَكْفَانًا: سَالَ وَقَطَرَ قَلِيلًا قَلِيلًا. انظر: «المعجم الوسيط»، مجمع اللغة العربية في القاهرة، دار الدعوة. القاهرة، ط 1، 1400هـ، مادة (و ك ف).

الموضع، فناظر أحسن مناظرة<sup>1</sup>، وقال فيها: أنا أتبع الحق، وأجتهد، ولا أتقيّد بمذهب<sup>2</sup>.<sup>3</sup>

- 1 - انظر: «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج4، ص 727.
- 2 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18 ص 191. وانظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 3، ص 228. وانظر: «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج4، ص 727.
- 3 - تجدر الإشارة هنا إلى أنه وردت قصة رواها أبو بكر محمد بن طرخان، وقد نقلها عنه ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» حق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط 1، 1993م، ج4، ص 1652، ثم تناقلها عنه غير واحد من المؤرخين [انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج18، ص199]، ونصها: (قال أبو بكر محمد بن طرخان التركي: قال لي الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد - يعني والد أبي بكر بن العربي -: أخبرني أبو محمد بن حزم أن سبب تعلّمه الفقه أنه شهد جنازة، فدخل المسجد، فجلس، ولم يركع، فقال له رجل: قم فصلّ تحية المسجد. وكان قد بلغ ستاً وعشرين سنة. قال: فقمّت وركعت، فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة، دخلت المسجد، فبادرت بالركوع، فقبل لي: اجلس اجلس، ليس ذا وقت صلاة، وكان بعد العصر، قال: فانصرفت وقد حزنت، وقلت للأستاذ الذي ربّاني: دُلّني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون. قال: فقصدته، وأعلمته بما جرى، فدُلّني على (موطأ) مالك، فبدأت به عليه، وتتابع قراءتي عليه وعلى غيره نحوًا من ثلاثة أعوام، وبدأت بالمناظرة). وقد اشتهرت هذه القصة جدًا على الرغم من أنها لم يرد ذكرها في شيء من المصادر الأندلسية الأصلية، وهي قصة وإن كانت صحيحة الإسناد؛ إلا أن متنها منكرٌ جدًا، وابن حزم نفسه يكذبها إذ يروي في مصنفاته عن شيخه: ابن وجه الجنة؛ الذي مات في شهر ذي الحجة سنة 402 هـ، وابن الجسور؛ الذي مات في شهر ذي القعدة سنة 401 هـ، وقد مرّ آنفًا أن ابن حزم قد ولد في رمضان سنة 384 هـ، فيكون قد شرّع في دراسة الحديث والفقه على ابن الجسور وهو ابن سبع عشرة سنة، فيما لو لم يبتدئ الدراسة إلا في سنة وفاته، ويكون قد شرّع في دراسة الفقه على ابن وجه الجنة وهو ابن ثمان عشرة سنة، فيما لو لم يبتدئ القراءة عليه إلا سنة وفاته؛ وكيف وابن حزم يصرّح بأن ابن الجسور: «أول شيخ سمعت منه قبل سنة الأربع مئة» (الصلة، ص 29). والحافظ الذهبي يحدد هذه القبلية بقوله: «وأول سماع ابن حزم سنة تسع وتسعين وثلاث مئة». (العبر: ج3، ص 239) فتكون السنّ التي ابتدأ فيها ابن حزم دراسة

قال الذهبيُّ بعد أن أورد حديثَ عمرَ بنِ واجبٍ: «قلت: نعم، مَنْ بلغَ رُتبةَ الاجتهاد، وشهدَ له بذلك عدَّةٌ من الأئمة، لم يَسْغُ له أن يُقْلَدَ، كما أن الفقيه المبتدئ والعامي الذي يحفظ القرآن أو كثيرًا منه لا يَسْغُ له الاجتهادُ أبدًا، فكيف يجتهدُ، وما الذي يقول؟ وعلامَ يَبنِي؟ وكيف يَطيْرُ ولَمَّا يُرِشُّ؟ والقسم الثالث: الفقيه المنتهي اليَقْظُ الفَهِمُ المَحْدَثُ، الذي قد حفظَ مختصرًا في الفروع، وكتابًا في قواعد الأصول، وقرأ النحو، وشارك في الفضائل مع حفظه لكتاب الله وتشاغله بتفسيره وقوة مناظرته، فهذه رُتبةٌ مَنْ بلغَ الاجتهادَ المُقَيَّدَ، وتأهَّلَ للنظر في دلائل الأئمة، فمتى وَضَحَ له الحَقُّ في مسألة، وثبت فيها النصُّ، وعَمَلَ بها أحدُ الأئمةِ الأعلامِ كأبي حنيفة مثلاً أو كمالكٍ، أو الثوري، أو الأوزاعي، أو الشافعي، وأبي عبيد، وأحمد، وإسحاق، فَلْيَتَّبِعْ فيها الحَقَّ ولا يَسْلِكِ الرخصَ، وليتورَّعْ، ولا يسعُهُ فيها بعد قيام الحُجَّةِ عليه تقليدٌ...»<sup>1</sup>.

تفقَّه أولاً للشافعي، ثم أدَّاه اجتهاده إلى القول بنفي القياس كلَّه جليَّه وخفيَّه، والأخذ بظاهر النص، وعموم الكتاب والحديث، والقول بالبراءة الأصلية، واستصحاب الحال، وصنَّفَ في ذلك كتبًا كثيرة، وناظر عليه، وبسط لسانه وقلمه<sup>2</sup>.

---

الحديث والفقه هي عمر الغلام اليافع، أي في سن الخامسة عشر. وأين هذا من عمر رجل في السادسة والعشرين؟ انظر: مقدمة الكتَّاني لـ «معجم فقه ابن حزم»، تأليف: لجنة موسوعة الفقه الإسلامي، جامعة دمشق، كلية الشريعة طبعة: دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 1385هـ - 1966م، ص 73 - 74. وقد ردَّ هذه القصة ابن عقيل الظاهري في كتابه: «ابن حزم خلال ألف عام». انظر: حاشية «مختصر طوق الحمامة» حق: عبدالحق التركماني، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 2002م، ص 74 - 75.

1 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 191 - 192.

2 - المصدر السابق، ج 18، ص 186 - 187.

لقد كان ابن حزم شغوفاً بالعلم، ولو أن ظروف المحن والاضطراب والتغريب والاعتقال والسجن والاضطهاد التي عاشها ابن حزم قد حلت بغيره لصرفته عن العلم وعن أهله، إلا أن نفس ابن حزم المتطلعة إلى العلم وأهله، والشغوفة بطلبه والبحث عنه، والنهمة بتقصيه واستقصائه، حتى تحوّل الطلبُ عنده إلى حالة من الوجد، أنسته في كثير من الأحيان ألم المعاناة التي عاشها أثناء انشغاله بطلب العلم ودراسته ومدارسته؛ ومن ذلك قوله: «وأحدثك في ذلك بما نرجو أن ينتفع به قارئه إن شاء الله تعالى، وذلك أني كنت معتقلاً في يد الملقب بالمستكفي، وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر في مُطَبِّق<sup>1</sup>، وكنت لا آمنُ قتله؛ لأنه كان سلطاناً جائراً، ظالماً عادياً، قليل الدين، كثير الجهل، غير مأمون ولا متبّت، وكان ذنباً عنده صحبتنا للمستظهر<sup>2</sup> رضي الله عنه، وكان العيّارون قد انتزوا بهذا الخاسر على المستظهر فقتله، واستولى على الأمر، واعتقلنا حيث ذكرنا. وكنت مفكراً في مسألة عويصة من كليات الجمل التي تقع تحتها معانٍ عظيمة، كثر فيها الشغب قديماً وحديثاً في أحكام الديانة، وهي متصرّفة

1 - المُطَبِّق: سجنٌ تحت الأرض. «تاج العروس» للزبيدي، مادة (ط ب ق).

2 - أبو المطرف عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار، وقد اختاره أهل قرطبة للخلافة فبويع للخلافة في رمضان سنة 414 هـ، وله من العمر 22 عاماً، وتلقّب بالمستظهر، فاستوزر ابن حزم وابن شهيد، قال عنه ابن حزم: كان في غاية الأدب والبلاغة والفهم، ورقة النفس. ولم تطل أيامه، بل ثار عليه ابن عمّه محمد بن عبد الرحمن الناصري في شهر ذي القعدة من العام نفسه وقتله وبويع بالخلافة وتلقّب بالمستكفي، وقد سجن ابن حزم وابن عمه أبا المغيرة، وأقام في الخلافة ستة عشر شهراً، عاد بعدها أمر قرطبة إلى بني حمود، وفرّ المستكفي إلى ناحية الثغر، ومات في مقره. انظر: «جذوة المقتبس» للحميدي، ج1، ص 56. و«سير أعلام النبلاء» ج17، ص 138.

الفروع في جميع أبواب الفقه، فطالت فكرتي فيها أياماً وليالي، إلى أن لاحت لي وجهه البيان فيها، وصح لي، وحق لي، الحق يقيناً في حكمها وانبلج، وأنا في الحال الذي وصفت، فبالله الذي لا إله إلا هو الخالق الأول، مدبر الأمور كلها أقسم، الذي لا يجوز القسم بسواه، لقد كان سروري - يومئذ وأنا في تلك الحال - بظفري بالحق فيما كنت مشغول البال به وإشراق الصواب لي أشد من سروري بإطلاقي مما كنت فيه»<sup>1</sup>.

ثم أردف ابن حزم بعد ذلك قوله بيئاً لفوائد طلب العلم مع هول الأحداث: «واعلم أن من فضل العلم والإكباب على طلبه، والعمل بموجبه أنك تحصل على طرد الهمة الذي هو الغرض الجامع لجميع المقاصد من كل قاصد أولها عن آخرها»<sup>2</sup>.

قال ابن بشكوال في حقه: «كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار. أخبر ولده أبو رافع الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربع مئة مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة»<sup>3</sup>. وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي: «وما رأينا مثله رحمه الله فيما اجتمع له مع الذكاء وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتدين... وكان له في

---

1 - «التقريب لحد المنطق» لابن حزم، ص 200.

2 - المرجع السابق، ص 201.

3 - «الصلة» لابن بشكوال، ص 395.

الآداب والشعر نفس واسع، وباع طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه»<sup>1</sup>.

### شيوخ ابن حزم:

بعد أن تلقى ابن حزم تعليمه في أول نشأته على أيدي مربياته في قصر- أبيه اللاتي علمنه القرآن وروينه الشعر والأدب، انطلق ينهل من أكابر علماء عصره في شتى مجالات العلم؛ في اللغة والأدب والمنطق والفقه والحديث.. وقد أخذ العلم على عدد كبير من العلماء الشيوخ<sup>2</sup>، قال ابن حزم: «طلبنا الحديث على ابن الفرضي وسائر شيوخ المحدثين بقرطبة»<sup>3</sup>. قال الذهبي: سمع في سنة أربع مئة وبعدها من طائفة، منهم<sup>4</sup>:

### 1- يحيى بن مسعود بن وجه الجنة<sup>5</sup> [304 – 402 هـ]:

- 
- 1 - «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 309.
  - 2 - انظر: مقال «شيوخ ابن حزم في مقروءاته ومروياته» للعلامة محمد المنوني في مجلة المناهل المغربية، العدد 7، عام 1396 هـ. ومقدمة «الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس» لابن حزم، حق: د. محمد بن زين العابدين رستم، دار أضواء السلف، الرياض، ط 1، عام 2005م، ج 1، ص: 77-90.
  - 3 - انظر: «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 262.
  - 4 - انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18 ص 185. وانظر: «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج 4، ص 725-726.
  - 5 - هو يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود بن موسى، يعرف: بابن وجه الجنة. من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا بكر. صاحب قاسم بن أصبغ، كان رجلاً صالحاً، أحد العدول، وعُمرَ عمرًا طويلاً. حدّث عنه جماعة من العلماء. وروى عنه أبو عمر ابن عبد البر، وأبو محمد علي بن أحمد. وكان مولده 304هـ.

أعلى شيخ عند ابن حزم. روى عنه ابن حزم مسند الإمام أحمد بن حنبل<sup>1</sup>، وقطعة من وكيع بن الجراح<sup>2</sup>، وسنن إسماعيل بن إسحاق القاضي<sup>3</sup>.

2- أبو عمر أحمد بن محمد بن الجسور القرطبي<sup>4</sup> [320 - 401 هـ]:

هو أكبر شيخ لابن حزم، سمع منه قبل أربع المئة، روى عنه<sup>5</sup> ابن حزم موطأ مالك: رواية يحيى بن يحيى<sup>6</sup>، ومدونة سحنون<sup>7</sup>، ومسند أبي بكر بن شيبه<sup>8</sup>، وفقه أبي عبيد القاسم بن سلام<sup>9</sup>، ومسند عبد بن حميد<sup>1</sup>، وتاريخ محمد بن جرير الطبري<sup>2</sup>.

---

وتوفي في ذي الحجة سنة 402 هـ. انظر ترجمته في: «الصلة» لابن بشكوال، ص 626 - 627.

و«جذوة المقتبس» للحميدي، ص 377.

1 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 4، ص: 42.

2 - انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 2، ص 86.

3 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 4، ص 21.

4 - هو الإمام المحدث الثقة الأديب أبو عمر أحمد بن محمد بن أحمد؛ المعروف بابن الجسور الأموي

القرطبي، ولد في حدود سنة 320 هـ، ومات في منزله ببلاط مغيث بقرطبة في سنة 401 هـ. وكان

من أهل العلم، متقدماً في الفهم، حافظاً للحديث والرأي، وكان خيراً فاضلاً صالحاً شاعراً، عالي

الإسناد مكثراً، واسع الرواية، صدوقاً. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 17،

ص 148 - 149. و«تاريخ الإسلام» للذهبي، حق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب

العربي، بيروت، ط 2، 1993، الطبقة: 41 / ترجمة: 6. و«جذوة المقتبس» للحميدي، ص 99 وما

بعدها. و«الصلة» لابن بشكوال، ص 29.

5 - «الإعراب عن الحيرة والالتباس» لابن حزم، ص 77.

6 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 1، ص 86 - 109.

7 - انظر: «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم، ج 4، ص: 178، وج 5، ص 170.

8 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 1، ص 127.

9 - انظر: المرجع السابق، ج 4، ص 25.

### 3- يونس بن عبدالله بن مُغيث القاضي<sup>3</sup> [338 – 429 هـ]:

روى عنه ابن حزم سنن النسائي<sup>4</sup>، ومسند أبي بكر بن أبي شيبة<sup>5</sup>، ومعاني الآثار للطحاوي<sup>6</sup>، وغريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي<sup>7</sup>، وفقه أبي عبيد القاسم بن سلام<sup>8</sup>.

### 4- حُمام بن أحمد القاضي<sup>9</sup> [357 – 421 هـ]:

- 
- 1 - انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم، ج2، ص 80.
  - 2 - انظر: «جذوة المقتبس» للحميدي، ص: 99. و«المحلى» لابن حزم، ج1، ص 129.
  - 3 - يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن محمد بن عبد الله. يكنى: أبا الوليد، ويعرف: بابن الصفار. قاضي الجماعة بقرطبة، وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها؛ المحدث الفقيه الزاهد، روى عنه من مشاهير العلماء أبو محمد بن حزم، وأبو الوليد الباجي، وغيرهما كثير. قلده المعتمد بالله هشام بن محمد المرواني قضاء الجماعة بقرطبة والصلاة والخطبة بأهلها في ذي الحجة سنة 419 هـ، وبقي قاضياً إلى أن مات. ومن تواليفه كتب عدة في معاني الزهد وضروبه. توفي ليلة الجمعة، ودفن يوم الجمعة سنة 429 هـ. وشهد دفنه خلق عظيم، وكان وقت دفنه غيث وابل رحمه الله. وكان مولده سنة 338 هـ. انظر ترجمته في: «الصلة» لابن بشكوال، ص 646 – 647.
  - 4 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج1، ص 251، ج2، ص 82.
  - 5 - انظر: المرجع السابق، ج1، ص 193، و201.
  - 6 - انظر: المرجع السابق، ج1، ص 86.
  - 7 - انظر: «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 286.
  - 8 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج1، ص 122.
  - 9 - حُمام بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أكدر الأطروش، من أهل قرطبة، يكنى أبا بكر، روى عن أبي محمد الباجي، وابن عائذ، وابن مفرج فأكثر. شديد الانقباض، لا أدري أحداً سلم من الفتنة سلامته مع طول مدته فيها، فما شارك قط فيها بمحضر. ولا بيد ولا بلسان، مع ذكائه وحزمه وقيامه بكل ما يتولى. حسن الخط قوياً على النسخ، ينسخ من نهارة نيفاً وعشرين ورقة، حسن

قال عنه ابن حزم: «كان واحد عصره في البلاغة، وفي سعة الرواية، ضابطاً لما قيد»<sup>1</sup>. وروى عنه ابن حزم صحيح البخاري<sup>2</sup>، ومصنف عبد الرزاق<sup>3</sup>، ومصنف ابن أيمن<sup>4</sup>، ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة<sup>5</sup>، ومصنف بقي بن مخلد<sup>6</sup>.

5- محمد بن سعيد بن نبات<sup>7</sup> [335 - 429 هـ]:

---

الشعر، حسن الخلق، فكهُ المحادثة، ولي قضاء يابرة وشنترين والأشبونة وسائر الغرب أيام المظفر وأخيه، ودولة المهدي وسليمان والمؤيد. توفي رحمه الله بقرطبة، في رجب سنة 421 هـ. وكان مولده سنة 357 هـ. انظر ترجمته: «الصلة» لابن بشكوال، ص 153.

1 - «الصلة» لابن بشكوال، ص 153.

2 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 1، ص 91. «الإحكام» لابن حزم، ج 2، 282. وج 5، ص 806، و811.

3 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 1، ص 98.

4 - انظر: المرجع السابق، ج 1، ص 102.

5 - انظر: «الإحكام» لابن حزم، ج 4، ص: 716 - 717.

6 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 4، ص 7-8. و«الإحكام» لابن حزم، ج 4، ص 716.

7 - هو محمد بن سعيد بن محمد بن عمر بن سعيد بن نبات الأموي، من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا عبد الله. شيخ من شيوخ الحديث. كان معتنياً بالآثار، جامعاً للسنن، ثقة في روايته، ضابطاً لكتبه. وكان شيخاً فاضلاً، صالحاً ديناً ورعاً منقبضاً عن الناس، مقبلاً على ما يعنيه. وذكره أبو عمر ابن مهدي المقرئ في كتاب رجاله الذين لقيهم فقال: كان رجلاً صالحاً مسناً، كثير الرواية ثقة لما نقله؛ ضابطاً له، يؤدب بالقرآن. وكانت عنايته بنقل العلم عظيمة. ونسخ أكثر روايته بخطه. وذكره الخولاني وقال: كان شيخاً فاضلاً، صالحاً من أهل العناية بالعلم حافظاً للحديث مع الفهم، قديم الطلب، متكرراً على الشيوخ، وسمع منهم، وكتب عنهم، محتسباً متسنناً مجانباً لأهل البدع والأهواء. سيفاً مجرداً عليهم، كتب بخطه علماً كثيراً، ما علمت أحداً ممن أدر كنا بلغ مبلغه في فنون العلم وضروبه. توفي سنة 429 هـ. انظر ترجمته في: «الصلة» لابن بشكوال، ص 492 - 493.

قال الحميدي: «روى لنا عنه أبو محمد بن حزم الفقيه الحافظ، وكان يقول في بعض أحاديثه عنه: أخبرنا النبائي»<sup>1</sup>. روى عنه ابن حزم بعض مصنفات أحمد ابن حنبل<sup>2</sup>، والمُجْتَبَى لقاسم بن أصبغ<sup>3</sup>، وفقه الزهري<sup>4</sup>، ومصنف عبد الرزاق<sup>5</sup>، وقطعة من وكيع بن الجراح<sup>6</sup>.

6- عبد الله بن ربيع التميمي<sup>7</sup> [330 - 415 هـ]:

روى عنه ابن حزم صحيح البخاري<sup>8</sup>، وسنن أبي داود<sup>9</sup>، وسنن النسائي<sup>1</sup>، قال قال الذهبي في رواية ابن حزم عن ابن ربيع: «وأجود ما عنده من الكتب» سنن

---

1 - انظر: «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 60.

2 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 1، ص: 86-87.

3 - انظر: المرجع السابق، ج 1، ص 96. وج 2، ص 111.

4 - انظر: «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم، ج 4، ص: 684، وج 5، ص 806 - 807.

5 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 9، ص: 371، و 451. وج 10، ص 37.

6 - انظر: المرجع السابق، ج 1، ص 109.

7 - هو عبد الله بن محمد بن ربيع بن صالح بن مسلمة بن بنوش التميمي، من أهل قرطبة، يكنى: أبا محمد، كان كثير الرواية مقيداً لها، عالي الدرجة فيها، ثقة مأموناً، ذا دين وفضل. ورحل إلى المشرق فحج، وكتب بمصر، ولقي بالقيروان مجموعة من علمائها. ثم انصرف إلى الأندلس فروى عنه جماعة من علمائها، وكان ثقة ثباتاً، ديناً فاضلاً. وكان من أهل العلم والحديث مع العدالة. لقي جماعة من الشيوخ الرواة للعلم، وكتب عنهم، وسمع منهم. ولد سنة 330 هـ، وتوفي سنة 415 هـ. ودفن صبيحة يوم الجمعة برحلة غزيرة. عند دار ابن شهيد، ولم يخرج به إلى المقبرة لشدة خوف البرابرة في ذلك الوقت. انظر ترجمته في: «الصلة» لابن بشكوال، ص 253 - 254.

8 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 1، ص 82، و 106.

9 - انظر: المرجع السابق، ج 3، ص 61، و 67.

النَّسَائِيَّ»، يَحْمِلُهُ عَنْ ابْنِ رِبْعٍ، عَنْ ابْنِ الْأَحْمَرِ، عَنْهُ<sup>2</sup>. وَرَوَى ابْنُ حَزْمٍ عَنْهُ أَيْضًا  
مُصَنَّفَ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ<sup>3</sup>، وَالْمُنْتَقَى لِابْنِ الْجَارُودِ<sup>4</sup>، وَفَقَهُ الزَّهْرِي<sup>5</sup> الَّذِي جُمِعَ فِيهِ  
مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَفْرُجٍ فِتَاوِيهِ فِي ثَلَاثَةِ أَسْفَارٍ ضَخْمَةٍ، مَرْتَّبَةً عَلَى أَبْوَابِ الْفَقْهِ<sup>6</sup>،  
وَالنُّوَادِرَ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَالِي<sup>7</sup>.

7-عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد<sup>8</sup> [338-411 هـ]:

أَخَذَ عَنْهُ ابْنُ حَزْمٍ صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ<sup>9</sup>، فَقَالَ: «حَدَّثَنَا الْهَمْدَانِيُّ فِي مَسْجِدِ  
الْقَمَرِيِّ<sup>1</sup> بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ قَرْطَبَةِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِ مِائَةٍ<sup>2</sup>».

---

1 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 10، ص 150، ج 12، ص 276.

2 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 185.

3 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 12، ص 302، ص 333.

4 - انظر: المرجع السابق، ج 1، ص 90.

5 - انظر: المرجع السابق، ج 1، ص 97.

6 - انظر: «الإحكام» لابن حزم، ج 5، ص 877.

7 - انظر: «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 230.

8 - هو عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر الهمداني الوهراني، ويعرف: بابن الخراز. ويكنى: أبا القاسم. من أهل بجانة. وكان رجلاً صالحاً صاحبَ سنة. وكان معاشه من ثياب كل يتاعها ببجانة، ويقصرها ويحملها إلى قرطبة، فتباع له، ويتاع في ثمنها ما يصلح لبجانة، ويجلب كتبه فتقرأ عليه في خلال ذلك. وكان يَرُدُّ قَرْطَبَةَ كُلَّ عامٍ إِلَى أَنْ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، فَإِذَا سَكَنَتِ الْحَالُ سَكَنَ دَارَهُ ببجانة، وَإِنْ خَافَ صَارَ بِالْمَرِيَّةِ، فَكَانَ عَلَى ذَلِكَ مُتَنَقِّلاً إِلَى أَنْ مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي سَنَةِ 411 هـ بِالْمَرِيَّةِ. وَكَانَ مَوْلَدُهُ سَنَةَ 338 هـ. انظر ترجمته في: «الصلة» لابن بشكوال، ص 305. و«الجدوة» للحميدي، 256.

9 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 1، ص 89، وج 2، ص 128.

8- عمر أحمد بن محمد الطَّلَمَنْكِي<sup>3</sup> [340 هـ - 429 هـ]:

روى عنه ابن حزم مسند البزار<sup>4</sup>، ومصنف سعيد بن منصور<sup>5</sup>.

10- عبد الله بن يوسف بن نامي<sup>6</sup> [348 - 435 هـ]:

روى ابن حزم من طريقه صحيح مسلم<sup>7</sup>. وقال عنه ابن حزم: «حدثنا الرجل الصالح أبو محمد عبد الله بن يوسف بن نامي»<sup>8</sup>.

---

1 - في أصل: القمري؛ وجعل اسمه د. إحسان عباس: مسجد العمري، وتساءل غومس: أيمن أن يكون صوابها العمري. ونص بروفنسال على أن تغييرها ضروري. انظر حاشية: «طوق الحمامة - رسائل ابن حزم» حق: د. إحسان عباس، ج 1، ص 286.

2 - «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 286.

3 - هو أحمد بن محمد بن عبد الله الطَّلَمَنْكِي، المقرئ، أبو عمر. محدث منسوب إلى بلده، وكان إماماً في القراءات مذكوراً، وثقة في الرواية مشهوراً. رحل فسمع من كثير من العلماء في المشرق، وسمع بالأندلس كثيراً أيضاً، مات بعد 420 هـ. روى عنه أبو محمد بن حزم، وأبو عمر بن عبد البر، وجماعة. انظر ترجمته: «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 114.

4 - انظر: «المحلى» ج 1، ص 126، ج 2، ص 345. و«الإحكام» لابن حزم، ج 5، ص 801.

5 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 1، ص 321. و«الإحكام» لابن حزم، ج 4، ص 669، و 717.

6 - هو عبد الله بن يوسف بن نامي بن يوسف بن أبيض الرهوني، من أهل قرطبة، يكنى: أبا محمد. روى عن كثير من العلماء. ذكره ابن مهدي، وقال: كان رجلاً صالحاً خيراً فاضلاً، لا يقف بباب أحد، ولا يزول عن تأديبه بمسجد أبي خالد بالمدينة. وكان مجوداً للقرآن، قديم الطلب، حسن الخلق، شديد الانقباض، جيد العقل، خاشعاً كثير البكاء، متحريراً فيما يسمع محتفظاً به، ورعاً في دينه. وقرأ القرآن على أبي محمد مكّي بن أبي طالب. ولد سنة 348 هـ. وتوفي 435 هـ. واختلط في آخر عمره، فترك الأخذ عنه؛ ذكر ذلك ابن حيان. انظر: «الصلة» لابن بشكوال، ص 262.

7 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 1، ص 30، وج 3، ص 102.

8 - انظر: «رسائل ابن حزم - رسالة التلخيص لوجوه التخليص» لابن حزم، ج 3، ص 144.

11- أحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ<sup>1</sup> [.....- 430 هـ]:

روى عنه ابن حزم مصنف جدّه قاسم بن أصبغ<sup>2</sup>.

12- أبو عمر بن عبد البر<sup>3</sup> [368 - 463 هـ]:

هو من أقران ابن حزم وأصحابه؛ لذا قال الذهبي عن ابن حزم: «وينزل إلى أن يروي عن أبي عمر بن عبد البر»<sup>4</sup>، قال ابن حزم: «لا أعلم في الكلام على فقه

---

1 - هو أحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ البياضي، من أهل قرطبة، يكنى: أبا عمرو. محدث من أهل بيت حديث. روى عن أبيه قاسم بن محمد، وعن جده قاسم بن أصبغ جميع ما رواه. توفي سنة 430 هـ. كان عفيفاً، طاهراً شديداً الانقباض. انظر ترجمته في: «الصلة» لابن بشكوال، ص 52. و«جذوة المقتبس» للحميدي، ص 142.

2 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 1، ص 82، و128.

3 - هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، إمام عصره، وواحد دهره؛ يكنى: أبا عمر. روى بقرطبة عن علماء كثير. وهو من أهلها، وبها طلب وتفقه، لزم أبا الوليد ابن الفرضي الحافظ وعنه أخذ كثيراً من علم الحديث، ودأب أبو عمر في طلب العلم، وافتن فيه، وبرع براعة فاق بها من تقدمه من رجال الأندلس. وألف في الموطأ كتاباً مفيدة منها: كتاب «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، وكتاب «الاستذكار لمذاهب العلماء الأمصار فيما تضمنه موطأ مالك من معاني الرأي والآثار» شرح فيه الموطأ على وجهه، وجمع في أسماء الصحابة كتاباً مفيداً سماه «الاستيعاب»، وله كتاب «جامع بيان العلم وفضله وما بلغني في روايته وحمله»، وغير ذلك من تواليفه، نفع الله بتواليفه. وكان مع تقدمه في علم الأثر، وبصره بالفقه، ومعاني الحديث، له بسطة كبيرة في علم النسب والخبر. جُلّي عن وطنه ومنشئه قرطبة، فكان في الغرب مدة، ثم تحول إلى شرق الأندلس، وسكن منه: دانية، وبلنسية، وشاطبة، وبها توفي سنة 463 هـ. انظر: «الصلة» لابن بشكوال، ص 640 - 642، و«جذوة المقتبس» للحميدي، ص 367 - 369.

4 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 185.

الحديث مثله، فكيف أحسن منه؟! وقال: «ومن أدركنا من أهل العلم على الصفة التي من بلغها استحق الاعتداد به في الاختلاف: مسعود بن سليمان بن مفلت، ويوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري»<sup>1</sup>. روى عنه ابن حزم مصنف أبي جعفر بن محمد الصيقل<sup>2</sup>، ومسند البزار<sup>3</sup>.

13- أحمد بن عمر بن أنس العذري<sup>4</sup> [393-478 هـ]:

روى ابن حزم من طريقه مصنف عبد الرزاق<sup>5</sup>، ومسند عبد بن حميد<sup>6</sup>، والتاريخ الأوسط للبخاري<sup>1</sup>، وموطأ ابن وهب<sup>2</sup>، وسنن الدارقطني<sup>3</sup>، والمستدرک للحاكم<sup>4</sup>.

---

1 - «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم، ج5، ص 884.

2 - انظر: مقدمة «المورد الأحلى» رقم 37.

3 - انظر: المرجع السابق: رقم 45.

4 - أحمد بن عمر بن أنس بن دهاث العذري. يعرف: بابن الدلائي، من أهل المرية، يكنى: أبا العباس. رحل إلى المشرق مع أبويه سنة 407 هـ، وجاورا في بيت الله الحرام أعواماً جمةً، وانصرف عن مكة 416 هـ، فسمع بالحجاز سماعاً كثيراً، وصحب الشيخ الحافظ أبا ذر عبد بن أحمد الهروي، وسمع منه صحيح البخاري مرات، وسمع من جماعة غيرهم من المحدثين من أهل العراق وخرسان والشامات الواردين على مكة أهل الرواية والعلم، وكتب بالأندلس عن أبي محمد بن حزم وغيره. وكان معتنياً بالحديث ونقله وروايته وضبطه مع ثقته وجلالة قدره وعلو إسناده. سمع الناس منه كثيراً، وحدث عنه من كبار العلماء. كان مولده في 393 هـ، وتوفي بالمرية سنة 478 هـ. انظر ترجمته في: «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 136 - 139. و«الصلة» لابن بشكوال، ص 69 - 70 وانظر للاستزادة: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج18، ص 185.

5 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج4، ص 346.

6 - انظر: «الفصل» لابن حزم، ج2، ص 80.

#### 14- محمد بن الحسن المذحجي<sup>5</sup>:

أخذ عنه ابن حزم المنطق؛ قال الذهبي: «وقد أخذ المنطق، أبعد الله من علم، عن محمد بن الحسن المذحجي، وأمعن فيه، فزلزله في أشياء»<sup>6</sup>. إلا أن الذهبي أثنى على ابن حزم بسبب ذلك في موضع آخر فقال: «أخذ المنطق عن محمد بن الحسن المذحجي وأمعن فيه، فبقي فيه قسطٌ من نحلة الحكماء»<sup>7</sup>.

ويضاف إلى ما ذكره الذهبي مما سلف من شيوخ ابن حزم أيضًا:

#### 15- أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي<sup>8</sup> [333 - 410 هـ]:

- 
- 1 - انظر: «الإحكام» لابن حزم، ج6، ص 35، طبعة أحمد شاكر
  - 2 - انظر: المرجع السابق، ج6، ص 87.
  - 3 - انظر: المرجع السابق، ج6، ص 82.
  - 4 - انظر: المرجع السابق، ج6، ص 134.
  - 5 - محمد بن الحسن أبو عبد الله المذحجي، يعرف بابن الكتاني، له مشاركة قوية في علم الأدب والشعر، وله تقدم في علوم الطب والمنطق؛ وكلام في الحكم، ورسائل وكتب معروفة في كل ذلك، وهو صاحب كتاب «التشبيهات من أشعار أهل الأندلس». وعاش بعد أربع مئة بمدة. انظر ترجمته في: «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 49. و«وفيات الأعيان» لابن خلكان، ج3، ص326.
  - 6 - انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج18، ص 201.
  - 7 - المرجع السابق، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج3، ص 228.
  - 8 - هو عبد الرحمن بن محمد بن أبي يزيد خالد بن خالد الأزدي العتكي المصري الصواف النسابة، يكنى: أبا القاسم. قدم الأندلس من مصر سنة 394 هـ. وكان رجلاً أديباً، حلواً حافظاً للحديث وأسماء الرجال والأخبار، سكن قرطبة إلى أن وقعت الفتنة، وخرج من الأندلس ومات بمصر- سنة 410 هـ. انظر: «الصلة» لابن بشكوال، ص 337. و«تاريخ الإسلام» للذهبي، الطبعة: 41/ ترجمة: 317.

هو شيخ ابن حزم في الكلام والجدل؛ وهو من أوائل الشيوخ الذين درس عليهم ابن حزم، ويبين ابن حزم ذلك في قوله: «فلما ملكت نفسي- وعقلت صحبت أبا علي الحسين بن علي الفاسي في مجلس أبي القاسم عبد الرحمن ابن أبي يزيد الأزدي شيخنا وأستاذي رضي الله عنه»<sup>1</sup>. وقال ابن حزم في معرض حديثه عن صديقه ابن الطَّبَّي: «وكان [أي: ابن الطَّبَّي] شاعرًا مفلحًا حسن الخط وبليغًا مفننًا، مع حظ صالح من الكلام والجدل، وكان من غلمان أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي أستاذي في هذا الشأن»<sup>2</sup>. وقد ذكره ابن حزم في كتبه في أكثر من موضع؛ منها قوله: «وأذكرُ في مثل هذا أني كنت مجتازًا في بعض الأيام بقرطبة من مقبرة باب عامرٍ، في لَمَّةٍ من الطلاب وأصحاب الحديث، ونحنُ نريدُ مجلسَ الشيخ أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد المصري بالرصافة أستاذي رضي الله عنه»<sup>3</sup>.

16- أبو سعيد خلف مولى الحاجب جعفر، المقرئ المعروف بالجعفري<sup>4</sup> [...

— 425 هـ]:

---

1 - «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 273.

2 - المصدر السابق، ص 260.

3 - المصدر السابق، ص 196.

4 - سكنَ قرطبة، ثم رحَلَ إلى المشرق فسمعَ بمكة، ولقي الأذفوي بمصر، وأخذ عن علماء القيروان، وكان من أهل القرآن والعلم، نبيلًا من أهل الفهم، مائلًا إلى الزهد والانقباض، خرج من قرطبة في الفتنة وقصد طرطوشة، وتوفي بها سنة 425 هـ، وقيل: 429 هـ. انظر ترجمته في: «الصلة» لابن بشكوال، ص 164.

أخذ عنه ابن حزم الأدب، حيث كان مما قرأ عليه مُعلِّقَة طرفه بن العبد مشروحةً في المسجد الجامع بقرطبة، فقال ابن حزم: «ولقد عرض لي في الصبا هَجْرٌ مع بعضٍ مَنْ كُنْتُ أَلْفُ، على هذه الصفة، وهو لا يلبثُ أن يضمحل ثم يعود؛ فلما كَثُرَ ذلك قلتُ على سبيل المزاح شعراً بديهياً ختمتُ كلَّ بيتٍ منه بقسيمٍ من أولِ قصيدةِ طَرْفَةِ بنِ العبدِ المعلقة - وهي التي قرأناها مشروحةً على أبي سعيد الفتى الجعفري، عن أبي بكر المقرئ، عن أبي جعفر النحاس<sup>1</sup>، رحمهم الله، في المسجد الجامع بقرطبة. وهي: [من الطويل]

تذكرتُ ودًّا للحبيبِ كأنَّهُ «خولة أطلالُ بركةٍ تُهمدُ»<sup>2</sup>

كما حمل عنه ابن حزم<sup>3</sup> بعض الحديث<sup>4</sup>، ومن مروياته عنه: سنن النسائي<sup>1</sup>، ومصنف عبد الرزاق<sup>2</sup>.

---

1 - هذا هو السند الذي نقلت به "المعلقات التسع" إلى الأندلسيين عن شارحها ابن النحاس؛ أخذها عنه أبو بكر محمد بن علي الأذفوي، وعن الأذفوي أخذها أبو سعيد خلف مولى الحاجب جعفر، الفتى المقرئ المعروف بالجعفري. وأما أبو بكر الأذفوي (نسبة إلى أذفو - بالذال المعجمة، أو بالذال المهملة - بصعيد مصر) فقد كان نحويًا مفسرًا مقرئًا ثقة، وكان يتجر بالخشب، وله كتاب "التفسير في القرآن" في مئة وعشرين مجلدًا، وكانت وفاته بمصر سنة 388هـ. (غاية النهاية 2: 198، وعبر الذهبي ج 3، ص 41) قلت: وفي تسمية ابن خير لها "المعلقات التسع" تجوز؛ لأن ابن النحاس أنكر التعليق جملةً، وسمّاها "القصائد التسع". انظر حاشية «طوق الحمامة» - رسائل ابن حزم الأندلسي لابن حزم، حق: د. إحسان عباس، ج 1، ص 194.

2 - «مختصر طوق الحمامة» لابن حزم، حق: عبدالحق التركماني، ص 261 - 262.

3 - «الإعراب عن الحيرة والالتباس» لابن حزم، ج 1، ص: 79.

4 - «مختصر طوق الحمامة» لابن حزم، حق: عبدالحق التركماني، ص 377. وانظر طبعة «رسائل ابن

حزم الأندلسي» حق: د. إحسان عباس، ج 1، ص 287.

17- أبو الوليد، عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر، القرطبي، ابن الفرضي<sup>3</sup>  
[351هـ - 403هـ]:

قال فيه ابن حزم: «كان والد المصعب [بن عبدالله الأزدي] هذا قاضي بلنسية أيام أمير المؤمنين المهدي، وكان المصعب لنا صديقاً وأخاً وأليفاً أيام طلبنا الحديث على والده، وسائر شيوخ المحدثين بقرطبة»<sup>4</sup>.

18- أبو الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت القرطبي<sup>5</sup> [.... - 426هـ]:

- 
- 1 - انظر: «الفصل» لابن حزم، ج 1، ص 216، و«الإحكام» لابن حزم، ج 4، ص 40.
- 2 - «المحلى» لابن حزم، ج 12، ص 168.
- 3 - الإمام الحافظ، البارع الثقة، مصنف «تاريخ الأندلسيين»، و«أخبار شعراء الأندلس»، و«المؤتلف والمختلف»، و«مشتبه النسبة». حدث عنه: ابن عبد البر، وقال: كان فقيهاً حافظاً، عالماً في جميع فنون العلم في الحديث والرجال، أخذت معه عن أكثر شيوخه، وكان حسن الصحبة والمعاشرة، وقتلته البربر، وبقي ملقى في داره ثلاثة أيام. وقال ابن حيان: ومن قتل يوم أخذ قرطبة الفقيه الأديب الفصيح ابن الفرضي، ووري متغيراً من غير غسل، ولا كفن، ولا صلاة، ولم ير مثله بقرطبة في سعة الرواية وحفظ الحديث ومعرفة الرجال والافتنان في العلوم والأدب البارع، ولد سنة 351 هـ، وتقلد قراءة الكتب بعهد العامرية، واستقضاه محمد المهدي ببلنسية، وكان حسن البلاغة والخط، قُتل رحمه الله سنة 403 هـ كهلاً. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 17، ص 177 - 180. و«تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 3، ص 185. و«جذوة المقتبس» للحميدي، ص 223 وما بعدها.
- 4 - «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 262.
- 5 - مسعود بن سليمان بن مفلت أبو الخيار، فقيه عالم زاهد، يميل إلى الاختيار والقول بالظاهر، ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وكان أحد شيوخه، ولم يزل أبو الخيار طالباً متواضعاً عالماً متعلماً إلى أن لقي الله عز وجل على هذه الحال، وتوفي لعشر بقين من ذي القعدة من سنة 426 هـ. انظر ترجمته في: «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 350. و«الصلة» لابن بشكوال، ص 583

شيخُ ابن حزم الذي نهل منه المذهب الظاهري، تعلَّم عليه مبادئه، وأخذ عنه نزعة الاستقلال، وحرية الاختيار، وأسس المذهب الظاهري. قال ابن حزم: «وكان أستاذي الفقيه أبو الخيار اللغوي»<sup>1</sup>. وقال: «ولقد ذكر بعض أهل العلم وابتغاء الخير في الشيخ الفاضل أبي الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت، رضي الله عنه معتمدًا قويًا ومعتقدًا كافيًا، برَّد الله مضجعه، ونفعه بفضله وعمله، وصحة ورعه وفهمه، وصدعه بالحق، رفع الله بذلك درجته»<sup>2</sup>.

كان أبو الخيار منيةً نفس ابن حزم، وهوى قلبه، فقد تعلَّم منه الفكر الحر، وكان أبو الخيار على مذهب أهل الظاهر لا يرى التقليد، قال ابن حيان: «وكان داودي المذهب، لا يرى التقليد»<sup>3</sup>. وكان متواضعًا يرى أن العلم من المهد إلى اللحد<sup>4</sup>. وكل ذلك مما تهواه نفس ابن حزم وتميل إليه، فكان من اللازم أن يلتزم ابن حزم صحبته، وأن يميل إليه. قال ابن حزم: «ومن أدركنا من أهل العلم على الصفة التي من بلغها استحق الاعتراف به في الاختلاف مسعود بن سليمان بن مفلت...»<sup>5</sup>.

19- عبد الله بن يحيى بن أحمد الأموي، يعرف بابن دحون<sup>6</sup> [.... - 431 هـ]:

---

1 - انظر: «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 243.

2 - «رسائل ابن حزم - رسالة التلخيص لوجوه التخليص» لابن حزم، ج 3، ص 144.

3 - «الصلة» لابن بشكوال، ص 583.

4 - انظر: «ابن حزم، حياته وعصره - آراؤه وفقهه» محمد أبو زهرة، ص 235.

5 - «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم، ج 5، ص 884.

6 - هو عبد الله بن يحيى بن أحمد الأموي، يعرف: بابن دحون، من أهل قرطبة، يكنى: أبا محمد. أخذ عن جلة العلماء. وكان من جلة الفقهاء وكبارهم، عارفًا بالفتوى، حافظًا للرأي على مذهب مالك وأصحابه، عارفًا بالشروط وعللها، بصيرًا بالأحكام مشاورًا فيها. وكان صاحبًا للفقيه أبي محمد

كان عليه مدار الفتيا بقرطبة<sup>1</sup>. قرأ عليه ابن حزم الفقه والموطأ؛ فقد ورد أن ابن حزم قال للأستاذ الذي ربّاه: «دُلّني على دار الشيخ الفقيه المشاور أبي عبد الله ابن دحون، فدّلني فقصدته، وسألت الابتداء بقراءة العلم واسترشدته، فدّلني على كتاب الموطأ لمالك بن أنس رحمه الله، فبدأت به عليه قراءة من اليوم التالي لذلك اليوم، ثم تتابعت قراءتي عليه، وعلى غيره، نحو ثلاثة أعوام، وبدأت بالمناظرة»<sup>2</sup>.

20- محمد بن إسماعيل العذري<sup>3</sup> [381 - 453 هـ]: روى عنه ابن حزم مستدرك الحاكم<sup>4</sup>.

21- عبد الرحمن بن سلمة الكناني<sup>5</sup>: من أهل قرطبة، يكنى: أبا المطرف. حدّث عنه أبو محمد بن حزم، وذكره في أكثر من موضع، ووصفه بالصاحب<sup>6</sup>. ويروي عنه ابن حزم مصنف بقي بن مخلد<sup>7</sup>، ومسنّد حديث مالك بن أنس، تأليف أحمد بن خالد الجياني القرطبي.

---

ابن الشقاق ومختصاً بصحبته، وعمر وأسن، وانتفع الناس بعلمه ومعرفته. توفي أبو محمد بن دحون في سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة. زاد غيره في المحرم ليلة الجمعة لست خلون منه وصلى عليه مكي المقرئ. انظر: «الصلة» لابن بشكوال، ص 260.

1 - «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 264.

2 - «معجم الأدباء» لياقوت الحموي، ج 12، ص 241.

3 - محمد بن إسماعيل العذري قاضي سرقسطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن فُورْتش. له رحلة إلى المشرق حج فيها، وكتب الحديث ثلة من العلماء. وكان ثقة في رواية، ضابطاً لكتبه، فاضلاً، ديناً، عفيفاً راوية للعلم. توفي سنة 453 هـ. انظر: «الصلة» لابن بشكوال، ص 508.

4 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 2، ص 215، ج 6، ص 99.

5 - انظر: «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 108.

6 - انظر: «الإحكام» لابن حزم، ج 6، ص 21، و 55. طبعة أحمد شاكر

7 - انظر: المرجع السابق، ج 6، ص 21.

22- عبد الله بن محمد بن علي، المعروف بالباجي<sup>1</sup>: فقيه محدث مكثّر جليل.  
روى عنه ابن حزم مصنف عبد الرزاق<sup>2</sup>.

هذا وقد روى ابن حزم عن ثلة من العلماء بالإضافة لمن سبق أما مباشرة أو  
مكاتبة، وذكرهم منتشر في كتبه كالمحلى والإحكام، وما ذكرته من شيوخه هم  
الأهم والأكثر أثرًا وتأثيرًا في حياته وتشكيل علمه، الأمر الذي ظهر جليًا في  
منزلته العلمية وتعدد مواهبه.  
منزلته العلمية وتعدد مواهبه:

ضرب ابن حزم بسهم وافر في كثير من العلوم وتبحّر فيها، فعرف كثيرٌ من  
العلماء ممن عاصروه أو أتوا بعده منزلته العلمية وقدّروا مواهبه، وأثنوا على علمه  
الجم، وعلى مواهبه الفذة، في شهادات عرفت للرجل حقه، وأنزلته منزلةً هو  
قمين بها، عبّرت عن واسع علمه، فها هو تلميذه الإمام أبو القاسم صاعد بن  
أحمد<sup>3</sup> يقول: «كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبةً لعلوم الإسلام، وأوسعهم  
معرفة مع توسعه في علم اللسان، ووفور حظّه من البلاغة والشعر، والمعرفة

---

1 - انظر: «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 219.

2 - انظر: «المحلى» لابن حزم، ج 12، ص 363.

3 - صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي: قاضي طليطلة، يكنى: أبا القاسم وأصله  
من قرطبة. روى عن أبي محمد بن حزم وغيره. واستقضاه المأمون يحيى بن ذي النون بطليطلة، وكان  
متحرّياً في أموره، واختار القضاء باليمن مع الشاهد الواحد في الحقوق، وبالشهادة على الخط،  
وقضى بذلك أيام نظره. وكان من أهل المعرفة والذكاء، والرواية، والدراية. ولد بالمرية في سنة 420  
هـ، وتوفي بطليطلة وهو قاضيه في سنة 462 هـ. «الصلة» لابن بشكوال، ص 232.

بالسير والأخبار. أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليه أربع مئة مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة<sup>1</sup>. قال: هذا القدر لا يُعرف لأحد من علماء الإسلام إلا لابن جرير الطبري<sup>2</sup>.

ويقول عنه تلميذه أبو عبد الله الحميدي<sup>3</sup> مظهرًا فضله: «كان ابن حزم حافظًا للحديث وفقهه، مُستنبطًا للأحكام من الكتاب والسنة، متفننًا في علوم جمة، عاملًا بعلمه، ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء، وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتدين، وكان له في الأدب والشعر نفسٌ واسع، وباعٌ طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه، وشعره كثيرٌ جمعتُه على حروف المعجم»<sup>4</sup>.

---

1 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 187. وانظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 3، ص 228.

2 - «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج 4، ص 726.

3 - محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي: من أهل جزيرة ميورقة، وأصله من قرطبة من ربض الرصافة منها؛ يكنى: أبا عبد الله. روى عن ابن حزم الظاهري واختص به وأكثر عنه وشهر بصحبته. قال أبو علي: سمعت أبا بكر بن الخاضبة يقول: ما سمعت الحميدي ذكر الدنيا قط. ولأبي عبد الله هذا كتابٌ حسنٌ جمع فيه بين صحيح البخاري ومسلم، أخذ به الناس عنه، وله أيضًا كتاب «علماء الأندلس». توفي أبو عبد الله الحميدي ببغداد سنة ثمان وثمانين وأربع مئة. انظر: «الصلة» لابن بشكوال، ص 531.

4 - «جدوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس» محمد بن فتوح بن عبد الله بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي (ت: 488هـ)، الدار المصرية، القاهرة، طبعة عام 1966م، ص 308 - 309. وانظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان، ج 3، ص 326. و«سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 187 - 188. وانظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 3، ص 228. وانظر: «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج 4، ص 727.

وقال ابن بشكوال<sup>1</sup> في حقه: «كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبةً لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفةً، مع توسُّعه في علم اللسان، ووفورِ حظِّه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسَّير والأخبار»<sup>2</sup>.

قال الذهبي: «وكان قد مَّهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيه تأثيراً لَيْتَهُ سَلِمَ من ذلك، ولقد وقفت له على تأليفٍ يَحُصُّ فيه على الاعتناء بالمنطق، ويقدِّمه على العلوم، فتألَّمتُ له، فإنه رأسٌ في علوم الإسلام، متبحِّرٌ في النقل، عديمُ النظر على يُبْسٍ فيه، وفَرَطٌ ظاهريَّةٍ في الفروع لا في الأصول»<sup>3</sup>. ثم يبين الذهبي مكانته في الحديث بقوله: «وأجودُ ما عنده من الكتب «سننُ» النسائي، يحمله عن ابن ربيع، عن ابن الأحرر، عنه. وأنزلُ ما عنده «صحيحُ» مسلم، بينه وبينه خمسةُ رجال، وأعلى ما رأيتُ له حديثٌ بينه وبين وكيعٍ فيه ثلاثةُ أنفس»<sup>4</sup>.

قال ابن خلكان: «كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر، وكان

---

1 - أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال الأنصاري، الأندلسي - القرطبي، الإمام العالم الحافظ، محدِّث الأندلس ولد سنة 494 هـ. كان متسع الرواية، شديد العناية بها، عارفاً بوجوهها، حجة، مقدِّماً على أهل وقته، حافظاً، حافلاً، إخبارياً، تاريخياً، ذاكراً لأخبار الأندلس. سمع العالي والنازل، وأسند عن مشايخه أزيد من أربع مئة كتاب، رحل الناس إليه، وأخذوا عنه، توفي سنة 578 هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 21، ص 140.

2 - «الصلة» لابن بشكوال ص 395.

3 - انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 186.

4 - انظر: المصدر السابق، ج 18، ص 185.

متفناً في علوم جمة، عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الممالك، متواضعاً ذا فضائل جمة وتوالياً كثيرة، وجمع من الكتب في علوم الحديث والمصنّفات والمسندات شيئاً كثيراً، وسمع سماعاً جماً<sup>1</sup>. وهكذا فقد تعددت مواهب ابن حزم واتسعت مجالاته واهتماماته، فوجدناه شاعراً ولغوياً وفيلسوفاً ومحدثاً وفقهياً وأصولياً ومؤرخاً وناقداً ومفكراً، فضلاً عن ذكاء متقد وسعة اطلاع ودقة نقد.. ويشهد لذلك كثرة مؤلفاته وتنوعها مع عمق في الطرح وجودة في المضمون حتى غدا من أكثر أهل الإسلام تأليفاً.

#### رأي العلماء فيه:

تردد رأي العلماء فيه ما بين مَادِحٍ وقَادِحٍ، وما بين مُكَبِّرٍ له ولعلمه، فأثنى عليه وعلى تعدد مواهبه وسعة حفظه، وما بين هَازِئٍ به، ومنقَصٍ من قدره وعلمه، منكرٍ ما جاء به من عجائب، ومن ثم كانت لهم عليه مآخذ، إلا أن الجميع أجمع على حِدَّةِ لسانه على من خالفه أو عارضه، مما نفّر الكثير منه، ومن علمه وتصانيفه، وهكذا انقسم العلماء حول ابن حزم، فكال إليه فريق كثيراً من الثناء، وعدّد عليه فريق جملة من المآخذ. وفيما يأتي نعرض لكلا الفريقين:

#### أولاً - ثناء العلماء عليه:

أثنى عليه تلميذه القاضي أبو القاسم صاعد فرآه قد برّز من سبقه من علماء الأندلس، ونال ما لم ينله أسلافه، وهو به خبير؛ فقال في حقه: «أقبل [أي ابن

---

1 - «وفيات الأعيان» لابن خلكان، ج3، ص 325.

حزم] على العلوم الشرعية، وعني بعلم المنطق وبرع فيه، ثم أعرض عنه. وأقبل على علوم الإسلام حتى نال من ذلك ما لم ينله أحد بالأندلس قبله»<sup>1</sup>.

وأثنى عليه الذهبيُّ قائلاً: «كان ينهض بعلوم جمّة، ويُجيد النقل، ويُحسنُ النظم والنثر. وفيه دينٌ وخير، ومقاصده جميلة، ومصنفاته مفيدة، وقد زهد في الرئاسة، ولزم منزله مُكَبِّباً على العلم، فلا نغلو فيه، ولا نجفو عنه، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار»<sup>2</sup>.

وذاك أبو حامد الغزالي يقرر في حقه بعد أن وقع على واحد من مؤلفاته قائلاً: «وَجَدْتُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى كِتَابًا أَلْفَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ حِفْظِهِ وَسِيْلَانِ ذَهْنِهِ»<sup>3</sup>.

ويثني عليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام وهو أحد المجتهدين على علم ابن حزم وعلى كتابه «المحلى» بقوله: «ما رأيتُ في كتب الإسلام في العلم مثل «المحلى» لابن حزم، وكتاب «المغني» للشيخ موفق الدين»<sup>4</sup>.

ويكيل اليسع بن حزم الغافقي<sup>1</sup> له سيلاً من المديح في أسلوب بليغ؛ فيقول: «أما محفوظه فبحرٌ عَجَّاجٌ، وماء ثَجَّاجٌ، يخرج من بحره مرجان الحُكَم، وينبت

---

1 - انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج18، ص188. وانظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج3، ص228. وانظر: «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج4، ص727.

2 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج18، ص187.

3 - «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج3، ص228.

4 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج18، ص193. وانظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج3، ص229. وانظر: «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج4، ص731.

بشَّجَّاه ألفاف النعم في رياضِ الهمم، لقد حفظ علومَ المسلمين، وأربى على كلِّ أهلِ دين، وألَّفَ «الملل والنحل»، وكان في صباه يلبسُ الحريرَ، ولا يرضى من المكانة إلا بالسريـر. أنشدَ المعتمدَ، فأجاد، وقصد بَلَنَسِيَّةَ وبها المظفر أحدُ الأَطواد<sup>2</sup>.

وإلى تبخره في علوم شتى ومعارف عدة يشير ابن كثير بقوله: «كان أديباً طيباً شاعراً فصيحاً، له في الطب والمنطق اليد العليا، وكان من بيت وزارةٍ ورياسةٍ ووجاهةٍ ومالٍ وثروةٍ، وكان مصاحباً للشيخ أبي عمر بن عبد البر النُمري، وكان مُناوئاً للشيخ أبي الوليد سليمان ابنِ خَلَفٍ الباجي، وقد جرت بينهما مناظراتٌ يطولُ شرحُها...»، ثم قال: «والعَجَبُ كُلُّ العَجَبِ أَنَّهُ كان ظاهريّاً في الفُروع، لا يقول بشيءٍ من الأقيسة، لا الجليّة ولا غيرها، وهذا الذي وضَعُهُ عندَ العلماء، وأدخلَ عليه خطأً كبيراً في نظره وتصرفه، وكان مع هذا من أشدِّ الناس تأويلاً في بابِ الأصول؛ لأنَّه كان قد تَضَلَّعَ أولاً من علمِ المنطق، أخذه عن محمد بنِ الحسنِ المَذْحِجِيِّ الكِنَانِيِّ القُرْطُبِيِّ»<sup>3</sup>.

وأختم بقول الذهبي: «أخذ المنطق عن محمد بن الحسن المذحجي وأمعن فيه، فبقي فيه قسط من نحلة الحكماء»<sup>4</sup>.

---

1 - اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي أبو يحيى، قد تُكلم في نقله. ويظهر على عبارته مجازفة، وله تواليف وأدب وفنون. كان في أيام السلفي. تحول إلى الإسكندرية ثم رحل إلى القاهرة. وله تصنيف سَمَّاه «المغرب في محاسن المغرب». مات سنة 575 هـ. انظر: «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج 6، ص 299-300.

2 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18 ص 190. وانظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 3، ص 228. وانظر: «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج 4، ص 727.

3 - «البداية والنهاية» لابن كثير، ج 15، ص 796.

4 - «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 3، ص 228.

## ثانيًا - مآخذ العلماء عليه:

ولقد أخذ عدد من العلماء عدة مآخذ على ابن حزم، إلا أن أهم تلك المآخذ التي سببت نفور العلماء منه كانت حدة لسانه وربما وقوعه في من خالفه من العلماء، فنرى أبا العباس ابن العريف<sup>1</sup> يقول في ذلك: «كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين»، وإنما قال ذلك لكثرة وقوعه في الأئمة<sup>2</sup>.

أما أبو بكر بن العربي<sup>3</sup> فقد راح يحطُّ من شأن ابن حزم؛ بل ويحطُّ من شأن الظاهرية عامة، فقد رآها كما يقول: «أمة سخيقة، تسوّرت على مرتبة ليست لها، وتكلمت بكلام لم نفهمه، تلقّوه من إخوانهم الخوارج حين حكّم عليّ - رضي الله عنه - يوم صفّين، فقالت: لا حكم إلا لله. وكان أول بدعة لقيت في رحلتي القول بالباطن، فلما عدتُ، وجدتُ القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخيقة كان من

---

1 - أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي الأندلسي، المعروف بابن العريف؛ كان من كبار الصالحين والأولياء المتورعين، وله المناقب المشهورة، وله كتاب «المجالس» وغيره من الكتب المتعلقة بطريق القوم، وله نظم حسن. وكانت عنده مشاركة في أشياء من العلوم، وعناية بالقراءات وجمع الروايات واهتمام بطرقها وحملتها، وكانت وفاته سنة 536 هـ بمراكش. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان، ج 1، ص 168-169.

2 - المصدر السابق.

3 - محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري: من أهل إشبيلية؛ يكنى: أبا بكر، الإمام العالم الحافظ المستبصر ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها. وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها، متقدمًا في المعارف كلها، متكلمًا في أنواعها، نافذًا في جميعها، حريصًا على أدائها ونشرها، وتوفي بالعدوة، ودفن بفاس سنة 543 هـ. انظر: «الصلة» لابن بشكوال، ص 558-559.

بادية إشبيلية يُعَرَفُ بابن حزم، نشأ وتعلّق بمذهب الشافعي، ثم انتسب إلى داود، ثم خلع الكلّ، واستقلّ بنفسه، وزعم أنه إمامُ الأمة يضع ويرفع، ويحكم ويشرّع، ينسبُ إلى دين الله ما ليس فيه، ويقول عن العلماء ما لم يقولوا تنفيراً للقلوب منهم، وخرج عن طريق المُشَبَّهة في ذات الله وصفاته، فجاء فيه بطوام، واتفق كونه بين قوم لا بَصَرَ لهم إلا بالمسائل، فإذا طالبهم بالدليل كأعوا<sup>1</sup>، فيتضحك مع أصحابه منهم، وعَصَدَتُهُ الرئاسة بما كان عنده من أدب، وبُشْبِهِ كان يُورِدُها على الملوك، فكانوا يحملونه، ويحمونه، بما كان يلقي إليهم من شُبّه البدع والشرك، وفي حين عودي من الرحلة ألفتُ حضرتي منهم طافحة، ونارَ ضلالهم لافحة، فقاسيتهم مع غير أقران، وفي عدم أنصار إلى حساد يطؤون عَقبي، تارة تذهب لهم نفسي، وأخرى ينكسر لهم ضرسِي، وأنا ما بين إعراضٍ عنهم أو تَشْغِيبٍ بهم، وقد جاءني رجلٌ بجزءٍ لابن حزم سماه «نكت الإسلام»، فيه دواهي فجردتُ عليه نواهي، وجاءني آخر برسالة في الاعتقاد، فنقضتها برسالة «الغرّة»، والأمر أفحشُ من أن يُنقض. يقولون: لا قولَ إلا ما قال الله، ولا نتبّع إلا رسولَ الله، فإن الله لم يأمر بالافتداء بأحد، ولا بالاهتداء بهدي بشر. فيجب أن يتحققوا أنهم ليس لهم دليل، وإنما هي سخافة في تهويل، فأوصيكم بوصيتين: أن لا تستدلوا عليهم، وأن تُطالبوهم بالدليل، فإن المبتدع إذا استدلت عليه شَغَبَ عليك، وإذا طالبتَه بالدليل لم يجدَ إليه سبيلا. فأما قولهم: لا قولَ إلا ما قال الله، فحقُّ، ولكن أرني ما قال. وأما قولهم: لا حكمَ إلا لله. فغيرُ مُسلَّمٍ على الإطلاق، بل من حُكَمِ الله أن يجعلَ الحُكَمَ لغيره فيما قاله وأخبر به.

1 - رجل كع: وهو الذي لا يمضي في عزم ولا حزم، وهو الناكص على عقبيه. «تاج العروس»

للزبيدي، مادة (كعع).

صَحَّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (وَإِذَا حَاصِرَتْ أَهْلَ حَصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَنْزِلَهُمْ عَلَى حَكْمِ اللَّهِ، فَلَا تَنْزِلُهُمْ عَلَى حَكْمِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلُهُمْ عَلَى حَكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حَكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا)<sup>1</sup>، وَصَحَّ أَنَّهُ قَالَ: (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ)<sup>2</sup> الْحَدِيثُ<sup>3</sup>.

وَقَالَ أَبُو مَرْوَانَ بْنِ حَيَّانَ: «كَانَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حَامِلَ فَنُونٍ مِنْ حَدِيثِ وَفْقِهِ وَجَدَلٍ وَنَسَبٍ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِأَذْيَالِ الْأَدَبِ، مَعَ الْمِشَارَكَةِ فِي أَنْوَاعِ التَّعَالِيمِ الْقَدِيمَةِ مِنَ الْمَنْطِقِ وَالْفَلَسَفَةِ، وَلَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ لَمْ يَخْلُ فِيهَا مِنْ غَلَطٍ لَجَرَاءَتِهِ فِي التَّسَوُّرِ عَلَى الْفَنُونِ لَا سِوَا الْمَنْطِقِ، فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُ زَلَّ هُنَاكَ، وَضَلَّ فِي سُلُوكِ الْمَسَالِكِ، وَخَالَفَ أَرِسْطَاطَالِيْسَ وَاضَعَ الْفَنِّ مَخَالَفَةً مَن لَمْ يَفْهَمْ غَرَضَهُ، وَلَا ارْتِاضَ، وَمَالَ أَوَّلًا إِلَى النَّظَرِ عَلَى رَأْيِ الشَّافِعِيِّ، وَنَاضَلَ عَنْ مَذْهَبِهِ حَتَّى وُسِمَ بِهِ، فَاسْتَهْدَفَ بِذَلِكَ لَكثِيرَ مِنَ الْفُقَهَاءِ، وَعِيبَ بِالشَّدُوذِ، ثُمَّ عَدَلَ إِلَى قَوْلِ أَصْحَابِ الظَّاهِرِ، فَتَقَحَّهْ، وَجَادَلَ عَنْهُ، وَثَبَّتَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ مَاتَ، وَكَانَ يَحْمِلُ عِلْمَهُ هَذَا، وَيَجَادِلُ عَنْهُ مَنْ خَالَفَهُ، عَلَى اسْتِرْسَالٍ فِي طِبَاعِهِ، وَمَذَلٍ<sup>4</sup> بِأَسْرَارِهِ، وَاسْتِنَادٍ إِلَى الْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ: ﴿لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل

---

1 - أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأَمْرَاءِ عَلَى الْبُعُوثِ، حَدِيثٌ رَقْمُ (1731)، مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ بَرِيدَةَ عَنْ أَبِيهِ.

2 - أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِرَقْمِ (17145) (طَبْعَةُ الرِّسَالَةِ)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» بِرَقْمِ (2676)، وَغَيْرُهُمَا، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

3 - انْظُرْ: «سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» لِلذَّهَبِيِّ، ج 18، ص 188 - 190.

4 - مَذَلَّ بِسَرِهِ: قَلِقَ وَضَجَرَ حَتَّى أَفْشَاهُ، وَكُلٌّ مِنْ قَلِقَ بِسَرِهِ حَتَّى يَذِيعَهُ أَوْ بِمُضْجَعِهِ حَتَّى يَتَحَوَّلَ عَنْهُ فَقَدْ مَذَلَّ بِهِ. «تَاجُ الْعُرُوسِ» لِلزَّيْدِيِّ، مَادَّةُ (م ذَلَّ).

عمران: 187]، فلم يكُ يُلَطَّفُ صدَّعَه بما عنده بتعريض ولا بتدريج، بل يصبُّ به مَنْ عارضُهُ صكَّ الجندل<sup>1</sup>، ويُنشقه إنشاق الخردل، فتنفِّرُ عنه القلوب، وتُوقع به الندوبُ، حتى استُهدِفَ لفقهاء وقتهِ، فتمالؤوا عليه، وأجمعوا على تضليله، وشَنَّعوا عليه، وحذَّروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامَّهم عن الدنوِّ منه، فَطَفِقَ الملوكُ يُقْصِوْنَه عن قربهم، ويُسيِّروْنَه عن بلادهم إلى أن انتهوا به مُنْقَطَعِ أثرِه: بلدة من بادية لَبْلَة، وهو في ذلك غيرُ مرتدِّعٍ ولا راجع، يَبُثُّ علمه فيمن يتتابه من بادية بلده، من عامة المقتبسين من أصاغر الطلبة، الذين لا يخشون فيه الملامة، يُحْدِثُهُمْ، ويفقهُهُمْ، ويدارِسُهُمْ، حتى كَمُلَ من مصنفاته وقرُّ بعير، لم يَعُدْ أكثرُها باديته لزهْدِ الفقهاء فيها، حتى لَأَحْرَقَ بعضُها بإشبيلية، ومُرِّقَتْ علانيةً، وأكثرُ معاييه - زعموا عند المُنْصِف - جهله بسياسة العلم...، وتخلَّفَه عن ذلك على قوة سَبَّحَه في غماره، وعلى ذلك فلم يكن بالسليم من اضطراب رأيه، ومغيبِ شاهد علمه عنه عند لقائه، إلى أن يُجَرِّكَ بالسؤال، فيتفجَّرَ منه بحرٌ علمٍ لا تُكَدِّرُهُ الدلاء، وكان مما يزيد في شنَّانته تشيُّعه لأمراء بني أمية ماضيهم وباقيهم، واعتقاده لصحة إمامتهم، حتى لُنُسِبَ إلى النَّصَبِ<sup>2</sup>»<sup>3</sup>.

وقال الذهبي بعد أن أورد قول أبي القاسم صاعد: «عني ابنُ حزم بعلم المنطق وبرع فيه، ثم أعرض عنه»: «ما أعرض عنه حتى زرع في باطنه أمورًا

1 - الجندل: كجعفر، ما يُقْلَهُ الرجل من الحجارة، وقيل: هو الحجر كله. «تاج العروس» للزبيدي، مادة (ج ن د ل).

2 - النَّصَب: بغض عليٍّ ﷺ وتقديم غيره عليه. «فتح الباري-المقدمة» لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، حق: محب الدين الخطيب، ص 459.

3 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 200 - 201، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 3، ص 230. وانظر: «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج 4، ص 727.

وانحرافاً عن السُّنة»<sup>1</sup>. ثم قال: «وقد أخذ المنطق -أبعده الله من عِلْمٍ- عن محمد ابن الحسن المَذْحِجِي، وأمعن فيه، فزلزله في أشياء، ولي أنا مَيْلٌ إلى أبي محمد لمحبتة في الحديث الصحيح، ومعرفته به، وإن كنتُ لا أوافقُه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل، والمسائل البَشعة في الأصول والفروع، وأقطعُ بخطئه في غير ما مسألة، ولكن لا أكفره، ولا أضلُّه، وأرجو له العفوَ والمسامحة وللمسلمين. وأخضعُ لفرطِ ذكائه وسعةِ علومه»<sup>2</sup>.

وكان مما عاب عليه بعض العلماء عدم اطلاع ابن حزم على سنن ابن ماجه وسنن الترمذي، فقال الذهبي: «ما ذكر [ابن حزم] سنن ابن ماجه، ولا جامع أبي عيسى [الترمذي]؛ فإنه ما رآهما، ولا أدخلهما إلى الأندلس إلا بعد موته»<sup>3</sup>.

قال ابن حجر: «كان واسعَ الحفظِ جدًّا إلا أنه لثقتُه بحافظته كان يهجمُ بالقول في التعديل والتخريج وتبيين أسماء الرواة، فيقع له من ذلك أوهامٌ شنيعةٌ. وقد تتبع كثيرًا منها الحافظُ قُطْبُ الدِّين الحلبي ثم المصري<sup>4</sup> من «المَحَلِّي» خاصة»<sup>5</sup>.

---

1 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج18، ص 188.

2 - المرجع السابق، ج18، ص 201 - 202.

3 - المرجع السابق، ج18، ص 202 - 203.

4 - هو من شيوخ الذهبي: قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي ثم المصري، ورحل وتعب وحصل وكتب، وصنَّف التصانيف، وظهرت فضائله مع حسن السمات والتواضع والتدين وملازمة العلم. وتوفي في رجب سنة 735 هـ. «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج4، ص 196.

5 - «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، ج4، ص 725.

قال ابن عبد الهادي (ت 744هـ) في «طبقات علماء الحديث»: «طالعت أكثر كتاب «الملل والنحل» لابن حزم فرأيت أنه قد ذكر فيه عجائب كثيرة، ونقولاً غريبة، وهو يدل على قوة ذكاء مؤلفه، وكثرة اطلاعه، ولكن تبين لي منه أنه جَهْمِيٌّ<sup>1</sup> جَلْدٌ، لا يُثبت من معاني أسماء الله الحسنى إلا القليل، كالخالق والحق، وسائر الأسماء عنده لا تدلُّ على معنى أصلاً، وهذا كالرحيم والعليم والقدير ونحوها، بل العلم عنده هو القدرة، والقدرة هي العلم، وهما عين الذات، ولا يدل العلم على معنى زائد على الذات المجردة أصلاً، وهذا عين السفسطة، والمكابرة. وكان ابن حزم في صغره قد اشتغل في المنطق والفلسفة، وأخذ المنطق عن محمد بن الحسن المذحجي، وأمعن في ذلك فتقرر في ذهنه - بهذا السبب - معاني باطلة، ثم نظر في الكتاب والسنة فوجد فيهما من المخالفة لما تقرر في ذهنه

---

1 - الجَهْمِيَّة: أصحاب الجهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال. قال الذهبي في «الميزان»: «هو رأس الجهمية، هلك في زمان التابعين، وما علمته روى شيئاً لكنه زرع شراً عظيماً». وقال البخاري في «رسالة خلق أفعال العباد»: «إن الجهم بن صفوان كان يأخذ من الجعد بن درهم الذي ضحى به في العراق خالد القسري يوم الأضحى حينما خطب الناس فقال: أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم؛ زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً». والجهم بن صفوان ترك الصلاة أربعين يوماً شكاً لا يعرف ربه. وقد قتله سلم بن أحور حينما علم أن الجهم بن صفوان يقول مقالة الجعد بن درهم في أن الله لم يكلم موسى تكليماً. وحينما ضرب سلم بن أحور رأس الجهم بن صفوان اسود وجهه. ومن بدع الجهمية التي عُرفوا بها أنهم ذهبوا إلى حدوث أسماء الرب، وقالوا: أسماء الرب تعالى غيره؛ وأسماء الله من كلامه، وكلامه غيره، وقالوا: ما كان غير الله فهو مخلوق بائن عن الله فعطلوا الأوصاف والأفعال والأسماء للرحمن. «معجم ألفاظ العقيدة» لأبي عبد الله عامر عبد الله الفالح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 1997، ص 128-129.

فصار في الحقيقة حائراً في تلك المعاني الموجودة في الكتاب والسنة، فرَوَّغَ في ردّها روغان الثعلب، فتارةً يحمل اللفظ على غير معناه اللغوي، ومرةً يحمل ويقول: هذا اللفظ لا معنى له أصلاً؛ بل هو بمنزلة الأعلام، وتارةً يردُّ ما ثبت عن المصدوق، كرده الحديث المتفق على صحته في إطلاق لفظ الصفات؛ وقول الذي كان يلزم قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ - لأنها صفة الرحمن -: (فأنا أحبُّ أن أقرأ بها)<sup>1</sup>. ومرةً يخالف إجماع المسلمين في إطلاق بعض الأسماء على الله عز وجل.

وفي كلامه على اليهود والنصارى ومذاهبهم وتناقضهم فوائد كثيرة، وتخليط كبير، وهجوم عظيم، فإنه ردّ كثيراً من باطلهم بباطل مثله، كما ردّ على النصارى في التثليث بما يتضمن نفي الصفات، وكثيراً ما يلعن ويكفر ويشتم جماعة ممن نقل كتبهم كمتى ولوقا ويوحنا؛ وغيرهم، ويقذع في القدح فيهم إقذاً بليغاً. وهو في الجملة لون غريب، وشيء عجيب، وقد تكلم على نقل القرآن والمعجزات وهيئة العالم بكلام أكثره مليح حسن<sup>2</sup>.

وقال الذهبي في «التذكرة»: «ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة، تقع له المسائل المحررة والمسائل الواهية، كما يقع لغيره، وكلُّ أحدٍ يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ»<sup>3</sup>.

1 - أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم (263)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

2 - «طبقات علماء الحديث» لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (ت 744 هـ)، حق: أكرم البوشي وإبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1996 م، ج 3، ص 350-351.

3 - «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 3، ص 231.

وأختم هذه الفقرة بأبيات من شعره يصف حاله مع من يعيب عليه فقال:

قالوا تحفظ فإنَّ الناسَ قد كثرتُ      أقوالهم وأقاويلُ الورى محنُ  
فقلتُ: هل عيُّهم لي غيرَ أني لا      أقولُ بالرأي إذ في رأيهم فتَنُ  
وأني مولعٌ بالنصِّ لستُ إلى      سواه أنحو ولا في نصرِه أهَنُ  
لا أثني لمقاييسَ يُقالُ بها      في الدين بل حسيَّ القرآنُ والسننُ  
يا بَرَدَ ذا القولِ في قلبي وفي كبدي      ويا سُروري به لو أنهم فَطِنُوا  
دَعهم يعضُّوا على صمِّ الحصى كمدًا      من ماتَ من قولِه عندي لَهُ كَفَنٌ<sup>1</sup>

ومهما يكن من شأن أولئك الذين راحوا يقللون من شأن ابن حزم، وينحون عليه باللائمة، ويضخمون هيناته الهينات، فقد وجد من أنصفه وردَّ على أولئك القادحين فيه، فذلك الذهبي يقول بعد أن ساق كلامَ أبي بكر بن العربي: «لم يُنصِفِ القاضي أبو بكر - رحمه الله - شيخَ أبيه في العلم، ولا تكلم فيه بالقسط، وبالغ في الاستخفاف به، وأبو بكر فعلى عَظَمَتِهِ في العلم لا يَبْلُغُ رُتَبَةَ أبي محمد، ولا يكاد، فرحمهما الله وغفر لهما»<sup>2</sup>.

ولا يقف الذهبي عند ذلك الحدِّ في إنصافه ابنَ حزم، إنما يعلق على ما سبق وقاله أبو حيان في حق ابن حزم، موازنًا بينه وبين أبي بكر بن عربي؛ بقوله: «قلت: هذا القائل منصف، فأين كلامه من كلام أبي بكر بن العربي وهضمه لمعارف ابن حزم»<sup>3</sup>.

1 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 212.

2 - المرجع السابق، ج 18، ص 190.

3 - «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 3، ص 230.

واقع الأمر، فإن كثيراً من سهام النقد التي صُوبت إلى ابن حزم كان دافعها الحسد، ومحركها التنقص لعالم طار ذكره في الآفاق وشغل الناس، لذلك نراه هو ينعى حظه هو؛ ويصف حاله بوصفه حال العالم في الأندلس؛ فقال: «ولا سيما أندلسنا، فإنها خُصّت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم، الماهر منهم، واستقلالهم، كثير ما يأتي به، واستهجانهم حسناته، وتتبعهم سقطاته وعثراته، وأكثر ذلك مدة حياته، بأضعاف ما في سائر البلاد. إن أجاد قالوا: سارقٌ مغير، ومنتحل مدع، وإن توسط قالوا: غثٌ بارد وضعيف ساقط، وإن باكر الحيازة لقصب السبق قالوا: متى كان هذا ومتى تعلم وفي أي زمان قرأ ولأمة الهبل.

وبعد ذلك إن ولجت به الأقدار أحد طريقين إما شفوفاً بائناً يعليه على نظرائه، أو سلوكاً في غير السبيل التي عهدوها، فهناك حمي الوطيس على البائس، وصار غرضاً للأقوال، وهدفاً للمطالب، ونصباً للتسبب إليه، ونهباً للألسنة، وعرضةً للتطرق إلى عرضه، وربما نحل ما لم يقل، وطوق ما لم يتقلد، وألحق به ما لم يفه به ولا اعتقده قلبه، وبالحرى، وهو السابق المبرز إن لم يتعلق من السلطان بحظ، أن يسلم من المتالف، وينجو من المخالف. فإن تعرض لتأليف غمز ولمز، وتعرض وهمز، واشتط عليه، وعظم يسير خطبه، واستشنع هين سقطه، وزهبت محاسنه، وستررت فضائله، وهتف ونودي بما أغفل، فتنكس لذلك همته، وتكل نفسه وتبرد حميته، وهكذا عندنا نصيب من ابتداء يحوك شعراً، أو يعمل رسالة، فإنه لا يفلت من هذه الحبائل، ولا يتخلص من هذا النصب، إلا الناهض الفائق، والمطفف المستولي على الأمد»<sup>1</sup>.

---

1 - «رسائل ابن حزم الأندلسي - رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها» ج 2، ص 177-178.

فبالرغم من أن ابن حزم ينقل واقعاً تحكّم في الأندلس، إلا أنك تشعر أنه يعرض شكواه، لا شكوى غيره، ومن تلك الكلمات المرورة، والتعبيرات الحزينة، يكشف ابن حزم عن نقيصة شاعت في أندلسه آنذاك، كما شاعت في كل الأزمنة، فضلاً عن زماننا هذا الذي استفحلت فيه، نقيصة حسد النابيين، وعدم إنصافهم، وتعرضهم للنقد والتجريح والتقييح والتهم، وقد كان ابن حزم من أكثر مَنْ حدّث له ذلك.

من هنا نجد أن العلماء انقسموا تبعاً لمواقفهم إلى ثلاثة أقسام<sup>1</sup>:

1- قسم أساء إلى ابن حزم بدافع الخلاف المذهبي أحياناً، أو لجرأة ابن حزم على الأئمة؛ حيث لم يكن يلطف صدعه بما عنده بتعريض، بل يصك برأيه معارضيّه صك الجنّدل.. وكان جمهرة هؤلاء من الفقهاء المتعصبين للمالكية، وعلى رأسهم أبو بكر بن العربي والفقير المالكي أبو الوليد الباجي.

2- قسم اختلف مع ابن حزم في الرأي لكنه ظل محايداً، محافظاً على مستوى أخلاقي يليق بالعلماء، ومن هذا الصنف كان أبو بكر يوسف بن عبد البر القرطبي، أحد الأعلام وصاحب التصانيف، فقد نقد الظاهرية، ورد على ابن حزم في مسألة عدم جواز القضاء لمن ترك الصلاة عمداً<sup>2</sup>، وكان ابن حزم

---

1 - انظر: «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص 76 وما بعدها.

2 - انظر: «الاستذكار» لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى 463 هـ)، حق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000 م، ج 1، ص 78.

قد أثنى عليه في رسالته «في فضائل الأندلس» وعدّه من مفاخر الأندلس العالية... ومن هذا القسم أيضًا كان كذلك ابن حيان، الذي قوّم ابن حزم بطريقة أقرب ما تكون إلى العدل، وقد عزا ابن حيان ما أصاب ابن حزم من الفقهاء إلى الحسد الذي لا دواء له، وإلى أن أزهد الناس بالعالم أهله وجيرانه، وهذه الحال كثيرة المثال.

3- والقسم الثالث هم أصدقاء ابن حزم، الذين ربطتهم به علاقة صداقة خاصة، وما كان للجدل والخلاف مكان فيها، ومن أبرز هؤلاء صاحبه محمد ابن يحيى المعروف بابن الطنبي، فقد كانا يتهاديان الود والشعر، وقد رثاه ابن حزم.. ومنهم أيضًا أبو عامر أحمد بن أبي مروان بن شهيد، صاحب «التوابع والزوابع»، وأحد أعلام الأندلس في الأدب والشعر، وقد وزرا معًا للمستظهر، وعملا معًا في خدمة المعتد بالله<sup>1</sup>.

وقد عاصر ابن حزم مفكرون وأدباء كثيرون، لكن لم تكن له بهم علاقة، وربما كانت الأحوال المضطربة، وتقلب الناس في الفتن، وابتعاد ابن حزم عن بحارها، وطبيعة ابن حزم الواضحة، بعض أسباب ذلك<sup>2</sup>. إلا أن ذلك لا يعني انقطاع ابن حزم عن الناس، بل كان له أصحاب وخلان وكان ابن حزم وفيًا لصحبته ومحبته.

---

1 - انظر: «تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة» د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط1، 1960، ص 270 وما بعدها.

2 - «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص 80.

## من تلاميذ ابن حزم:

على الرغم مما واجهه ابن حزم من محنٍ في شخصه، وفي علمه، ومن تحريق كتبه، إلا أنه كان له معجبون طلبوا العلم على يديه، وساروا على خطاه، واقتفوا أثره، وتابعوا نهجه، وحدثوا عنه، وناقحوا عنه وعن منهجه، قال الذهبي: «حدث عنه: ابنه أبو رافع الفضل<sup>1</sup>، وأبو عبدالله الحميدي<sup>2</sup>، ووالد القاضي أبي بكر ابن العربي<sup>3</sup>، وطائفة. وآخر من روى عنه مروياته بالإجازة أبو الحسن شريح ابن محمد<sup>4</sup>. ومن تلاميذه أيضًا:

- القاضي صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن التغلبي أبو القاسم<sup>5</sup> [ت 462 هـ].

- أبو الحسن شريح بن محمد الرعيني الإشبيلي المقرئ<sup>6</sup> [ت 535 هـ]:

---

1 - كان ذا أدب ونباهة، وروى عن أبيه وابن عبد البر، وكتب بخطه علمًا كثيرًا. قتل سنة 479 هـ في نوبة الزلافة مع مخدومه المعتمد بن عباد. وله كتاب «الهادي إلى معرفة النسب العبادي» انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي، ج 24، ص 41. و«الذخيرة» للشنتريني، ج 3، ص 13.

2 - تقدمت ترجمته ص 146.

3 - أبو محمد عبدالله بن محمد بن العربي الإشبيلي، الإمام العلامة الأديب، ذو الفنون، والد القاضي أبي بكر. صاحب ابن حزم، وأكثر عنه، ثم ارتحل بولده أبي بكر، وكان ذا بلاغة ولسن وإنشاء. مات بمصر سنة 493 هـ، ورجع ابنه إلى الأندلس [بعد أن دفن أباه في رحلته]. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 19، ص 130. و«لسان الميزان» لابن حجر، ج 4، ص 727.

4 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 185 - 186.

5 - تقدمت ترجمته ص 145.

6 - من أهل إشبيلية وخطيبها، يكنى: أبا الحسن. روى عن أبيه كثيرًا، وأجاز له ابن حزم وغيره. وكان من جلة المقرئين، معدودًا في الأدباء والمحدثين، خطيبًا بليغًا، حافظًا محسنًا فاضلاً، حسن الخط، واسع الخلق، سمع الناس منه كثيرًا ورحلوا إليه، توفي 539 هـ بإشبيلية. وهو آخر من روى عن

- أبو الحسن، علي بن سعيد العبدري، الميورقي<sup>1</sup> [ت 491 هـ].

كان من سبق ذكرهم بعض تلامذة ابن حزم، وبالتأكيد ليس كلهم، فلا شك أنهم أكثر من ذلك بكثير، إلا أن ما لقيه ابن حزم من الفقهاء والأمرء أدى إلى عدم الاحتفاء به وبتلامذته، وبذلك ضنت كتب المعاصرين بذكرهم أو بذكر نسبتهم إليه. إلا أن ذلك لم يمنع ابن حزم من أن يحقق منية نفسه في بث العلم الذي حمله أينما حلَّ أو ارتحل في حاضرة وباد، كما عبّر عن ذلك شعراً رائعاً كروعة منيته:

مُنَايَ مِنَ الدُّنْيَا عُلُومٌ أَبْثَهَا وَأَنْشَرُهَا فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرٍ  
دَعَاءٌ إِلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي تَنَاسَى رَجَالٌ ذَكَرَهَا فِي الْمَحَاضِرِ<sup>2</sup>

مصنفاته:

يُعدُّ ابن حزم من أكثر أهل الإسلام تصنيفاً وتأليفاً؛ قال عبد الواحد المراكشي: «له مصنفات كثيرة، جليلةُ القدر، شريفةُ القصد في أصول الفقه وفروعه، على مهيعه الذي سلكه، ومذهبه الذي تقلَّده، وهو مذهب داود بن علي ابن خلف الأصبهاني الظاهري، ومَنْ قال بقوله من أهل الظاهر، ونفاة القياس

---

ابن حزم. انظر ترجمته في: «الصلة» لابن بشكوال، ص 229. و«سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 186.

1 - من أهل جزيرة ميورقة؛ يكنى: أبا الحسن. سمع بها قديماً من ابن حزم. وأخذ عنه ابن حزم أيضاً. ورحل إلى المشرق وحج، ودخل بغداد، وترك مذهب ابن حزم، وتفقه عند أبي بكر الشاشي. انظر

ترجمته في: «الصلة» لابن بشكوال، ص 401 - 402

2 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 206.

والتعليل، بلغني عن غير واحدٍ من علماء الأندلس أن مبلغ تصانيفه في الفقه، والحديث، والأصول، والنحل والملل، وغير ذلك من التاريخ، والنسب، وكتب الأدب، والردّ على المخالفين، نحو أربع مئة مجلدٍ تشتملُ على قريبٍ من ثمانين ألف ورقة، وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان في مدة الإسلام قبله؛ إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفاً<sup>1</sup>.

ولقد عُنيَ بذكر ما استطعت الوصول من مؤلفاته؛ لأبرز المكانة العلمية العالية والمرموقة لهذا العالم الفذّ، سواء اتفقنا معه أم اختلفنا فيما ذهب إليه، فإن ذلك لا ينقص جلاله قدره، ومن سعة علمه وإطلاعه، وتنوع مصادر معرفته؛ فقد ألف وأجاد في مجالات عدة قلما حظي بها أو اجتمعت في عالمٍ واحد. فقد جاوزت كتبه نحوًا من أربع مئة مجلد كما قال ولده أبو الفضل؛ قال صاعد بن أحمد: «أخبرني ولده الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربع مئة مجلد تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة»<sup>2</sup>.

يقول ابن حزم: «ولنا فيما تحققنا به تأليف جمّة، منها ما قد تمّ، ومنها ما شارف التمام، ومنها ما قد مضى منه صدر، ويعين الله تعالى على باقيه، لم نقصد به قصْدَ مباهاةٍ فنذكرها، ولا أردنا السُّمعة فنسميها، والمراد بها ربّنا جلّ وجهه،

---

1 - «المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين» لعبد الواحد ابن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (ت: 647 هـ)، حق: د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط 1، 2006 م، ص 43-44.

2 - «تذكرة الحفاظ» للإمام الذهبي، ج 3، ص 228.

وهو وليُّ العونِ فيها، والمليُّ بالمجازاة عليها، وما كان الله تعالى فسييدو، وحسبنا الله ونعم الوكيل»<sup>1</sup>.

ومن الأسباب التي دعت ابن حزم إلى كثرة التأليف هو ما عايشه ونافع عنه مع مَنْ سَمَّاهم «أهل الجهل»، ويقصد بهم مخالفيه من أهل العلم الذين عاصروه وتسببوا له بالكثير مما لاقاه وعاناه، فقد كانت المجادلة في الكلام والحجج والمنازعة فيهما، بينه وبينهم، دائرةً على أشدها، مما حرَّه ودفعه إلى الكتابة والتأليف ردًّا عليهم، وبيانًا للحق، وطلبًا للحقيقة؛ فنراه يقول: «ولقد انتفعت بِمَحْكٍ<sup>2</sup> أهل الجهل منفعةً عظيمة، وهي أَنَّهُ توقَّد طبعي، واحتدم خاطري، وحمي فكري، وتهيج نشاطي، فكان ذلك سببًا إلى توالييف لي عظيمة المنفعة، ولولا استشارتهم ساكني، واقتداحهم كامني ما انبعثتُ لتلك التوالييف»<sup>3</sup>.

وقد كانت الغربة أحدَ أهم أسباب كثرة التأليف لدى ابن حزم؛ فكان يجد فيها الملاذ والأنيس في أيام الغربة القاسية كما ذكر ذلك في كتابه «التقريب»، فقال: «وما أَلَفْنَا كتابنا هذا، وكثيرًا مما أَلَفْنَا، إِلَّا ونحن مغرَّبون، مبعدون عن الوطن والأهل والولد، مخافون مع ذلك في أنفسنا ظلمًا وعدوانًا»<sup>4</sup>. فقد كانت الكتابة والتأليف أنسه، وربما أنسه الوحيد في غربته التي طالت وتعددت، فولدت لنا تراثًا عظيمًا خلَّد صاحبه وأبقى ذكره.

---

1 - «رسائل ابن حزم - رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها» لابن حزم، ج 2، ص 186 - 187.

2 - محْك: لَجَّ في الأمر، وقيل: المحْك: التماذي في اللجاجة عند المساومة والغضب ونحو ذلك. «تاج العروس» للزبيدي، مادة (م ح ك).

3 - «رسائل ابن حزم الأندلسي - رسالة في مداواة النفوس» لابن حزم، ج 1، ص 367 - 368.

4 - «التقريب لحد المنطق» لابن حزم، ص 200.

وذكر الطرطوشي<sup>1</sup> أنه جلس مع المختصين من أصحابه وأحصوا المدة التي يحتاج المرء لنسخ ما ألفه ابن حزم، فقال: «أحصينا المدة التي يمكن نسخ جميعها لناسخ تكون صناعته لا يفتر عن النسخ إلا في وقت وضوء وصلاة وأخذ غذاء وما أشبه ذلك، فوجدنا مدة ذلك ثمانين سنة، بعد التقصي لذلك والاجتهاد أيضًا للناسخ على ما تقدم في اجتهاده وكده بعد أن يكون من أهل الصناعة مشهورًا»<sup>2</sup>. قال الذهبي<sup>3</sup>: «كان لابن حزم مصنفاتٌ جليلةٌ وكتبٌ عظيمةٌ؛ لاسيما كتب الحديث والفقه:

1. أكبرها كتاب «الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام [في الواجب] والحلال والحرام [وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن] والسنة والإجماع»، أورد فيه أقوال الصحابة فمن بعدهم والحجة لكل قول، وهو كبير جدًا يبلغ نحو خمسة عشر ألف ورقة<sup>4</sup>، في أربعة وعشرين مجلدًا [مفقود].

---

1 - محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري بن رندقة الطرطوشي أبو بكر فقيه حافظ إمام محدث ثقة زاهد فاضل عالم عامل، رحل إلى العراق والشام ومصر، وقد تفقه بالأندلس وصحب أبا الوليد الباجي مدة. له تواليف مفيدة منها: سراج الملوك، توفي بالإسكندرية في 520هـ.

انظر ترجمته في: «الصلة» لابن بشكوال، ص 545. و«بغية الملتبس» للضبي، ص 135.

2 - انظر: «مؤلفات ابن حزم» مقال لمحمد إبراهيم الكتاني» مجلة الثقافة المغربية، الرباط، يناير 1960م، العدد الأول. انظر «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص 109.

3 - انظر للذهبي: «سير أعلام النبلاء» ج 18، ص 193 - 195. و«تذكرة الحفاظ» ج 3، ص 227.

4 - تكملة العنوان من «جدوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس» للحميدي، ص 308، قال فيه الحميدي: «وَأَلَّفَ فِي فقه الحديث كتابًا كبيرًا سماه «كتاب الإيصال، إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل

2. وكتاب «الخصال الحافظ لجمال شرائع الإسلام»<sup>1</sup> مجلدان، [مفقود].
3. وكتاب «المُجَلَّى»<sup>2</sup> في الفقه على مذهبه واجتهاده، مجلد.
4. وكتاب «المُحَلَّى»<sup>1</sup> في شرح المُجَلَّى بالحجج والآثار»<sup>2</sup> ثمانية مجلدات، [ط].

---

شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام، وسائر الأحكام، على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع»، أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه، والحجة لكل طائفة وعليها، والأحاديث الواردة في ذلك من الصحيح والسقيم بالأسانيد وبيان ذلك كله، وتحقيق القول فيه». 1. هـ. هذا الكتاب كما يبدو من العنوان هو شرح لكتابه «الخصال الجامعة لجمال شرائع الإسلام والحلال والحرام والسنة والإجماع»، وقد اختصر بعض هذا الكتاب ابنه أبو رافع ليكمل بعض أجزاء «المحلى». ابتداءً من المسألة (2029) حتى نهاية الكتاب، إذ توفي ابن حزم قبل إتمام «المحلى». انظر فهرس دار الكتب المصرية ج 1، ص 555. وانظر حاشية: «سير أعلام النبلاء» ج 18، ص 193 حق: الأرنبوط والعرقسوسي: وهذا الكتاب مفقود لم يعثر منه إلا صفحات ضمن مجموع رقم (4856) في مكتبة تشستر بيتي، وذكر أربيري في فهرسة المكتبة أنها النسخة الوحيدة في العالم. انظر حاشية: «مختصر طوق الحماية وظل الغمامة في الألف والألاف» لعل بن أحمد بن حزم، حق: عبدالحق التركماني، ط 1، 2002م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ص 70. قال د. عويس: «كتاب الإيصال إلى فهم كتاب الخصال (40) مجلدًا، قيل: إن جزءًا منه بمكتبة حميد الدين باليمن، ولم يثبت ذلك، كما أن أبا تراب الظاهري زعم أن لديه بعضه». انظر: «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبدالحليم عويس، ص 111.

- 1 - ذكر حاجي خليفة في «كشف الظنون»، مكتبة المثنى، بغداد، 1941، ج 1، ص 704 أن اسمه: «الخصال الجامعة لمحصل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام» وذكر أنه مجلد. وقد ذكر بعنوان: الخصال الجامعة لجمال شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام، وسائر الأحكام، على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع. انظر: «جذوة المقتبس» للحميدي، ص 308.
- 2 - «المُجَلَّى» هو المتن الذي شرحه بكتابه الشهير «المحلى»، وهو غير مفقود إنما لم يجمع على حدة. انظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي» حق: د. إحسان عباس، ج 1، ص 5.

5. وكتاب «حَجَّة الوداع»<sup>3</sup> مئة وعشرون ورقة، [ط].
6. وكتاب «قسمة الخمس في الرد على إسماعيل القاضي»<sup>4</sup> مجلد، [مفقود].
7. وكتاب «الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض / التعارض عنها»  
يكون عشرة آلاف ورقة، لكن لم يتمه، [مفقود].
8. وكتاب «الجامع في صحيح الحديث بلا أسانيد»<sup>5</sup> [مفقود].
9. وكتاب «التلخيص والتخليص في المسائل النظرية»<sup>6</sup> [مفقود].

- 
- 1 - قال ابن حجر في «لسان الميزان»: «تَبَعَّ أغلظه في الاستدلال والنظر عبدالحق بنُ عبدالله الأنصاري في كتاب سماه «الرد على المُحَلَّى»، ج4، ص 199.
  - 2 - وعنوانه «المُحَلَّى بالآثار في شرح المُجَلَّى باختصار، على ما أوجبه القرآن والسنن الثابتة عن رسول الله ﷺ» طبع في مصر بالمطبعة المنيرية (1928 - 1931)، حَقَّقَ الشيخ أحمد محمد شاكر الأجزاء الستة الأولى، وحقق الجزء السابع الشيخ عبد الرحمن الجزيري، وأتم تحقيقه الشيخ منير آغا الدمشقي، وطبع بمصر بتصحيح حسن زيدان طلبة. وقد توالى الطباعات، انظر حاشية: «مختصر طوق الحمامة» حق: عبدالحق التركماني، ص 70 - 71.
  - 3 - مطبوع بتحقيق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة النشر، بيروت، ط1، 1956.
  - 4 - ورد في «الرسائل» بعنوان: «رد على إسماعيل بن إسحاق في كتابه الخمس»، قال ابن حزم: «قول إسماعيل بن إسحاق في كتابه «الخمسة»، وهو كتاب مشهور معلوم، ولنا عليه فيه رد هتكنا عواره فيه، وفضحنه بحول الله وقوته». «الإحكام في أصول الأحكام 1: 276» وانظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 1، ص 6.
  - 5 - ورد في «الرسائل» بعنوان: «كتاب الجامع في صحيح الأحاديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها» انظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 1، ص 4.
  - 6 - ذكره ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» ج4، ص 1657، والتلمساني في «نفح الطيب» ج2، ص 79. وزادا في اسمه: «.. وفروعها التي لا نصَّ عليها في الكتاب ولا الحديث». وهذه الرسالة غير

10. وكتاب «ما انفرد به مالك وأبو حنيفة والشافعي»<sup>1</sup> [مفقود].
11. و«مختصر الموضح» لأبي الحسن بن المغلس الظاهري، مجلد، [مفقود].
12. وكتاب «اختلاف الفقهاء الخمسة مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وداود»، [مفقود].
13. وكتاب «التصفح في الفقه» مجلد، [مفقود].
14. وكتاب «التبيين في هل عِلِمَ المصطفى أعيان المنافقين» ثلاث كراريس، [مفقود].
15. وكتاب «الإملاء في شرح الموطأ»<sup>2</sup> ألف ورقة، [مفقود].

---

«التلخيص لوجوه التلخيص» المذكورة لاحقاً، التي صدرت ضمن «رسائل ابن حزم الأندلسي» بتحقيق للدكتور إحسان عباس، ج3، ص30. وقد طبعت في كتاب مستقل بتحقيق عبدالحق التركماني عن دار ابن حزم، بيروت، عام 1423 هـ. وقال عبدالحق التركماني: «هذه الرسالة غير ما ذكره الذهبي لابن حزم باسم «التلخيص والتخليص في المسائل النظرية» وذكره ياقوت الحموي والمقري؛ وزادا: «.. وفروعها التي لا نصَّ عليها في الكتاب ولا الحديث». وهذا يوضح موضوع الكتاب، فهو في المسائل النظرية، ورسالتنا في المسائل العملية». ص63. وطبع كتاب «التلخيص لوجوه التلخيص» بتخريج وتعليق سعود الشمري، بتقديم محمد بن عمر ابن عبدالرحمن العقيل (ابن عقيل الظاهري)، مكتبة دار ابن حزم، الرياض، ط1، عام 2005م.

1 - ورد في «الرسائل» بعنوان: «كتاب فيما خالف أبو حنيفة ومالك والشافعي جمهور العلماء وما انفرد به كل واحد منهم»، وانظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج3، ص230. وانظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج1، ص7.

2 - ورد بعنوان: «شرح حديث الموطأ والكلام في مسأله» في كتاب «ابن حزم الأندلسي- وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص111.

16. وكتاب «الإملاء في قواعد الفقه» ألف ورقة أيضًا، [مفقود].
17. وكتاب «در القواعد في فقه الظاهرية» ألف ورقة أيضًا، [مفقود].
18. وكتاب «الإجماع»<sup>1</sup> مجيليد، [ط].
19. وكتاب «الفرائض» مجلد، [مفقود].
20. وكتاب «الرسالة البلقاء في الرد على عبد الحق بن محمد الصَّقَلِي» مجيليد، [مفقود].
21. وكتاب «الإحكام لأصول الأحكام»<sup>2</sup> مجلدان، [ط].
22. وكتاب «الفصل في الملل والنحل»<sup>3</sup> مجلدان كبيران، [ط].

---

1 - ذكره الذهبي في «تذكرة الحفاظ» باسم «منتقى الإجماع» ج3، ص230. وذكره ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» ج4، ص1657، وزاد في اسمه: «وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف». مطبوع باسم «مراتب الإجماع» في عام 1938م، تصحيح حسام الدين القدسي، ثم توالى الطباعات، وكان قد ألحق به كتاب «نقد مراتب الإجماع» لشيخ الإسلام ابن تيمية وصدر باسم «مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات». انظر طبعة دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط1، 1998م.

2 - مطبوع عدة طباعات بعنوان «الإحكام في أصول الأحكام»، وكان قد طبع بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاعر، سنة 1345 - 1348هـ، في ثمانية أجزاء، ثم صورته دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1400هـ - 1980م، وقدم له د. إحسان عباس.

3 - مطبوع عدة طباعات، كانت أولى طباعته سنة 1903م انظر: «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص115. وقد زاد ابن خلكان في اسمه فسماه: «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، انظر «وفيات الأعيان» ج3 ص326. وكان قد طبع أول مرة في المطبعة الأدبية سنة 1317هـ في خمسة أجزاء وبهامشه «الملل والنحل» للشهرستاني. والملة،

23. وكتاب «الرد على من اعترض على الفصل» له، مجلد، [مفقود].
24. وكتاب «اليقين في نقض تمويه المعتذرين عن إبليس وسائر المشركين»<sup>1</sup> مجلد كبير، [مفقود].
25. وكتاب «الرد على ابن زكريا الرازي»<sup>2</sup> مئة ورقة، [مفقود].
26. وكتاب «الترشيد في الرد على كتاب «الفريد» لابن الراوندي في اعتراضه على النبوات» مجلد، [مفقود].
27. وكتاب «الرد على مَنْ كَفَّرَ المتأولين من المسلمين»<sup>3</sup> مجلد.

---

بالكسر: الشريعة أو الدِّين، كملة الإسلام والنصرانية واليهودية، وقيل: هي معظم الدِّين، وجملة ما يجيء به الرسل.. والفَصْلة: النخلة المنقولة، المحولة. «تاج العروس» للزبيدي، مادة (م ل ل) و(ف ص ل).

1 - ورد في «الرسائل» بعنوان: «اليقين في النقض على الملحددين المحتجين عن إبليس اللعين وسائر الكافرين». وفي «الفصل» ج 3، ص 115: في الرد على عطف بن دوناس. انظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 1، ص 7-8. وذكره د. عويس بعنوان: «كتاب اليقين في الرد على الملحددين والمجتمعين على إبليس اللعين وسائر المشركين»، انظر: «ابن حزم الأندلسي- وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص 112.

2 - ورد في «الرسائل» بعنوان: «نقض العلم الإلهي للرازي» (ذكره ابن حزم في «الفصل» مرات، انظر: «رسائل فلسفية للرازي الطيب»، نشر ب. كراوس 170 - 175)، وانظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 1، ص 6. وقال د. عويس: «وهو غير الذي حققه د. إحسان عباس ضمن التقريب لحد المنطق». «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص 112.

3 - ورد في «الرسائل» بعنوان: «كتاب الصادع والرادع في الرد على من كَفَّرَ أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على مَنْ قال بالتقليد» انظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 1، ص 4.

28. وكتاب «مختصر في علل الحديث» مجلد، [مفقود].
29. وكتاب «التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بألفاظ أهل العلم لا بألفاظ أهل الفلسفة»<sup>1</sup>، ومثله بالأمثلة الفقهية، مجلد، [ط].
30. وكتاب «الاستجلاب» مجلد، [مفقود].
31. وكتاب «نَسَب البربر» مجلد، [مفقود].
32. وكتاب «نَقَطُ العروس»<sup>2</sup> مجيليد، [ط].
33. وكتاب «إظهار تبديل اليهود والنصارى للكتابين التوراة والإنجيل»<sup>1</sup>، وغير ذلك.

---

1 - ذكره الحميدي في «جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس» باسم «التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية» وقال: «إنه سلك في بيانه وإزالة سوء الظن عنه وتكذيب الممخرقين به طريقة لم يسلكها أحد قبله فيما علمناه»، ص 309. والكتاب مطبوع بتحقيق: د. إحسان عباس، عام 1959م، في مكتبة دار الحياة، بيروت. ومطبوع أيضًا في المجلد الرابع من «رسائل ابن حزم الأندلسي» حق: د. إحسان عباس، ج 4، ص 29. وطبع حديثاً بدراسة وتقديم: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، حق: عبد الحق التركماني، عن دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 2007م.

2 - سمّاه ابن حيان في «المقتبس» ج 5، ص 37: «نَقَطُ العروس في نوادر الأخبار» مطبوع عدة طبعات، وقد نشره المستشرق زييولد في مجلة مركز الدراسات التاريخية بغرناطة سنة 1911م، وأعاد نشره د. شوقي ضيف في مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد 13، عام 1951م، ثم نشره د. إحسان عباس ضمن مجموع «رسائل ابن حزم الأندلسي» في المجلد الثاني منها. انظر حاشية «سير أعلام النبلاء» حق: الأرناؤوط والعرقسوسي، ج 18، ص 195. وذكره د. عويس بعنوان: «نقط العروس في تواريخ الخلفاء». «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص 117.

ومما له في جزء أو كُرَّاس:

34. «مراقبة أحوال الإمام» [مفقود].
35. و«مَنْ ترك الصلاة عمداً»<sup>2</sup> [مفقود].
36. و«رسالة المعارضة» [مفقودة].
37. و«قصر الصلاة» [مفقودة].
38. و«رسالة التأكيد» [مفقودة].
39. و«ما وقع بين الظاهرية وأصحاب القياس»<sup>3</sup> [مفقود].
40. و«فضائل الأندلس»<sup>4</sup> [ط].

---

1 - وسماه الحميدي في «جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس» ص 309، باسم: «إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل»، وقال: «وهذا مما سبق إليه»، وانظر «وفيات الأعيان» لابن خلكان، ج 3 ص 326. قال د. عويس: «لعله الذي في الفصل. «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص 115.

2 - ورد بعنوان: «مسألة تعمد ترك الصلاة حتى خرج وقتها» (ناقش ابن حزم هذه القضية بتفصيل في «المحلى»، ج 2، ص 10. انظر: «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص 111.

3 - وردت في «الرسائل» بعنوان: «كتاب كشف الالتباس لما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس» انظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 1، ص 4.

4 - سمّاها ابن خير في «الفهرسة» ص 194 باسم «رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها». ونشرت بتحقيق د. إحسان عباس في «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 2 ص 171، وذكر أن مصدرها كتاب «نفع الطيب» ج 3، ص 156. انظر حاشية «سير أعلام النبلاء» حق: الأرنبوط والعرقسوسي،

41. و«العتاب على أبي مروان الخولاني» [مفقود].
42. و«رسالة في معنى الفقه والزهد» [مفقودة].
43. و«مراتب العلماء وتواليهم» [مفقود].
44. و«التلخيص في أعمال العباد»<sup>1</sup>.
45. و«الإظهار لما شُنع به على الظاهرية» [مفقود].
46. و«زجر الغاوي» جزآن، [مفقود].
47. و«النبد الكافية»<sup>2</sup> [ط].
48. و«النكت الموجزة في نفي الرأي والقياس والتعليل والتقليد» مجلد صغير<sup>1</sup>.

---

ج18، ص196. وذكرها د. عويس بعنوان «رسالة الميزان في التسوية بين علماء الأندلس وأهل بغداد والقيروان» وقال: «وهي المعروفة برسالة في "فضائل علماء الأندلس"، مطبوعة، وقع عليها أول مرة في العصر الحديث المستشرق هـ. بيريه». «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص117.

1 - ربما كان هو نفسه كتاب «التلخيص لوجوه التلخيص» المطبوع والمذكور في التعليق على كتاب «التلخيص والتخليص في المسائل النظرية» ص187.

2 - ذكره د. عويس بعنوان «النبد الكافية في أصول أحكام الدين»، «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص112. والكتاب مطبوع باسم «النبد في أصول الفقه الظاهري» حق: محمد زاهد الكوثري، عام1940م، مطبعة الأنوار، القاهرة، ثم نشرته دار ابن حزم، بيروت، لبنان، حق: محمد صبحي حسن الحلاق، عام1999م، انظر حاشية: «مختصر طوق الحمامة» حق: عبدالحق التركماني، ص72.

49. و«الرسالة اللازمة لأولي الأمر» [مفقودة].
50. و«مختصر الملل والنحل» مجلد، [مفقود].
51. و«الدرة في ما يلزم المسلم»<sup>2</sup> جزآن، [ط].
52. و«مسألة في الروح»<sup>3</sup> [مفقودة].
53. و«الرد على إسماعيل اليهودي»<sup>4</sup>، الذي ألف في تناقض آيات، [ط].

1 - وهو «ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل» نشر هذا الملخص بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني، مطبعة جامعة دمشق، سنة 1379 هـ - 1960 م. وانظر: حاشية «سير أعلام النبلاء» حق: الأرنبوط والعرقسوسي، ج18، ص196. وأورده د. عويس بعنوان: «النكت الموجزة في نفي الأمور المحدثه في الدين: من الرأي والقياس والاستحسان والتقليد» ضمن قائمة كتب ابن حزم المفقودة، انظر: «ابن حزم الأندلسي- وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص112.

2 - وردت في «الرسائل» بعنوان: «رسالة الدرة في تحقيق الكلام فيما يلزم الإنسان اعتقاده» انظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي» بتحقيق الدكتور إحسان عباس ج1، ص2. وذكرها د. عويس بعنوان: «الدرة في تحقيق الكلام بما يلزم الإنسان اعتقاده في الملة والنحلة باختصار وبيان» (مخطوطة شهيد على 2704). «ابن حزم الأندلسي وجهوده» د. عبد الحليم عويس، ص116.

3 - قد تكون هي «رسالة في حكم من قال: إن أرواح أهل الشقاء معذبة إلى يوم الدين» التي نشرت في «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج3، ص219. انظر حاشية «سير أعلام النبلاء» حق: الأرنبوط والعرقسوسي، ج18، ص196.

4 - وردت في «الرسائل» بعنوان: «الرد على ابن النغيلة» وابن النغيلة هذا - على اختلاف بين المصادر في رسم اسمه - استوزره باديس بن حيوس ملك غرناطة بعد أن كان كاتباً له. انظر الاختلاف في اسمه في: «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج3، ص7. ويرى د. إحسان عباس أن رد ابن حزم إنما هو على يوسف بن إسماعيل الذي خلف أباه إسماعيل في الوزارة، ويستدل لذلك في المقدمة التي

54. و«النصائح المنجية»<sup>1</sup> [مفقود].
55. و«الرسالة الصَّاحية الصَّادنية في الوعد والوعيد»<sup>2</sup> [مفقود].
56. و«مسألة الإيَّان» [مفقودة].
57. و«مراتب العلوم»<sup>3</sup> [ط].
58. و«بيان غلط عثمان بن سعيد الأعور في المسند والمرسل» [مفقود].
59. و«ترتيب سؤالات عثمان الدارمي الداربي لابن معين» [مفقود].
60. و«عدد ما لكل صاحب في مسند بقي» [مفقود].
61. و«تسمية شيوخ مالك» [مفقود].

---

كتبها لرسالة ابن حزم في الرد على ابن النغيلة في «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 3، ص 7 وما بعدها. انظر: حاشية «سير أعلام النبلاء» حق: الأرئوط والعرقسوسي، ج 18، ص 196. وذكره د. عويس بعنوان: «الرد على ابن النغيلة اليهودي» [ط]. «ابن حزم الأندلسي وجهوده» د. عبد الحليم عويس، ص 115.

1 - هذه الرسالة موجودة ضمن كتابه «الفصل» ج 4، ص 137 وما بعدها، بعنوان: «ذكر العظام المخرجة إلى الكفر والمحال من أقوال أهل البدع: المعتزلة والخوارج والمرجئة والشيعة». انظر حاشية «سير أعلام النبلاء» حق: الأرئوط والعرقسوسي، ج 18، ص 196. وذكرها د. عويس بعنوان «النصائح المنجية والفضائح المخزية لجميع الشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة»، وهو من أجزاء «الفصل». «ابن حزم الأندلسي وجهوده» د. عبد الحليم عويس، ص 115.

2 - وردت في «الرسائل» بعنوان: «رسالة في الوعد والوعيد وبيان الحق في ذلك من السنن والقرآن»، كتبها للأمير أبي الأحوص معن بن محمد التجيبي. انظر: «رسائل ابن حزم» ج 1، ص 4.

3 - «مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلُّق بعضها ببعض». «ابن حزم الأندلسي وجهوده» د. عبد الحليم عويس، ص 116.

62. و«السير والأخلاق»<sup>1</sup> جزآن [ط].
63. و«بيان الفصاحة والبلاغة»، ورسالة في ذلك إلى ابن حفصون، [مفقود].
64. و«مسألة هل السواد لون أم لا»<sup>2</sup> [مفقودة].
65. و«الحد والرسم» [مفقود].
66. و«تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر» [مفقود].
67. و«شيء في العروض» [مفقود].
68. و«مؤلف في الظاء والضاد»<sup>3</sup> [مفقود].
69. و«التعقب على الأفليلي»<sup>4</sup> في شرحه لديوان المتنبي» [مفقود].

---

1 - مطبوع بعنوان «الأخلاق والسير»، طبعته اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، عام 1961م. وانظر طبعة دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م، بعنوان: «كتاب الأخلاق والسير، أو رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، والزهد في الرذائل» بتحقيق د. إيفا رياض، بتقديم وتعليق عبدالحق التركماني.

2 - نشرها النادي الأدبي في الرياض 1979. «رسائل ابن حزم الأندلسي»، ج1، ص10.

3 - ورد بعنوان «مؤلف في الطاء والظاء». انظر: «ابن حزم الأندلسي - وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص113.

4 - ضبطها ياقوت بفتح الهمزة، وضبطها ابن خلكان بالكسر، نسبة إلى إفلياء وهي: قرية من قرى الشام، وهو أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا بن مفرج المعروف بابن الإفيلي، وكان من أئمة النحو واللغة، وله معرفة تامة بالكلام على معاني الشعر، وشرح «ديوان المتنبي» شرحاً جيداً، توفي سنة 441هـ. انظر ترجمته في: «الصلة» ج1، ص93-94، وقال صاحب الصلة ابن بشكوال في ترجمة عبد الله بن أحمد النباهي: «وله ردُّ على أبي محمد بن حزم فيما انتقده على ابن الإفيلي في شرحه

70. و«غزوات المنصور بن أبي عامر»<sup>1</sup> [مفقود].
71. و«تأليف في الرد على أناجيل النصارى»<sup>2</sup> [مفقود].
72. ولابن حزم «رسالة في الطب النبوي» [مفقودة]. وذكر فيها أسماء كتب له في الطب منها:
73. «مقالة السعادة» [مفقودة].
74. و«مقالة في شفاء الضد بال ضد» [مفقودة].
75. و«شرح فصول بقراط» [مفقود].
76. وكتاب «بلغة الحكيم» [مفقود].
77. وكتاب «حدُّ الطب» [مفقود].
78. وكتاب «اختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة» [مفقود].
79. وكتاب في «الأدوية المفردة» [مفقود].
80. و«مقالة في المحاكمة بين التمر والزبيب» [مفقودة].

---

لشعر المتنبي». انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان، ج 1، ص 51. و«معجم البلدان» لياقوت الحموي، ج 1، ص 232. وانظر: حاشية «سير أعلام النبلاء» حق: الأرنبوط والعرقسوسي، ج 18، ص 197.

1 - قال د. عويس: «وهذا الكتاب وكتاب «ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس» وكتاب «السياسة في سير الخلفاء» هي التي التي أخذ منها الحميدي «جذوة المقتبس»». «ابن حزم الأندلسي- وجهوده» د. عبد الحليم عويس، ص 113.

2 - وهو غير «إظهار تبديل اليهود والنصارى»، انظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 1، ص 7.

81. و«مقالة في النخل»، النحل [مفقودة].

وأشياء سوى ذلك». 1. هـ. كلام الذهبي.

وقد نشر الدكتور إحسان عباس مجموعة رسائل لابن حزم جمعها في كتاب سماه «رسائل ابن حزم الأندلسي» ذكر في مقدمته عددًا من كتب ابن حزم مما لم تذكر في كلام الذهبي السابق فكان منها ما يأتي:

82. «رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق»<sup>1</sup> [ط].

83. «رسالة في الغناء الملهي»<sup>2</sup> [ط].

84. «رسالة في معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها»<sup>3</sup> [ط].

85. «كتاب الأصول والفروع»<sup>4</sup> [ط].

---

1 - زاد د. عويس في عنوانها: «... والزهد في الرذائل» مطبوعة وكانت أولى طبعاتها سنة 1918م. «ابن

حزم الأندلسي وجهوده» د. عبد الحليم عويس، ص 116. وهي مطبوعة بتحقيق أبو حذيفة، إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة بطنطا، ط 1، عام 1407هـ - 1987م.

2 - أوردها د. عويس بعنوان: «رسالة في الغناء الملهي أمباح هو أم محذور» [ط]. «ابن حزم الأندلسي-

وجهوده» د. عويس، ص 115. مطبوعة ضمن كتاب «رسائل ابن حزم» حق: د. إحسان عباس،

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، ط 1، 1983م، ج 1، ص 417.

3 - مطبوعة ضمن كتاب «رسائل ابن حزم» ج 1، ص 411 وما بعدها. أوردها د. عويس بعنوانين:

«رسالة في النفس» [خ]، و«فصل في معرفة النفس بغيرها وجهلها بنفسها» [ط]، ثم عقب على

الرسالة الثانية منها بقوله: «لعلها الرسالة السابقة». «ابن حزم الأندلسي- وجهوده» د. عبدالحليم عويس، ص 116.

4 - وأبواب هذا الكتاب في جملتها صورة أخرى لكثير من الفصول التي وردت في كتاب «الفصل في

الملل والنحل» لابن حزم، مع اختلاف يسير في التعبير، لعله يوحى بشيء من الإيجاز والتلخيص،

86. «رسالة التوقيف على شارع النجاة» [باختصار الطريق]، [ط].

87. «رسالة في الرد على الهاتف من بعد» [ط].

88. «رسالة في مسألة الكلب»<sup>1</sup> [ط].

89. «رسالة في الجواب عما سُئل عنه سؤال تعنيف»<sup>2</sup> [ط].

90. «رسالة في الإمامة»<sup>3</sup> [ط].

91. «رسالة في ألم الموت» [وإبطاله]، [ط].

92. «رسالة في أرواح الأتقياء»<sup>4</sup> [ط].

93. «رسالة التلخيص لوجوه التلخيص»<sup>5</sup> [ط].

---

أو لعل هذه الفصول كتبت قبل أن يكتب «الفصل» ثم أدخلها ابن حزم فيه، كما هي عادته في تواليفه. والمشابهة بين كتاب الفروع وبعض فصول كتاب الفصل تكاد تكون تامة حرفية. انظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 1، ص 1.

1 - أوردها د. عويس بعنوان: «رسالة في طهارة الكلب والرد على من قال بنجاسته» [ط]. «ابن حزم الأندلسي وجهوده» د. عبد الحليم عويس، ص 115.

2 - أوردها د. عويس بعنوان: «رسالتان له أجاب فيهما عن رسالتين سئل فيهما سؤال تعنيف» [ط]. «ابن حزم الأندلسي وجهوده» د. عبد الحليم عويس، ص 115.

3 - قال د. عويس: «رسالة في الإمامة (في الصلاة)» مخطوطة شهيد علي 2704. «ابن حزم الأندلسي وجهوده» د. عبد الحليم عويس، ص 114. مطبوعة ضمن كتاب «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 3، ص 205 وما بعدها.

4 - مطبوعة ضمن كتاب «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 3، ص 217 وما بعدها.

5 - مطبوعة ضمن كتاب «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 3، ص 141 وما بعدها.

94. «في الوعد والوعيد وبيان الحق في ذلك من السنن والقرآن»، [كتبها] إلى

الأمير أبي الأحوص معن بن محمد التجيبي صاحب المرية.

95. «رسالة الردّ على الكندي الفيلسوف» (نشرت مع الرد على ابن النغيلة،

وهي لاحقة بكتاب التقريب لحد المنطق)<sup>1</sup> [ط].

---

1 - قال د. إحسان عباس: «ولعل أول شيء استوقفني حين قرأت هذا الكتاب هو: هل الكتاب من تأليف ابن حزم ذلك؛ لأن الذي نسبته إلى ابن حزم ظنّ أنه كتاب في الردّ على العلم الإلهي للرازي، ولا بن حزم كتاب يرد به على الرازي في العلم الإلهي، ذكره كثيرًا في كتاب الفصل، وأشار إلى بعض ما يحتويه. ولكن هذا كتاب آخر في الردّ على الكندي، تليه رسائل وفصول لا تجمعها رابطة واحدة، وليس فيه إشارة واحدة إلى ابن حزم نفسه؛ إذ إن ابن حزم يصدر أقواله دائمًا بمثل: قال عليّ، أو قال أبو محمد. ولم يرد مثل هذا مرة واحدة في الكتاب؛ بل جاء فيه حينًا: قال محمد، وحينًا: قال الموحد. وإذا حسبنا أن «قال محمد» خطأ صوابه: قال (أبو) محمد، وأن لفظة «أبو» قد سقطت سهوًا من الناسخ لم نجد عبارة «قال الموحد» مما يستعمله ابن حزم في كتبه، ولم يشر أحد فيما أعلم إلى أن لابن حزم كتابًا في الرد على الكندي أو رسالة في اتفاق العدل والقدر، ولم يشر - ابن حزم نفسه إلى شيء من ذلك، ومن عادته أن يسمي بعض كتبه في مادة واحدة، وقد كان من الممكن أن يشير إلى هذا الكتاب في كتاب الفصل مثلاً حيث عالج مسألة أسماء الله تعالى وصفاته وتحدث عن الدهرية وعن القدر، إلا أن شيئًا من ذلك لم يحدث. ومن هنا نشأت الحيرة وثار التساؤل: من هو مؤلف هذا الكتاب؟! انظر: «الرسائل»، ج 4، ص 53. ثم يرجّح د. إحسان عدم نسبته إلى ابن حزم بقوله: «أراني أرجّح أن هذا الكتاب ليس من مؤلفات ابن حزم». «رسائل ابن حزم» ج 4، ص 57. وقال د. عويس: «يُشكّ في صحة نسبته إلى ابن حزم». «ابن حزم الأندلسي وجهوده» ص 117. وأكد عدم نسبته إلى ابن حزم يقيّن كلُّ من أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري وعبد الحق التركماني. انظر: حاشية «التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية» لابن حزم، تقديم: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، حق: عبد الحق التركماني، دار ابن حزم، بيروت - لبنان 2007 م، ص 70.

96. «رسالة في أمهات الخلفاء»<sup>1</sup> [ط].

وقد كان ابن حزم مكثراً من التأليف ولكن كثيراً مما كتبه مفقود أو محتجب<sup>2</sup>.

97. «كتاب السياسة»<sup>3</sup> ذكره ابن حزم في «التقريب»، وذكره ابن عباد الرندي في «الرسائل الصغرى» ونقل منه شيئاً في بعض أحوال النفس الإنسانية. وهذا يدل على أن كتاب «السياسة» مختلف في موضوعه عن كتاب «الخلافة والإمامة» [مفقود].

98. «كتاب الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب إلى الواجب منها» ورد ذكره في «النفع» باسم «كتاب الإمامة والخلافة في سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها»<sup>4</sup> [مفقود].

99. «كتاب في أسماء الله تعالى»؛ قال الغزالي: «وجدت في أسماء الله تعالى كتاباً لأبي محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه»<sup>5</sup> [مفقود].

---

1 - نشرها د. صلاح الدين المنجد في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد 34 (1959) ص

291 - 299. انظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 1، ص 3.

2 - «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 1، ص 4. وانظر: مقالة «مؤلفات ابن حزم المفقودة» لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (مجلة الفيصل، السنة الثالثة، العدد 26، ص 59 - 62).

3 - وقد ورد الكتاب بعنوان «السياسة في سير الخلفاء» ذكره د. عبد الحليم عويس في «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري»، ص 113.

4 - «نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب» للتلمساني، ج 2، ص 79. وقد رجّح د. عويس أنه «كتاب السياسة» السابق ذكره. «ابن حزم الأندلسي وجهوده» د. عبد الحليم عويس، ص 112.

5 - «نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب» للتلمساني، ج 2، ص 78.

100. «فهرسة شيوخ ابن حزم»، (ذكره ابن خير في فهرسته<sup>1</sup> وقال: إنه قرأه

على شريح بن محمد، وذكره عقيل بن عطية باسم «البرنامج») [مفقود].

101. «كتاب فيما خالف فيه المالكية الطائفة من الصحابة» (قال ابن حزم:

«فقد أَلَفْنَا كتابًا ضخمًا فيما خالفوا فيه الطائفة من الصحابة رضي الله

عنهم، بآرائهم دون تعلق بأحد من الصحابة والتابعين رضي الله

عنهم»<sup>2</sup>).

102. «ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس» [مفقود].

103. «الفضائح» (قال ياقوت الحموي: «ولهم - أي البربر - من هذا فضائح

ذكر بعضها إمام أهل المغرب أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم

الأندلسي في كتاب له سماه: الفضائح»<sup>3</sup>).

104. «نكت الإسلام» (قال الفقيه ابن العربي: وقد جاءني رجل بجزء لابن

حزم سماه «نكت الإسلام»<sup>4</sup>، ولا بن العربي ردُّ عليه، [مفقود].

105. «مراتب الديانة»<sup>1</sup> [مفقود].

---

1 - «فهرسة ابن خير الإشبيلي»، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي (ت

575هـ)، حق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ-1998م، ج1،

ص 296 و 383.

2 - «رسائل ابن حزم - رسالتان له أجاب فيها عن رسالتين سئل فيها سؤال التعنيف» لابن حزم، ج3،

ص 88.

3 - «معجم البلدان» لياقوت الحموي، ج1، ص 369.

4 - «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج3، ص 229.

106. «مهم السنن» [مفقود].
107. «جزء في فضل العلم وأهله» [مفقود].
108. «أجوبة على [من] صحيح البخاري» [مفقود].
109. «الإنصاف (في الرجال)»<sup>2</sup> [مفقود].
110. «مختصر كتاب الساجي في الرجال»<sup>3</sup> [مفقود].
111. «الحدود»<sup>4</sup>، [مفقود].
112. «ترتيب مسند بقي بن مخلد» [مفقود].
113. «جزء في أوهام الصحيحين» [مفقود].
114. «كتاب تفسير ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ [يوسف: 110]»<sup>5</sup>، [مفقود].
115. «رسالة في آية ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [يونس: 94]»، [مفقودة].

---

1 - ذكره الأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل ولم يشر إلى المصدر الذي اعتمده. انظر: مقالة لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في (مجلة الفيصل، السنة الثالثة، العدد 26). وذكره أيضًا د. عبد الحليم عويس في كتابه: «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري»، ص 111.

2 - انظر: «لسان الميزان» لابن حجر، ج 6، ص 217.

3 - انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي، ج 3، ص 90، ترجمة عكرمة بن خالد بن سلمة المخزومي.

4 - انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر، ج 7، ص 185.

5 - ذكرها أبو عبد الرحمن بن عقيل ولم يشر إلى المصدر الذي اعتمده. انظر: مقالة لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في (مجلة الفيصل، السنة الثالثة، العدد 26).

116. «رسالة في أن القرآن ليس من نوع بلاغة الناس» [مفقودة].
117. «تواريخ أعمامه وأبيه وأخواته وبنيه وبناته، مواليدهم وتاريخ من مات منهم في حياته» [مفقود].
118. «إجازة لتلميذه شريح بن شريح المقرئ»<sup>1</sup>
119. «إجازة للحسين بن عبد الرحيم».
120. «المرطار في اللهو والدعابة»<sup>2</sup>، [مفقود].
121. «كتاب العظام» (حاشية الورقة 90/أ من نسخة شهيد علي).
122. «كتاب العانس في صدمات» (حاشية الورقة 90/أ من نسخة شهيد علي).
- وقد زاد الدكتور عبد الحليم عويس<sup>3</sup> على ما ذكر ما يأتي:
- 
- 1 - ذكره د. عبد الحليم عويس في كتابه: «ابن حزم الأندلسي وجهوده» دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة-مصر، ط2، 1988م، ص 113.
- 2 - ذكره أبو عبد الرحمن بن عقيل ولم يشر إلى المصدر الذي اعتمده. انظر: مقالة لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في (مجلة الفيصل، السنة الثالثة، العدد 26). قال د. عويس: «يُشك في صحة نسبته، وفي تسميته». «ابن حزم الأندلسي وجهوده» ص 114.
- 3 - انظر: «ابن حزم الأندلسي وجهوده» د. عبد الحليم عويس، ص 110 وما بعدها. وقال د. عويس في حاشية الكتاب تعليقاً على كتب ابن حزم التي ذكرها: «اعتمدنا في إعداد قائمة مؤلفات ابن حزم على ما ورد في ثنانيا مؤلفاته (الفصل، والطوق، والإحكام في أصول الأحكام، والمحلى، وجوامع السيرة، ورسالة فضائل علماء الأندلس) وغيرها. ثم إننا أفدنا إفادة كبيرة من قائمة الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني - أحد المشتغلين بابن حزم - (انظر: مقال مؤلفات ابن حزم بمجلة الثقافة المغربية، العدد الأول، الرباط، يناير 1960م)».

123. «الوحدان في مسند ابن مخلد» [مفقود].
124. ديوان شعره (قال الحميدي: «وكان له في الآداب والشعر نفس واسع، وباع طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه، وشعره كثير، وقد جمعناه على حروف المعجم»)<sup>1</sup>، [مفقود].
125. «مناظرات ابن حزم والباجي»، قال د. عويس: «وقد زعم أبو تراب الظاهري أنها عنده. ويبدو أن ذلك غير صحيح»<sup>2</sup>.
126. «رسالة في النسخ والمنسوخ» (وهي غير المطبوع على هامش تفسير الجلالين) [مفقودة].
127. «رسالة أصحابه الذين أخرج لهم بقي بن مخلد» [ط].
128. «المعلی (في شرح المحلى)» [مفقود].
129. «مسألة الأصول» [ط].
130. «كتاب مناسك الحج» أو «كتاب المناسك».
131. «مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات»<sup>3</sup>، [ط].
132. «كتاب الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذهب أهل الرأي والقياس»<sup>1</sup>.

---

1 - «جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس» للحميدي، ص 309.

2 - «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د.: عبد الحليم عويس، ص 114.

3 - نشره القدسي في عام 1957 وألحق به كتاب «نقد مراتب الإجماع» لابن تيمية. انظر: حاشية «سير أعلام النبلاء»، ج 18، ص 198.

133. «ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل»<sup>2</sup> [ط].

134. «المفاضلة بين الصحابة» [ط].

135. «رسالة البيان عن حقيقة الإيمان»<sup>3</sup> [ط].

136. «كتاب ابن حزم في الجدل» [مفقود].

137. «رسالة في حكم من قال: إن أهل الشقاء معذبون إلى يوم الدين»<sup>4</sup>.

هكذا سُميت في المخطوطة، وهي في الواقع جواب على خمسة وثلاثين سؤالاً وُجّهت إليه.

138. «السيرة النبوية» (وهو المعروف بـ «جوامع السيرة»)<sup>5</sup> [ط].

---

1 - قال د. عويس بعد أن ذكر اسم الكتاب: «بعضه بمكتبة الشيخ الطاهر ابن عاشور، والجزء الثاني منه نسخة طرف أبي عبد الرحمن بن عقيل، ونسخة طرف د. عبدالله الزايد». «ابن حزم الأندلسي- وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» ص 115. هذا وقد صدرت طبعة غير مكتملة من الكتاب نال بها محققها الأستاذ محمد زين العابدين رستم درجة الدكتوراه، وقد نشرتها دار أضواء السلف بالرياض في ثلاثة مجلدات، عام 1425 هـ - 2005 م.

2 - نُشر هذا الملخص بتحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة جامعة دمشق، سنة 1379 هـ - 1960 م.

3 - طبعت في الرسائل بالعنوان نفسه، انظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي-» بتحقيق الدكتور إحسان عباس، ج 3، ص 34.

4 - نشرت بتحقيق د. إحسان عباس في «رسائل ابن حزم الأندلسي» ج 3، ص 219. وقد تكون هذه الرسالة هي رسالة «مسألة في الروح».

5 - سَمَّاه الذهبي: «السيرة النبوية» نشرته دار المعارف بمصر، حق: د. إحسان عباس ود. ناصر الدين الأسد، بمراجعة الشيخ أحمد محمد شاكر، وبذيله الرسائل الخمسة اللاحقة. انظر: حاشية «سير أعلام النبلاء» للذهبي، حق: شعيب الأرنؤوط ونعيم العرقسوسي، ج 18، ص 198.

139. «رسالة في القراءات المشهورة في الأمصار، الآتية مجيء التواتر» [ط].
140. «رسالة في أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد» [ط].
141. «رسالة في أصحاب الفتيا من الصحابة، ومن بعدهم، على راتبهم في كثرة الفتيا» [ط].
142. «رسالة جمل فتوح الإسلام بعد رسول ﷺ» [ط].
143. «رسالة في أسماء الخلفاء والولاة، وذكر مددهم» [ط].
144. «جمهرة أنساب العرب»<sup>1</sup> [ط].
145. «طوق الحمام [في الألفة والألف]»<sup>2</sup> [ط].
146. «الرسالة الباهرة في الرد على أهل الأهواء الفاسدة» [خ].
147. «المسألة اليقينية المستخرجة من الآيات القرآنية» [خ].
148. «منظومة في قواعد أصول فقه الظاهرية»<sup>3</sup> [ط].
149. «نبذة في البيوع» [خ].
150. وزاد صاحب كشف الظنون<sup>1</sup> أحد كتب ابن حزم فقال: «المحلى في الخلاف العالي في فروع الشافعية» هو ليس من مذهب الشافعي، فليراجع، في ثلاثين مجلدًا، لأبي محمد بن حزم علي الظاهري، وعليه حاشيتان:

---

1 - نشرته دار المعارف بمصر، بتحقيق: عبد السلام هارون.

2 - والمتداول بعضه فقط، وكانت أولى طبعاته سنة 1914م. انظر: «ابن حزم الأندلسي- وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص 114.

3 - مقال بمجلة الدعوة السعودية حققه أبو عبد الرحمن الظاهري. انظر: «ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص 114.

1 - للشيخ بدر الدين: محمد بن محمد المعروف: بابن رضي الدين الغزي، (ت 984 هـ)، واختصره: الحافظ أبو عبد الله: محمد بن أحمد الذهبي، (ت 748 هـ).

2 - ومحيي الدين محمد بن علي، المعروف بابن عربي المالكي، (ت 546 هـ)، واختصره أيضًا وسماه: «كتاب المعلى في مختصر المحلى»، وهو من أحسن المختصرات مع الإحاطة على مذاهب السلف. واختصره أبو حيان محمد بن محمد بن يوسف الأندلسي أيضًا وسماه «الأنور الأعلى في اختصار المحلى» (ت 745).

### مدلولات مؤلفات ابن حزم:

يُعَدُّ ابنُ حزم أحد القلائل في تاريخ علماء الإسلام الذي تجاوزت مؤلفاته أربع مئة مؤلَّف، فهو بحق دائرة معارف كاملة تسير على قدمين، فإن دَلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على موسوعيته وعبقريته<sup>2</sup>، فقد تعددت مجالات المعرفة التي طرقها، حتى إن كتبه لتنظم أكثر المعارف المتصلة بالعلوم الإنسانية، وإن من يقرأ له في أي مجال يظن أنه لا يحسن غير هذا العلم لمهارته فيه، فإذا هو كذلك يحسن كل علم تقريبًا، فهو نابغة في الحديث، وفي علم الكلام، وفي التاريخ، وفي أصول الفقه، وفي الأدب، وفي المنطق والفلسفة<sup>3</sup>.

---

1 - «كشف الظنون» للحاجي خليفة، ج 2، ص 1617.

2 - انظر للاستزادة «ابن حزم الأندلسي- وجهوده في البحث التاريخي والحضاري» د. عبد الحليم عويس، ص 117 - 120.

3 - انظر: «ظُهر الإسلام» لأحمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 م، ج 3، ص 44.

ويُعدُّ الصدق هو أبرز سمة لهذه المؤلفات، فابن حزم كتبها دفاعاً عن مبادئ يؤمن بها. وهو صادق مع نفسه في كل ما كتب؛ لأنه لم يكتب ملقاً لأحد، أو بغية كسب دنيوي، بل إن كتبه لم يرَضَ عنها أكثر الخاصة والعامة في الأندلس، وقد تكالبوا عليها وأحرقوها لمخالفتها معارفهم ومناهجهم.

وتُعدُّ مؤلفاته أكبر وثيقة مفصلة للحياة الثقافية والفكرية والعقائدية التي انتظمت العالم الإسلامي عامة، والأندلس خاصة، في القرون الثلاثة: الرابع والخامس والسادس الهجري. فقد حرص ابن حزم على ذكر آراء مخالفيه وحججهم بإنصاف، ثم يرد عليها. وهي تعكس لنا ألواناً من الحياة في الأندلس، الاجتماعية والاقتصادية.

وتدلنا هذه المؤلفات على أنه أوغل في الاستكثار من علوم الشريعة، حتى نال منها ما لم ينله أحد قط بالأندلس قبله، وصنّف فيها مصنفات كثيرة العدد، شرعية المقصد، معظمها في أصول الفقه وفروعه على مذهبه الذي يتحله، وطريقه الذي يسلكه<sup>1</sup>.

ثم إن كثيراً من رسائله كتبت نتيجة الجدل الدائر حول الأصول والفروع في الأندلس، فعكست هذه الرسائل وجهة نظره حيال ما تعجُّ به الساحة الفكرية من جدل.

وتمتاز مؤلفاته باستقلال فكري في نطاق النص القرآني والحديث النبوي الثابت وإجماع الصحابة، وعدم مبالاته بعد ذلك بمخالفة من خالف، وموافقة

---

1 - «معجم الأدباء» لياقوت الحموي، ج 4، ص 1651.

من وافق، كائنًا من كان، ومن ثمّ فقد ضمت هذه المؤلفات آراء شاذة في بعض الأحيان<sup>1</sup>. وذلك أمر واقع متوقع؛ لأن استقلاليته برأيه قد تجرّه إلى مخالفة الإجماع، الذي ارتضاه العلماء، ومن ثم مخالفته محجة الصواب.

وتدلنا مؤلفاته على مقدرة عقلية عجيبة في الفهم الدقيق الشامل، وفي الاستنباط والاستنتاج، وفي نقد آراء الآخرين ومجادلتهم ومناظرتهم، وهي خاصة عقلية لا تفارقه، فلا نجده نائم العقل أو مسترخي الذهن أو مستسلمًا للنقل، فهو ليس جمّاعة، يحشد ما يحفظ ويقرأ، إنما هو حاضر العقل، يقطّ الذهن، ناقدٌ بصير، فهو بهذا مرجعٌ من المراجع العظيمة في تعلم الأسلوب العلمي في التفكير، والتقدير، ووزن الأمور، وتربية الملكة النقدية<sup>2</sup>. وبناءً عليه، فهو بحق مدرسة في ذلك المنحى من التفكير الذي لا يقف عند المسلمات، متعبدًا في محرابها.

وقد عدّ بعضهم ابن حزم بداية المرحلة الأخيرة في تاريخ الفكر العربي، وهي التي تمثل: «ذروة التفكير العقلي والاجتماعي»، الذي يبدأ «بابن حزم، ت 456 هـ» وينتهي «بابن خلدون، ت 808 هـ»<sup>3</sup>.

إلا أنه يالأسف قد أحرقت معظم هذه المؤلفات التي لم يبق منها إلا القليل الذي يدل على الكثير، قال الذهبي: «وصنّف في ذلك كتبًا كثيرة، وناظر عليه،

---

1 - انظر مقال: مؤلفات ابن حزم، لمحمد إبراهيم الكتاني، مجلة الثقافة المغربية، الرباط، العدد الأول.

2 - انظر: «ابن حزم صورة أندلسية» د. محمد طه الحاجري، دار النهضة، بيروت-لبنان، 1982 م، ص 10-11.

3 - انظر: «تاريخ الفكر العربي» د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2، 1972 م، ط 4، 1983 م، ص 25.

وبسط لسانه وقلمه، ولم يتأدّب مع الأئمة في الخطاب، بل فجّج العبارة، وسبّ وجدّع<sup>1</sup>، فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة، وهجروها، وفروا منها، وأحرق في وقت، واعتنى بها آخرون من العلماء، وفتشوها انتقاداً واستفادة، وأخذوا ومؤاخذه، ورأوا فيها الدرّ الثمين ممزوجاً في الرّصف بالخرز المهيّن، فتارة يطربون، ومرّة يعجبون، من تفرّده يهزؤون<sup>2</sup>.

وقد نظم ابن حزم في إحراق كتبه، عندما أحرق له المعتضد بن عبّاد كتبه، شعراً رائعاً، فقال وأجاد:

فإن تحرقوا القِرطاسَ لا تحرقوا الذي تضمّنه القِرطاسُ بل هو في صدري  
يسيرٌ معي حيثُ استقلّت ركائبي وينزلُ إن أنزلُ ويُدفنُ في قبري  
دعوني من إحراقِ رَقٍّ وكاغِدٍ وقولوا بعلم كي يرى الناسُ من يدري  
وإلا فعودوا في المكاتبِ بداءةً فكم دونَ ما تبغونَ لله من سِرِّ  
كذاك النصارى يحرقونَ إذا علّتْ أكفّهم القرآنَ في مُدُنِ الشجرِ<sup>3</sup>

محنة ابن حزم:

نستطيع أن نقول إن ابن حزم قد ولد من رحم المعاناة إلا أنه قد عاش المعاناة كلها، فقد كانت حياته كلها محناً، ابتدرته بويلاتها مذ أصبح يافعاً لم يتجاوز الثالثة

---

1 - الجدع: القطع البائن، وقيل: هو قطع الأنف، أو الأذن، أو اليد، أو الشفة ونحوها. «تاج العروس»

للزبيدي، مادة (ج د ع). وقد وردت هنا كناية عن الدم والشتم.

2 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 186 - 187.

3 - المرجع السابق، ج 18، ص 205.

عشرة من عمره عندما انتقل عن دياره في الجانب الشرقي من قرطبة، وكان هذا الانتقال الحد الفاصل بين المعافاة والمعاناة. وبعد هذا الانتقال توالى عليه النكبات والمحن، ولم ترحم طفولته ونشأته الغضة بل فجعته بموت أخيه وزوجة أخيه ومن ثم أبيه وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة بعد.

وقد عاش فتنة البربر وسليمان بن الحكم زمن هشام المؤيد التي ضربت قرطبة مدينته التي عشق، وما أبلغ كلامه حين قال: «ثم شُغلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات، وباعتداء أرباب دولته، وامتحننا بالاعتقال، والترقيب، والإغرام الفادح، والاستتار، وأرزمت الفتنة، وألقت باعها، وعمت الناس وخصتنا»<sup>1</sup>. فكان جلاؤه عنها وعن أحبته وخلانه مما ترك جرحاً لم يندمل أثر عليه بقية حياته، فقال: «ثم ضرب الدهر ضربانه، وأجلينا عن منازلنا، وتغلب علينا جند البربر، فخرجت عن قرطبة أول المحرم سنة أربع وأربع مئة»<sup>2</sup>.

ثم لقي ابن حزم ما لقي بسبب تحزبه للدولة الأموية، فقد تعرض بسبب ذلك للسجن والتغريب والتعذيب والاضطهاد، ونجد ابن حيان يقول فيه: «كان مما يزيد في شنانه تشييعه لأمرأى بني أمية ماضيهم وباقيهم بالمشرق والأندلس، واعتقاده صحة إمامتهم، وانحرافه عمن سواهم من قریش، حتى نُسب إلى النصب لغيرهم»<sup>3</sup>.

---

1 - «طوق الحمامة» لابن حزم، ص 251.

2 - انظر: المصدر السابق، ص 252.

3 - «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» للشنتريني، ج 1، ص 169.

فنكبه خيران العامري بالاعتقال والسجن، ولاقى ابن حزم بسبب ذلك الولايات، وفي واقع الأمر فإن ابن حزم كان أبعد من أن يوصف بالتعصب، ولكنه كان يرى للدولة الأموية في الأندلس دورها الكبير، ويقارن بين ما كانت عليه الأمور في عهدها وما صارت إليه في عهد ملوك الطوائف، فلا يستطيع منطق وحدة الجماعة عنده أن يقبل ذلك التفكك والتناحر، ولا يستطيع منطق السيادة كما كانت تمثله الدولة الأموية أن تقبل منطق العبودية الذي كانت تمثله دول الطوائف<sup>1</sup>.

ثم توالى عليه المحن والمصائب لكن هذه المرة بسبب لسانه ووحدة طبعه، حتى قال الذهبي فيه: «امتحن هذا الرجل، وشدد عليه، وشرد عن وطنه، وجرت له أمور، وقام عليه الفقهاء؛ لطول لسانه، واستخفافه بالكبار، ووقوعه في أئمة الاجتهاد، بأفج عبارة، وأفظ محاورة، وأبشع رد، وجرى بينه وبين أبي الوليد الباجي مناظرة ومنافرة»<sup>2</sup>. وهكذا كثرت عداوات ابن حزم بسبب استقلاله برأيه ومنافحته عنه، واعتداده بمنهجه وبفكره، مما جرّ عليه الولايات فأبعده الفقهاء، وشهروا به، ونفروا طلاب العلم منه، وأغروا به سلاطينهم، حتى ذهبوا بذلك كل مذهب، حتى أحرق المعتضد بن عبّاد كتبه كما مرّ سالفًا، منعًا أن يطلع عليها أحد، ولم يكتف حاقده بذلك؛ بل نفوه من البلاد، حتى مات منفياً كما سيأتي.

---

1 - انظر: «رسائل ابن حزم الأندلسي» لابن حزم، ج2، ص 23.

2 - «تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج3، ص 231.

فكان النفي والبعد عن أهله وخلّانه من أشدّ الأمور وأصعبها على نفسه، وأكثر معاناته إيلاّمًا، فكان ما قاساه من ألم النفي والتهجير والتغريب عن وطنه، والتفريق والابتعاد عن أهله وخلّانه، قد أدمى قلبه، فنظم معاناته شعرًا يذوب فيه؛ فقال:

لم أشكُ صدًا ولم أذعنُ بهجرانٍ ولا شعرتُ مدى دهري بسُلوَانِ  
أسماءُ لم أدرِ معناها ولا خَطرُتُ يومًا عليّ ولا جالتُ بمَيِّداني  
لكنّما دائيَ الأدوا الذي عَصَفْتُ عليّ أرواحُهُ قَدَمًا فَأَعْيَانِي  
تفرُّقٌ لم تزلُ تسري طوارقُهُ إلى مجامعِ أحبّائي وخِلّاني  
كأنما البينُ بي يَأْتُمُّ حيثُ رأى لي مذهبًا يَتَلُونِي وَيَغْشَانِي  
وكنْتُ أحسبُ عندي للنوى جَلَدًا داءٌ عَنَّا في فؤادي شجوها العاني  
فقابلتني بألوانٍ غدوتُ بها مقابلاً من صباباتي بألوانٍ<sup>1</sup>

وفاة ابن حزم:

لقد كانت منية نفس ابن حزم أن تكون وفاته ملتزمًا أطراف الثغور مجاهدًا في سبيل الله، كفاحًا ضد الكفار، فصاغ تلك الأمنية شعرًا عذبًا رائعًا كروعة مبتغاه؛ فقال:

مُنَايَ من الدنيا علومٌ أبثها وأنشرها في كل بادٍ وحاضرٍ  
دعاءً إلى القرآن والسُنَنِ التي تناسى رجالٌ ذكرها في المَحَاضِرِ

---

1 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج18، ص 211.

وَأَلْزَمُ أَطْرَافَ الثَّغُورِ مُجَاهِدًا إِذَا هَيْعَةٌ ثَارَتْ فَأَوَّلُ نَافِرٍ  
لَأَلْقَى حِمَامِي مَقْبَلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ بِسُمْرِ الْعَوَالِي وَالرِّقَاقِ الْبَوَاتِرِ  
كَفَاحًا مَعَ الْكَفَارِ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى وَأَكْرَمُ مَوْتٍ لِلْفَتَى قَتْلُ كَافِرٍ  
فِيَارِبٌ لَا تَجْعَلُ حِمَامِي بَغِيرَهَا وَلَا تَجْعَلْنِي مِنْ قَطِينِ الْمَقَابِرِ<sup>1</sup>

وكان ابن حزم في أخريات أيامه «قد برّص من أكل اللُّبَان»<sup>2</sup>، وأصابه  
زَمَانَةٌ<sup>3</sup>. وَكُتِبَ عَلَيْهِ أَنْ يُبْعَدَ وَيُسَنَّعَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ «أَكْثَرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْعِلْمَاءِ  
الْمُتَقَدِّمِينَ، وَلَمْ يَكِدْ يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ لِسَانِهِ، فَنفرت عنه القلوب، واستهدف لفقهاء  
وقته، فتمالؤوا على بغضه، وردوا قوله، وأجمعوا على تضليله، وشنَّعوا عليه،  
وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه، فأقصته  
الملك، وشرّده عن بلاده؛ حتى انتهى إلى بادية لَبْلَةٍ<sup>4</sup> فتوفي بها، آخر نهار الأحد،  
لليلة بقيتا من شعبان، سنة ست وخمسين وأربع مئة (456 هـ)، وقد توفي في  
مَنْتَ لَيْشَمَ<sup>5</sup>، وهي قرية ابن حزم رحمه الله تعالى»<sup>1</sup>.

1 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 206.

2 - اللُّبَان: بالضم: ضرب من الصمغ يقال له (الكندر). «تاج العروس» للزبيدي، مادة (ل ب ن).

3 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18، ص 198. و«تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 3، ص 229.

4 - لَبْلَةٌ: بفتح أوله ثم السكون، ولام أخرى: قصبة كورة بالأندلس كبيرة يتصل عملها بعمل أكشونية  
وهي شرق من أكشونية وغرب من قرطبة، وهي بَرِّيَّة بحرية غزيرة الفضائل والثمر والزرع  
والشجر، ولها مدن. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي، ج 5، ص 10.

5 - مَنْتَ لَيْشَمَ: هي قرية من أعمال لَبْلَةٍ، كانت ملك ابن حزم، وكان يتردد إليها. انظر: «وفيات  
الأعيان» لابن خلكان، ج 3، ص 329-330.

وقال أبو بكر محمد بن طرخان التركي: «قال لي الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن العربي: تُوفي ابنُ حزمٍ بقريته، وهي على خليج البحر الأعظم، في جمادى الأولى، سنة سبع وخمسين»<sup>2</sup>.

وقال غيره: مات ليومين بقيا من شعبان سنة ست وخمسين وأربع مئة. أرّخه في سنة ست غير واحد<sup>3</sup>. وهو الراجح؛ قال صاعد: «نقلت من خط ابنه أبي رافع أن أباه توفي عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان، سنة ست وخمسين وأربع مئة؛ فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهرًا، رحمه الله»<sup>4</sup>. ويذكر أبو الخطاب بن دحية أنه عاش ثنتين وسبعين سنة غير شهر<sup>5</sup>.

وأختم هذا المبحث بنعي ابن حزم نفسه بقوله رحمه الله تعالى:

كأنك بالزوار لي قد تبادروا      وقيل لهم أودى عليُّ بنُ أحمد  
فيا رُبَّ محزونٍ هناك وضاحكٍ      وكم أدمعٌ تُذري وخذٌ مخدد  
عفا الله عني يومَ أرحلُ ظاعنًا      عن الأهلِ محمولًا إلى ضيقٍ ملحد  
وأتركُ ما قد كنتُ معتبطًا بهِ      وألقى الذي آنستُ منه بمرصد  
فوا راحتي إن كان زادي مقدمًا      ويا نصبي إن كنتُ لم أتزود<sup>6</sup>

---

1 - ورد أن أصل آبائه من قرية (مَنَتَ لِيَشْم) من إقليم الزاوية، من عمل أونبة، من كورة لَبْلَكة من غرب الأندلس. انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي، ج 4، ص 1651.

2 - (تذكرة الحفاظ» للذهبي، ج 3، ص 231.

3 - المصدر السابق نفسه.

4 - «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ج 18 ص 211.

5 - المصدر السابق، ج 18، ص 198.

6 - «معجم الأدباء» لياقوت الحموي، ج 4، ص 1657-1658.